



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مِيقَاتُ الْحَجِّ

تعدادیست سکتوریة فنی والشؤون الثقافیة

والثاریة والاسیاسیة والأحویة الفی السیاسیة



- ❖ الحج . رموز وچکمز (1) ❖ صلاة الطواف ومكانها ❖
- ❖ فقهیات معاصرة فی الحج « 2 » ❖ فقه الجدل فی الحج « 2 » ❖
- ❖ صفحات من تاریخ المدینة المنورة ❖
- ❖ حکایات من سنة المکرمة ❖ أسماء بنت عبس . داعية لاحتلای ❖
- ❖ الرحلة الحبیة للعلامة السید محسن الامین ❖
- ❖ سنة المکرمة دراسة فی جغرافیه المدن ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دو فصلنامه « ميقات الحج »

کاتب:

محمدي ري شهري

نشرت في الطبعه:

مشعر

رقمي الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

میقات الحج المجلد ۸

اشاره

عنوان و نام پدیدآور : میقات الحج [بیابند: مجله]
 مشخصات نشر : تهران: منظمه الحج و الزیارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -
 فاصله انتشار : شش ماه یکبار

یادداشت : عربی

فهرست نویسی براساس سال ۳ شماره ۵ سال ۱۴۱۷ق.

یادداشت : این نشریه در بیروت نیز منتشر می شود

یادداشت : مدیرالمسؤول: محمد محمدی ری شهری

رئیس التحریر: علی قاضی عسکر

یادداشت : کتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردیر

شناسه افزوده : سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره : BP۱۸۸/۸

رده بندی ... : ۲۹۷/۳۵۷۰۵

الحج فی احادیث الامام الخمينی قدس سره

ص: ٥

العدد الثامن

الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره

عندما تلفظون لبنيك اللهم لبنيك، قولوا: لا، لجميع الأصنام، واصرخوا: لا، لكل الطواغيت الكبار والصغار.

وأثناء الطواف في حرم الله حيث يتجلى العشق الإلهي، أخلوا قلوبكم من الآخرين، وطهروا أرواحكم من أى خوف لغير الله. وفي موازاة العشق الإلهي، تبرأوا من الأصنام الكبيرة والصغيرة والطواغيت وعملائهم وأزلامهم، حيث إن الله تعالى ومحبيه تبرأوا منهم، وإن جميع أحرار العالم بريئون منهم.

وحين تلمسون الحجر الأسود أعقدوا البيعة مع الله أن تكونوا أعداء لأعداء الله ورسوله والصالحين والأحرار، ومطيعين وعبداً له، أينما كنتم وكيفما كنتم. لا- تحنوا رؤوسكم واطردوا الخوف من قلوبكم، واعلموا أن أعداء الله وعلى رأسهم الشيطان الأكبر جبناء، وإن كانوا متفوقين في قتل البشر وفي جرائمهم وجنایاتهم.

أثناء سعيكم بين الصفا والمروة اسعوا سعي من يريد الوصول إلى المحبوب، حتى إذا ما وجدتموه هانت كل الأمور الدنيوية، وتنتهي كل الشكوك والترددات،

ص: ٦

وتزول كل المخاوف والجبائل الشيطانية والارتباطات القلبية المادية، وتزهر الحرية، وتنكسر القيود الشيطانية والطاغوتية التي أسرت عباد الله.

سيروا إلى المشعر الحرام وعرفات وأنتم في حالة إحساس وعرافان، وكونوا في أي موقف مطمئن القلب لوعد الله الحق بإقامه حكم المستضعفين. ويسكون وهدوء فكروا بآيات الله الحق، وفكروا بتخليص المحرومين والمستضعفين من براثن الاستكبار العالمي، واطلبوا من الحق تعالى في تلك المواقف الكريمة تحقيق سبيل النجاة. بعد ذلك عندما تذهبون إلى منى اطلبوا هناك أن تتحقق الآمال الحقة حيث التضحية هناك بأثمن وأحب شيء في طريق المحبوب المطلق، واعلموا أنه ما لم تتجاوزوا هذه الرغبات، التي أعلاها حب النفس وحب الدنيا التابع لها، فسوف لن تصلوا إلى المحبوب المطلق. وفي هذا الحال ارجموا الشيطان، واطردوا الشيطان من أنفسكم، وكرروا رجم الشيطان في مواقع مختلفة بناء على الأوامر الإلهية؛ لدفع شرّ الشياطين وأبنائهم عنكم.

إن هذا السفر الإلهي الذي تذهبون إليه، وترجمون فيه الشيطان، وإذا ما كنتم - لا سمح الله - من جنود الشيطان سترجمون أنفسكم أيضاً. يجب أن تكونوا فيه رحمانيين، وأن تصبحوا رحمانيين، حتى يكون رجمكم رجم أتباع الرحمن، وجنوده للشيطان، وأنتم تقفون في تلك المواقف والمواضع الكريمة، معاذ الله أن يتلوّث ووقوفكم بشيء خلاف الشرع، أو يتلوّث بالمعصية، ففضلاً عن إراقه ماء الوجه أمام الله تسقط كرامة الإسلام في الدنيا. اليوم كرامة الإسلام متقومة بوجودكم، أنتم الذين تذهبون جماعات جماعات إلى تلك المواقف الكريمة، ويشاهدكم سائر المسلمين من شتى بقاع الدنيا.

الحجّ في أحاديث الإمام الفارسي

ص: ٧

الحجّ في أحاديث الإمام الخامنئي

- مد ظله العالی -

بيت الله الحرام هذه الأيام يستضيف مرةً أخرى سيولَ القلوب المتلهفة المشتاقه، التي هوت إلى كعبة الآمال من كلِّ فجٍّ عميق .. حيث الملايين تستشعر الوحدة والوئام في ظل عبودية الله الواحد القهار؛ وحيثُ العيونُ التي تسخو بدموعها وهي تقف على ربوع النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأولياء الله عليهم السلام والمجاهدين والعظام في تاريخ الإسلام؛ وحيث الأرواحُ تصفو وتشرق في ظلّ معنوية بيت الله الحرام وحریم تربة المصطفى عليه وعلى آله آلاف التحية والسلام وحيث الأيدي المتضرعة التي تسوق قوافل حاجتها ورجائها الى ساحة الغنى العزيز، وحيث المهمومون الذين يقفون على باب الحكيم؛ ليجدوا علاج هموم العالم الإسلامي، وليجدوا من يحمل مثل همومهم من أرجاء المعمورة، وحيث الضعفاء الذين يحسون هناك بالقدرة والعظمة.

في هذه الأيام تعرض الأمة الإسلامية العظيمة مشهداً من أبهتها وعظمتها أمام أعين من لم يعرف قدرها، فتزيد المحبين أملاً والأعداء خوفاً، في هذه الأيام

ص: ٨

تهطل أمطار الرحمة والحكمة على العطشى، فتنعش القلوب الكئيبة، وتفتح العقول الراكدة.

نعم، هذه الأيام هي للعالم الإسلامى والأمة الإسلامية أيام عيد وأيام ميعاد، وجدير بالمسلمين فى كل أرجاء الأرض، وخاصة حجاج بيت الله الحرام، أن يغتنموها بقضاء ساعات وأوقات فى التعب والتعقل، وأن يعود من ظفر بفرصة الحج والزيارة الى دياره بيد مملوءة برحمة الله وحكمته، ويعزم جديد وإرادة صلبة تجاه مستقبله ومستقبل الأمة الإسلامية.

من بين الفرائض الدينية، يعدُّ الحج أكبر فريضة تجمع الجانبين الفردى والاجتماعى بشكل واضح جليّ.

الهدف فى الجانب الفردى التزكية والوصول الى حالة الصفاء والإشراق والتحرر من الزخارف المادية التافهة، والخلوة مع الذات المعنوية، والأنس بالله تعالى، والذكر والتضرع والتوسل إلى الحق سبحانه؛ ليجد الإنسان طريقه الى العبودية، ويسير على هذا الطريق الذى هو صراط الله المستقيم نحو الكمال.

تنوع الفرص والاختبارات فى هذا الجانب كثير بحيث لو أراد شخص أن يجتازها بتوجه وتدبر فإنه ينال دون شك أعظم العطاء: فرصة الإحرام والتلبية، فرصة الطواف والصلاة، فرصة السعى والهرولة، فرصة الوقوف فى عرفات والمشعر، فرصة الرمي والتضحية، وفرصة ذكر الله، تشكل كلها جواً زاخراً بالروح والحياة يمتد على جميع هذه المراحل. مجموع هذه الفرص يمكن أن يوفر لكل فرد دورة قصيرة من الرياضة الشرعية، وتمريناً على الزهد والسلم والحلم، وخصالاً خلقية حميدة أخرى.

فى الجانب الاجتماعى، الحج من بين جميع الفرائض الإسلامية فريضة فريدة؛ لأنه مظهر قوة الأمة الإسلامية وعزتها واتحادها، ولا ترقى إليه أية فريضة أخرى فى قدرته على تلقين الأفراد دروساً وعبراً بشأن الأمة الإسلامية والعالم

ص: ٩

الإسلامى، وعلى تقريبهم روحاً وواقعاً من القدرة والعزة والوحدة. وشلّ هذا الجانب من الحج إنَّما هو غلق نبع يفيض على المسلمين بمنافع لا يمكن تحقّقها من أية وسيلة أخرى.

الاقْتدار الوطنى فى المجتمعات البشرىة مفتاح النجاح والتطور، والوسيلة اللازمة لتحقيق الحياة الطيبة لأفراد المجتمع. والمقصود بالاقْتدار الوطنى أن يتمتّع المجتمع والبلد بالأخلاق والعلم والثروة والنظام السياسى الفاعل والإرادة الشعبىة.

صحيح أن المجتمعات المقْتدرة إن افتقدت التوجيه والإرشاد والعدالة فستكون علومها وثرواتها عاملاً على طغيانها، وعلى زوال أخلاقها وإرادتها، وعلى دفعها نحو الانحطاط، كما تظهر اليوم أمارات ذلك فى أمريكا ونظائرها، غير أن فقدان ذلك الاقْتدار سيعجل كثيراً من الانحدار فى الانحطاط الأخلاقى والسياسى، وسيسلب الشعوب دنيهاً وآخرتها وعلمها وأخلاقها وكلّ شىء لديها. من هنا فإن تعاليم الإسلام السياسىة والاجتماعىة تتّجه جميعاً نحو اعتلاء الأمة الإسلامىة سلّم الاقْتدار والسيادة فى الحقول العلمىة والأخلاقىة والسياسىة والروحىة والمادىة. واليوم فإنّ المخلصين الواعين من قادة شعوب العالم يسعون إلى استثمار كلّ الإمكانيات والطاقات المتاحة لتصعيد اقْتدار شعوبهم.

الأمة الإسلامىة الكبرى مع وجود عددها وعُمدتها تفتقد العزة والاقْتدار على الساحة العالمىة. كيف يمكن أن تستعيد عزّتها وقدرتها اللاتقّة بها؟ هذا السؤال يجب أن يتردّد على الألسنة وفى الأذهان لدى كلّ المسلمين، خاصة القادة والمسؤولين والعلماء والمثقفين والشخصيات الإسلامىة، وأن يجدوا للإجابة عنه.

ص: ١٠

أقل الواجبات في حجّ التمتع

قل الواجبات في حجّ التمتع

أقل الواجبات في حجّ التمتع

إبراهيم بن الشيخ حسن قفطان

تحقيق: محمد الإسلامى اليزدى

المؤلف

هو الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن بن على بن نجم السعدى الرياحى النجفى الشهير بقفطان.

ولد المترجم له فى النجف الأشرف سنة ١١٩٩ هـ وتوفى بها سنة ١٢٧٩ هـ (١) ودرس عند والده الجليل الشيخ حسن، وحضر درس

الشيخ على والشيخ حسن ابنى كاشف الغطاء، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والشيخ عبد الحسين الطريحي، وقرأ أخيراً على

الشيخ مرتضى الأنصارى (٢).

وانتهل من علمه جماعة من فضلاء النجف (٣).

وكانت له رحمه الله مكانه ساميه عند فقهاء عصره، فقد نعته سيدنا الحسن الصدر رحمه الله:

بأنه كان مرجعاً للفحول فى القضايا المشكّلة، والمسائل المعضّلة، وفضله لا ينكر، وان لم تحصل له الرئاسة مع غزارة علمه (٤).

وإضافةً إلى تفقّهه، كانت له مكانة سامية فى الشعر والأدب وجودة الخط، فقد عرف آل قفطان بجودة الخط.

١-١ طبقات أعلام الشيعة الكرام البررة ق ١٣: ٢: ١٢.

٢-٢ طبقات أعلام الشيعة الكرام البررة ق ١٣: ٢: ١٣.

٣-٣ أعيان الشيعة ٥: ١٢٦.

٤-٤ طبقات أعلام الشيعة الكرام البررة ق ١٣: ١٢: ١٣.

ص: ١١

فمن شعره في رثاء الحسين عليه السلام:

يناديهم هل من نصير فلم يكن سوى السمر والبيض الرقاق جواباً

بنفسى من قاسى المنية ظامناً وفي كفه للعالمين سحاباً

وما أنس لا أنسى الجسوم على الثرى عليهن من قانى الدماء ثياباً (١) آثاره العلمية

من آثاره الباقية (٢):

(أقل الواجبات في حج التمتع) وهو الذى بين يديك، فإنه رحمه الله ذكر في مقدمته: أنه اختصرها من منسك شيخه المؤتمن الشيخ

محمد حسن امتثالاً لأمره وأنه قد عرضها عليه فوجدها وفق ما أراد (٣). ثم عرضها على شيخه الأنصارى رحمه الله فكتب على هامشه

ما هو طبق فتاواه وجعل رمزه (تضى)، والنسخة عند السيد اغا التستري (٤).

(رسالة في اثبات حلية المتعة) ألفها بأمر شيخه صاحب الجواهر، وهي جواباً عن أسئلة بعض العامة؛ ودفعاً لشبهاتهم، وهي موجودة

بخطه الشريف رحمه الله عند الشيخ طاهر السماوى رحمه الله.

كتاب في (الرهن) (٥).

(قاطعة النزاع في أحكام الرضاع) لخص فيه رأى أستاذه الفقيه صاحب الجواهر.

الرسالة

رسالة مختصرة عن كتاب (نجاه العباد في يوم المعاد) للشيخ محمد حسن النجفى صاحب الجواهر المتوفى ١٢٦٦ هـ وهي رسالة فتوائية

كتبت لعمل المقلدين، مطبوعة طبعه حجرية في بمبي مطبعة أحمدى عليها حواشى السيد

١-١ أعيان الشيعة ٥: ١٢٦.

١-٢ أعيان الشيعة ٥: ١٢٦.

٣-٣ انظر المقدمة ص؟؟؟؟.

٤-٤ طبقات اعلام الشيعة الكرام البررة ق ١٣ ٢: ١٣، الذريعة ٢: ٢٧٥ / ١١١.

٥-٥ الأعلام للزركلى ١: ٣٥.

ص: ١٢

محمد كاظم الطباطبائي اليزدي رحمه الله سنة ١٣١٨ هـ.

لخصها الشيخ إبراهيم بن حسن قفطان النجفي رحمه الله باسم (أقل الواجبات في حج التمتع) بأمر من الشيخ صاحب الجواهر (وقد عرضها عليه فوجدها وفق ما أراد).

ونسختها على مخطوطة مكتبة ملي طهران ضمن مجموعة رقم ٢ / ٢٥٣٨ كتبت في شهر رجب المرجب سنة ١٢٦٤ هـ وعليها تأييد الشيخ صاحب الجواهر للمنسك بقوله: (بسم الله - تعالى شأنه - نعم قد تحقق أنه مختصر من منسكنا الكبير. وكتب بيده: المؤلف القاصر محمد حسن بن المرحوم الشيخ باقر. وكتب الكاتب تحت هذا التوشيح مكان مهر الشيخ. وفي حاشيتها: (قد بلغ قبلاً بقدر الوسع).

وكتبت النسخة على النسخة الأصلية كما يظهر من أمر أنجب السادات آقا سيد محمد صحاف.

وتم تحقيق الرسالة وما يتعلق بها من تقطيع وتقويم نص، وتوضيح ما كان غامضاً في المخطوطة، وبمقابلة هذه النسخة لكتاب (نجاه العباد، الطبعة الحجرية) على حسب نظري القاصر. سائلين المولى القبول، وأن يرزقنا حج بيته الحرام.

ص: ١٣

دو صفحه خالی برای مخطوط

ص: ١٤

صفحة خالی برای مخطوط

ص: ١٥

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

وبعد: فهذه الرسالة أقلّ الواجبات في حجّ التمتع، اختصرتها من منسك شيخنا المؤتمن، جناب الشيخ محمد حسن - دام ظلّه العالی - امتثالاً لأمره؛ ليسهل تناول أحكامها، ويشمل عامّة المقلّدين معرفة حلالها وحرامها، وأنا الغريق في بحر العصيان إبراهيم بن شيخ حسن قفطان، وقد عرضتها عليه فوجدها وفق ما أراد.

فنبول: والاستعانة بالله، اعلم أنّ بيان حجّ التمتع يتوقف على بيان أمرين:
الأول: العمرة المتمتع بها إلى الحجّ.

والثاني: الحجّ.

فأما العمرة فواجباتها خمسة:

الأول: التّية لها إجمالاً.

الثاني: من أفعال العمرة؛ الإحرام وواجباته ثلاثة:

الأول: التّية، ويجب فيها التعيين والقربة، والأحوط أن يقصد - مثلاً - ما يحرم به من العمرة (عمرة التمتع لحجّ الإسلام)، لوجوبه أو ندبه، أداءً أو قضاءً، أصالةً، أو تحملاً، قربةً إلى الله تعالى.

الثاني: التلبيات الأربع، والأحوط مقارنتها لتية الإحرام، والواجب فيها:

«لبيك، اللهم لبيك، لبيك، لا شريك لك لبيك»، والأحوط الخمس بأن يقول:

«لبيك، اللهم لبيك، لبيك، إنّ الحمد والنعم لك والمُلك لك، لا شريك لك لبيك، بحجّة وعمرة، أو بعمرة مفردة تمامها عليك، لبيك».

الثالث: لبس ثوبي الإحرام مع الاختيار - بعد نزع جميع ما يجب على المحرم

ص: ١٦

اجتنابه- قبل عقده الإحرام، يأتزر بأحدهما كيف شاء، وإن كان الأولى عدم عقده في عنقه، بل مطلقاً، ولو بعضه ببعض، بل يغرزهُ (١) بنفسه ويرتدى بالآخر، أو يتوشح به أو غيرهما من الهيئات، وإن كان الأولى الارتداء.

ويجب أن يكونا ممياً تجوز فيه الصلاة، فلا- يجوز في التّجسس، ولا- من صوف ما لا- يؤكل لحمه، ولا في المغصوب، ولا في الحرير للرجال، والأحوط اجتنابه للنساء، وإن كان الأقوى جوازه لهنّ على كراهة ولا في المذهب.

والأقوى عدم وجوب لبس ثوبي الإحرام لهنّ، وإن كان الأولى أيضاً.

ومتروكات الإحرام خمسة وعشرون:

أحدها: صيد الحيوان البرّي الممتنع بالأصالة وإن لم يؤكل لحمه، وكذا الإشارة إليه، والدلالة عليه، والإغلاق عليه، وغيرها من أنواع الإعانة عليه، وأكله، وكذا بيضه أكلاً وإتلافاً ودلالة وإعانة.

ثانيها: الجماع.

ثالثها: عقد النكاح دائماً أو منقطعاً أصالةً أو لغيره ولو فضولاً، دون التحليل، والأحوط اجتنابه أيضاً.

رابعها: شهادة عقد النكاح بين المحلين أو المُحرمين أو المختلفين لإقامتها، بل مطلقاً على الأحوط.

خامسها: تقبيل النساء لإرادة الاستمتاع والالتذاذ.

سادسها: النظر إلهنّ للالتذاذ، وكذا الضمّ واللمس.

سابعها: الاستمنا بملاعبة أو نحوها.

ثامنها: الطيب كدهن الورد والقرنفل وقصب الذريرة ونحوها، استعمالاً وأكلاً وشمّاً، دون الرياحين.

تاسعها: لبس المخيط للرجال، والأقوى والأحوط حرمة لبس ما يسمى

١- ١ في نجاه العباد: بل دعم غرزهُ بأبرة ونحوها بل يغرزهُ.

ص: ١٧

قميصاً وقباء وسراويل وإن لم تكن مخيطة، بل الأحوط ترك التوشح به وافتراشه، بل والتدثر به.

عاشرها: لبس الخفّ ونحوه بل كلّ لباس يستر تمام ظهر القدم.

حادى عشرها: الاكتمال بالسواد بقصد الزينة، بل الأحوط مطلقاً.

ثاني عشرها: النظر في المرأة للزينة، والأحوط مطلقاً أيضاً.

ثالث عشرها: الفسوق، وهو الكذب، وكذا السباب والمفاخرة.

رابع عشرها: الجدل، وهو قول (لا والله وبلى والله) في الخصومة، ولا يكفي الحلف بالله بغير ذلك ولا به مع عدم الخصومة، وإن كان

الأحوط.

خامس عشرها: إلقاء القمّل عن ثيابه أو جسده أو عن محرم آخر، وكذا قتله.

سادس عشرها: لبس الخاتم للزينة دون السنّة.

سابع عشرها: إزالة الشعر قليله وكثيره، عن أى موضع من البدن.

ثامن عشرها: تغطية الرجل الرأس من قصاص الشعر، ويدخل فيه الأذنان دون الوجه والأحوط عدم تغطيته.

تاسع عشرها: تغطية الوجه للمرأة، والأحوط لها تقديم مقدمة الصلاة عند التعارض، ويجوز لها السدل إلى النحر للستر، ولا يجب

التجافى وإن كان أحوط.

العشرون: التظليل للرجل سائراً على رأسه اختياراً، ويجوز المشى فى ظلّ المحمل، لا تحته.

الحادى والعشرون: الحجامه والفصد والحك المدمى، بل الأحوط إلحاق مطلق الإدماء.

الثانى والعشرون: قلع الضرس والسن وإن لم يدم.

الثالث والعشرون: قلم الأظفار إلّامع الأذيه.

الرابع والعشرون: لبس السلاح أو حمله بحيث يعدّ متسلّحاً.

الخامس والعشرون: وهو يشمل المحرم والمحلّ، قطع كلّ نابت فى الحرم، ولو

ص: ١٨

الشوك؛ ولا بأس بقلع ما نبت في منزله بعد نزوله لا قبله، ولا بقلع شجر الفواكه والنخل والإذخر، ولا بترك المحرم إبله ترعى، ولا بالغصن المكسور والورق الساقط، والأحوط الأقوى اجتناب الفقع (١) دون الكماء.

واعلم أن إحرام المرأة كإحرام الرجل في ذلك إلا فيما استثنيته من لبس المخيط والتظليل وستر الرأس ونحو ذلك.

ومواقيت الإحرام سبعة: العقيق لأهل العراق، وذو الحليفة لأهل المدينة، والجحفة لأهل الشام ومصر، ويللم لأهل اليمن، وقرن المنازل لأهل الطائف، ومنزل من كان منزله أقرب إلى مكة من الميقات، ومكة لإحرام الحج وأفضلها المسجد والله العالم.

الثالث من أفعال العمرة: الطواف، وهو ركن فيها تبطل بتركه عمداً ولو نساه قضاءه بنفسه، ولو بعد المناسك وانقضاء الوقت. والأحوط إن لم يكن أقوى إعادة السعي معه.

وواجبات الطواف أربعة عشر:

الأول: الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر حتى إذا كان جزء من عمره مندوبه أو حج كذلك. وتقوم الترابية مقام المائيه، ولا تجب في المندوب.

الثاني: طهارة الثوب، البدن من الخبث، ويعفى عن دم الجروح والقروح دون الأقل من الدرهم، وفيما لا تتم الصلاة فيه، وعن الجاهل والناسي إلى الفراغ؛ الأحوط الاستيناف.

الثالث: حلية اللباس في الأحوط إن لم يكن أقوى وكذا حلية ما يطوف عليه من ثوب أو دابة.

الرابع: ستره العورة، كما في الصلاة للذكر والأنثى.

الخامس: الختان للذكر والأحوط دون المرأة.

السادس: التية، والأولى أن يقول إذا أراد الاحتياط: أطوف بالبيت سبعة

١- ١ في نجاه العباد: هو شيء ينبت في الأرض ويكون له ساق.

ص: ١٩

أشواطٍ لعمرة التمتع إلى حج الإسلام؛ لوجوبه قربة إلى الله تعالى.

السابع والثامن: الابتداء بالحجر الأسود والاختتام به، والمدار على صدقهما عرفاً؛ والظاهر أنه لا بأس بالزيادة مقدّمة، والأحوط أن يحاذى بأول جزء من الحجر لأول جزء من مقادير بدنه بحيث يمرّ كلّ على كلّ.

التاسع: جعل البيت على يساره ولا يقدر الانحراف اليسير.

العاشر: إدخال حجر إسماعيل في الطواف.

الحادي عشر: خروجه عن البيت والحجر على وجه يصدق عليه الطواف بهما.

الثاني عشر: كونه بين البيت والصخرة، التي هي المقام مراعيّاً قدر ما بينهما من جميع الجهات حتى من جهة الحجر.

الثالث عشر: العدد وهو سبعة أشواط، فلو نقص ولو خطوة أو زاد عمداً لم يصح طوافه، ولا بأس بالزيادة مقدّمة على الأصح.

الرابع عشر: ركعتا الطواف عند المقام، ولو نساها رجح، فإن شقّ عليه، فعلهما في الحرم في الأحوط، فإن شقّ عليه صلّاهما حيث شاء.

الرابع من أفعال العمرة: السعي وهو ركن. وواجبات السعي خمسة:

الأول: التّيه والأحوط أن يقول: أسعى بين الصّيف والمروة، بأن أذهب منها وأعود إليها، إلى أن أتمّ سبعة أشواط لعمرة التمتع إلى حج الإسلام؛ لوجوبه قربة إلى الله تعالى.

الثاني: البدأ بالصّيف على وجه يجعل عقبه - وهو ما بين الساق والقدم - ملاصقاً له، والأحوط العقبين فإذا عاد ألصق أصابع قدميه بموضع العقب، ولا يجب الصعود للدرجة الرابعة، وإن كان لا ينبغي تركه.

الثالث: يختم بالمروة بحيث يلصق أصابعه بها والأحوط القدمين، فإذا عاد جعل عقبه في موضع أصابعه، ولا يجب الصعود عليها وإن كان أحوط، فيقصد

ص: ٢٠

السعى من الأعلى ومن الأسفل ويكفي استمرار الداعي.

الرابع: العدد وهو سبعة أشواطٍ من الصفا إلى المروة شوط، ومن المروة إلى الصفا شوط آخر.

الخامس: السعى في الطريق المعهود.

الخامس من أفعال العمرة: التقصير.

ويكفي مسماه الذي هو الأخذ من شعر الرأس، أو الشارب واللحية، أو الحاجب بحديد أو سنّ أو نحو ذلك والله العالم.

وأما الحج فأفعاله سبعة:

الأول: الإحرام للحج من مكة، وهو في التية واللبس والتلبية والتروك كإحرام العمرة، إلا أنه يقصد بالتية هنا إحرام الحج، وأفضل

أوقاته يوم التروية بل هو الأحوط.

الثاني: الوقوف بعرفة وواجبات الوقوف ثلاثة:

الأول: التية كما عرفت.

الثاني: الكون بها من الزوال إلى الغروب للمختار، وللمضطرّ من الغروب إلى طلوع فجر يوم النحر، والركن منه مسماه وإن قلّ.

الثالث: أن يكون في اليوم التاسع من ذي الحجة.

الثالث من أفعال الحج: الوقوف بالمشعر ويجب فيه أمران:

الأول: التية.

الثاني: الكون فيه، والأحوط مسمى الوقوف من طلوع الفجر إلى طلوع

ص: ٢١

الشمس للمختار، والأقوى عدم وجوب الاستيعاب، وإن كان أحوط، والأحوط المبيت فيه ناوياً ذلك أيضاً، وأحوط منه تجديد التية عند الفجر، والركن منه مسماً، وإن قل في ليلة النحر إلى طلوع الشمس على الأقوى.

الرابع: من أفعال الحج المضي إلى منى، وواجبات منى ثلاثة:

الأول: رمي جمرة العقبة ناوياً، والأحوط في التية أن يقول: أرمى جمرة العقبة يوم النحر سبعاً لحج الإسلام أداءً، لوجوبه قرباً إلى الله تعالى، ويجب أن يكون بسبع حصيات متعاقبة في الرمي، لا الإصابة، وأن يصيب الجمرة أو موضعها، ويستحب وضع الحصاة على الإبهام ودفعا بظفر السبابة، بل هو الأحوط.

الثاني: الذبح أو النحر وواجباته خمسة:

الأول: النية.

الثاني: أن يكون من الإبل أو البقر أو الغنم.

الثالث: أن يكون ثنياً في غير الضان، وهو من الإبل ما دخل في السادسة، ومن البقر والمعز ما دخل في الثالثة، وفي الضان يجزى الجذع، والأحوط فيه ما دخل في الثانية منه.

الرابع: أن يكون صحيحاً.

الخامس: أن يكون تاماً.

الثالث من واجبات منى: الحلق أو التقصير مخيراً بينهما، ويتعين على النساء التقصير، ويكفي فيه المسمى، والله العالم.

الخامس: من أفعال الحج الطواف بالبيت، والأفضل أن يمضي إليه في يوم النحر، فإن أخره فمن غده، فإن أخره عن الغد اشتدت الكراهة، بل الأحوط عدم التأخير، وإن كان يجزيه طوافه وسعيه طول ذي الحجة، وهو سبعة أشواط كما في

ص: ٢٢

طواف العمرة، وحكمه مثله إلفى التية فيقصد هنا (طواف الحج)، ويصلى ركعتيه عند مقام إبراهيم. والسادس: من أفعال الحج: السعى بين الصفا والمروة، وهو كسعى العمرة في الأحكام. السابع: من أفعال الحج: طواف النساء وهو كطواف العمرة أيضاً، وبعده يحل من كل شيء حتى النساء. ويجب بعد ذلك الرجوع إلى منى في يومه ذلك قبل الغروب؛ للمبيت فيها ليلة الحادي عشر والثاني عشر، بل والثالث عشر لمن لم يتق النساء والصيد.

ويجب أن يرمى في نهار الحادي عشر والثاني عشر، بل والثالث عشر، لمن أقام ليلته في منى، الجمار الثلاث كل جمرة بسبع حصيات. ويجب فيه -زيادة على ما يجب في الرمي، كما عرفته سابقاً- الترتيب بين رمي الجمرات، بأن يبدأ بالأولى ثم الوسطى ثم جمرة العقبة. ووقت الرمي للمختار من طلوع الشمس إلى غروبها، والأفضل إيقاعه عند الزوال. ويلحقها الكلام فيما يجب من الكفارات وما تجب فيه، وما لا تجب.

فنقول: اعلم أن ما لا كفارة فيه هو صيد البحر: وهو ما يبيض أو يفرخ في الماء، أو يتولد كذلك، والدجاج الحبشى (وذبح النعم وأكلها وإن توحشت، والسباع ماشية أو طائرة إلا الأسد فإن على قاتله في الحرم كبشاً إذا لم يرده، بل وإن أرادته وكان في غير الحرم على الأحوط إن لم يكن أقوى، والعقرب والفأرة والحيات والحداد، والغراب بجميع أقسامه، والبق والبرغوث مع الأذية وعدمها، والزنبور إذا أرادته، والأحوط دفعها إذا لم يرده، وهى شيء من الطعام والله العالم. ما لكفارته بدل مخصوص على خمسة:

الأول: النعامة وفي قتلها بدنة، والأحوط بل الأقوى كونها من الإبل، وأن

ص: ٢٣

تكون مما قد دخل في السادسة، ولو عجز عن عين البدنة دفع عن قيمتها برأ، أو غيره مما يجزى في الكفارة، وتصدق لكل مسكين مدان، فإن زاد عن ستين لم يلزم، ولا يجب الإكمال لو نقص، فإن عجز صام عن كل مدّين يوماً حتى يبلغ الستين لو كانت، فلو عجز عن صوم الستين مثلاً صام ثمانية عشر يوماً.

الثاني: بقر الوحش وفيه بقره أهلية وكذا حمار الوحش، والأحوط مع ذلك بدنة، ومع العجز دفع عن القيمة ما يجزى في الكفارة، وتصدق به لكل مسكين مدان حتى يبلغ ثلاثين، ولا يلزم بالزائد ولا بإكمال الناقص، ومع العجز صام عن كل مدّين يوماً، فإن عجز صام تسعة أيام.

الثالث: الضبي وفي قتله شاء، ومع العجز يدفع عن قيمتها ما يجزى في الكفارة لكل مسكين مدان، ولا يلزم ما زاد عن عشرة، ولا إكمال الناقص، فإن عجز صام عن كل مدّين يوماً، فإن عجز صام ثلاثة أيام، وكذا قتل الثعلب والأرنب على الأصح.

الرابع: بيض النعام، وفي كل بيضة تحرك الفرخ فيها بكرة من الإبل، وإن لم يتحرك ففيه إرسال فخيل الإبل على الإناث منها، الصالحة للحمل بعدد البيض، مع حصول الطروقة فما نتج فهو هدى، وما لم ينتج فلا شيء عليه، ومع العجز فعن كل بيضة شاء، فإن عجز أطعم عشرة مساكين كل مسكين مدّ، والأحوط مدان، فإن عجز صام ثلاثة أيام.

الخامس: بيض القطا والحجل والدراج، وفي كل واحدة منه إذا تحرك الفرخ فيها بكرة من الغنم - أي صغيرة منه - وقبل التحرك أولاً فرخ، فيه إرسال الفحل في الإناث من الغنم، كما في بيض النعام، ومع العجز فعن كل بيضة شاء، وإن لم يجد أطعم لكل بيضة عشرة مساكين، فإن لم يجد صام لكل بيضة ثلاثة أيام، والله العالم.

ما لا بدل لكفارته بالخصوص خمسة:

الأول: الحمام وهو كل طائر يهدر ويعب في الماء.

ص: ٢٤

وفي قتل المحرم الحمام في الحلّ شاء، والمحلّ في الحرم درهم، والأحوط القيمة مع فرض زيادتها عليه، وفي فرخها للمحرم حمل، والأولى كونه ذكراً من الضان، مضى له أربعة أشهر، وللمحلّ في الحرم نصف درهم، والمحرم في الحرم يجتمع عليه الأمران لو قتل شيئاً من ذلك.

والبيض مع تحريك الفرخ كالفرخ، ومع عدمه على المحرم في الحلّ درهم، وعلى المحلّ في الحرم ربع درهم، والمحرم في الحرم يلزمه درهم وربع.

الثاني: في كل من القطاء والحجل والدراج، حمل قد فطم من اللبن ورعى من الشجر.

الثالث: في قتل كل واحد من القنفذ والضب أو اليربوع جدى (١).

الرابع: في كل من العصفور والقبرة والصعوة (٢) مدّ من طعام، والأحوط شاء في كل طائر عدا النعامة.

الخامس: في قتل الجراد أو أكلها تمرة.

وفي الكثير من الجراد مع إمكان التحرز عنه دم شاء، وإلا فلا شيء، وفي إلقاء القملة من جسده كفّ من طعام، وكذا قتلها، وكلّما لا تقدير لفديته ففي قتله قيمته، وكذا البيوض التي لا تقدير لفديتها.

موجبات الضمان وهي ثلاثة: مباشرة الاتلاف، واليد، والسبب.

أما الأول: فقتل المحرم الصيد في الحلّ موجب لفديته، ولو أكله لزمه فداء آخر، وفي الحرم يتضاعف الجزاء وتضمن أبعاض الصيد كما تضمن الجملة، فيكون عليه الأرش حينئذ إلفى الغزال، ففي كسر المحرم في الحلّ قرنيه نصف قيمته، أو أحدهما ربعها، وفي فقاء عينيه تمام قيمته، وفي كسر إحدى يديه أو رجله نصف قيمته، وإن فعل ذلك في الحرم فعليه مع ما سمعت دم يهريقه.

وأما الثاني: فمن أحرّم ومعه صيد زال ملكه عنه، ووجب إرساله، فلو مات ولو حتف أنفه، قبل إرساله الممكن له لزمه ضمانه من غير فرق بين الحرم وغيره،

١-١ في نجاه العباد: الجدى ابن ستّة أشهر أو سبعة.

٢-٢ في نجاه العباد: والصعوة التي هي على ما قيل عصفور صغير له ذنب طويل يرمح به.

ص: ٢٥

ولو أمسك المحرم صيداً في الحَلِّ فذبحه محرم آخر ضمن كَلِّ منهما فداءً كاملاً، ولو كانا في الحرم تضاعف الجزاء ما لم يبلغ بدنه، بل وإن بلغ في الأحوط، ولو كانا محلّين في الحرم لم يتضاعف.

وأما الثالث: فمن أغلق على حمام الحرم وفراخ وبيض ضمن بالإغلاق، فإن أرسلها سليمة زال الضمان، ولو هلكت ضمن المحرم الحمامة بشاة، والفرخ بحمل، والبيضة بدرهم.

والمحل الحمامة بدرهم، والفرخ بنصف درهم، والبيضة بربع درهم، والأحوط وجوب شاة واحدة على من نَقَرَ حمام الحرم وعاد، وعن كَلِّ واحدة شاة إذا لم يعد مُحللاً كان أو محرماً.

وإذا رمى المحرمان صيداً فأصابه أحدهما كان على كَلِّ منهما جزاء.

ولو أوقد جماعة محرمون ناراً في الحَلِّ فوقع فيها صيد؛ فإن قصدوا ذلك بإيقادها لزم كَلِّ واحد جزاء، وألا ففداء واحد، ولو قصد بعض دون بعض فلكلّ منهما حكمه.

والمحرم السائق للدابة في الحَلِّ يضمن ما تجنيه بأي جزء منها، وكذا الراكب الواقف، ولو سار ضمن ما تجنيه بيدها ورأسها كالقائد، ونحوه المحلّ في الحرم.

ويتضاعف الجزاء على المحرم في الحرم.

ولو أغرى المحرم كلبه بصيد فقتله ضمن، ولو نَقَرَ صيداً فهلك بمصادفة شيء أو أخذه جارح، أو هلك صيد آخر بمصادفته ضمن، ولو وقع الصيد في شبكه، وأراد تخليصه، فهلك أو عاب ضمن في الأحوط، كما لو خلّصه من فم هرة، أو سبع، أو من شقّ جدار، فمات في يده بما ناله من السبع مثلاً، والأقوى عدم الضمان.

ومن دلّ على صيد من المحرمين في الحَلِّ والحرم، أو المحلّين في الحرم فقتل أو جرح أو أخذ ضمن، والله العالم.

ص: ٢٦

القول في صيد الحرم

يحرم من الصيد على المحلّ فيه ما يحرم على المحرم في الحلّ، وحينئذٍ فمن قتل فيه صيداً من المحلّين كان عليه قيمته، ولو كان محرماً وجب معها الفداء إن كان ممّا له فداء، وإلّا تضاعفت القيمة للإحرام والحرم، ولا شيء على المحلّ في قتل القمل والبراغيث والنمل في الحرم.

وبالجمله فيجب على المحلّ في الحرم القيمة، وأمّا على المحرم في أكل فيجب الفداء إن كان له فداء، ووجوب الفداء مع القيمة على المحرم إن كان له فداء، وإلّا فقيمتان فيه.

والأحوط إن لم يكن أقوى فيما وجب فيه بدنه أن تجب فيه على المحرم في الحرم بدنتان، والله العالم.

القول في باقي المحظورات التي فيها الكفارة وهي سبعة:

الأول: الاستمتاع بالنساء: فمن جامع زوجته ولو أمه بالمنقطع محرماً بالحجّ فرضاً، أو ندباً قبل المشعر بعد عرفه، ولو بغيبوبة الحشفة في الفرج قبلها أو دبراً، عامداً للجماع، عالماً بالتحريم كان عليه إتمامه وبدنه والحجّ من قابل، والظاهر ترتب الأحكام على الزنا واللواط فضلاً عما لو جامع أمته، ولا شيء على الجاهل بالحكم والناسي للإحرام والمكره، ولو كانت امرأته مثلاً محرمة وطاوعته، ترتبت عليها الأحكام المذكورة، وفرق بينهما في حجة الإتمام، وحجة القضاء إذا حجّ على تلك الطريق إلى قضاء المناسك، والأولى أن يرجع [\(١\)](#) إلى مكان الخطيئة، بل الأحوط ذلك في حجة الإتمام.

والمراد بالافتراق أن لا يخلوا إلّا ومعهما ثالث صالح؛ لعدم وقوع المواقعة مع وجوده، ولو جامع عالماً عامداً بعد الوقوف بالمشعر قبل أن يطوف للنساء أو طاف منه ثلاثة أشواطٍ فما دون، أو جامع في غير الفرجين كالتفخيذ ونحوه وإن لم ينزل،

ص: ٢٧

كان عليه بدنه لا غير، وإن صحَّ حجّه.

الثاني: الطيب، وفيما يحرم منه على المحرم ابتداءً واستدامه دم شاء مع العلم والعمد، من غير فرق بين الأكل والشم والبخور والتداوى وغيرها مما يحرم منه، نعم لو سها (١) عن إزالة إلى أن أحرم أو وقع عليه وهو محرم، أو سهى فتطيب وجب إزالته، ولا- كفارة عليه بغسله بيده، والأولى غسل الحلال له، ولا يبعد تعيين غسل الحلال له إذا كان غسله هو يستلزم بقاء الطيب بيده.

الثالث: قلم الأظفار: وفي كل ظفرٍ مدّ من طعام إلى أن يبلغ العشرة أو العشرين، وحينئذ ففى أظفار يديه ورجليه فى مجلس واحد إذا لم يتخلل التكفير دم واحد، ولو كان كل واحد منهما فى مجلس لزمه دمان، والأحوط ثبوت الدم ببلوغ الخمس. والأحوط بل الأقوى التكفير بشاء بقلع الضرس بل والسن وإن لم يدم.

الرابع: لبس المخيط: من لبس المخيط حال الإحرام عالماً عاماً كان عليه دم شاء، بل لو اضطر إلى لبسه ليتقى الحرّ والبرد كان عليه ذلك أيضاً، والله العالم.

الخامس: فى حلق شعر الرأس عامداً عالماً بل مطلق إزالته شاء، أو إطعام سنّة مساكين لكل مسكين مدّان، أو صيام ثلاثة أيام، ولو لغير ضرورة، والأحوط حينئذ الشاء. كما أن الأحوط أحد الثلاثة فى شعر البدن عدا الإبطين، أما هما ففى نتفهما دم، وفى أحدهما إطعام ثلاثة مساكين. والمدار على صدق مسمى حلق الرأس، أما مع عدمه فالأحوط الدم مع المساواة لتنف الإبطين أو أزيد، والصدقة بهما كان فيما دون ذلك.

ولو مسّ لحيته أو رأسه فوقع منهما شىء ولو شعرة أطعم كفاً من طعام، ولو فعل ذلك فى الوضوء بل مطلق الطهارة لم يلزمه شىء. وفى التظليل سائراً ولو لضرورة شاء، والأحوط شاء لكل يوم، والظاهر تعدد الشاء بتعدد النسك كما فى العمرة والحج، وتحقق التغطية ولو بالرقيق الذى يحكى ما تحته.

ص: ٢٨

السادس: الجِدال، وفي الكذب منه مرّة شاء، ومرّتين بقره، وثلاثاً فما زاد بدنه، وفي الصدق منه ثلاثاً فما زاد شاء، ولا كفارة فيما دون ذلك، وإن وجب الاستغفار والتوبة.

السابع: قلع شجر الحرم غير المستثنى، ولو كان القالع حلالاً، وفي الكبيرة بقره والصغيرة شاء، وأبعاؤها قيمته، إلّا إذا أعادها إلى مكانها، أو مساوية في الجودة، وإلّا ففي الحرم، وقد عادت على ما كانت عليه، وإن لم تفدها لإعادة الكفارة بحالها، ولا كفارة في قلع الحشيش وإن أثم إلّا ما استثنى.

تتمة: إذا اجتمعت أسباب الكفارة مختلفه كالصيد واللبس، لزم لكل واحد كفارة، كفر عن الأول أو لم يكفر، بل لو كثر السبب الواحد وكان ممّا لم يفرق الشرع ولا العرف في صدق السبب من سماء بين اتحاد المجلس والوقت، وتعددهما كالصيد والوطى ونحوهما تكررت الكفارة.

وكلّ محرم لبس أو أكل عالمياً عامداً ما لا يحلّ له لبسه أو أكله، ولم يكن له مقدّر فعله دم شاء، بل هو كذلك في كلّ محرم على المحرم ممّا لم ينصّ على عدم الكفارة فيه، أو نصّ على أن فيه دماً من غير تعيين، نعم لا كفارة على الساهي والناسي والجاهل في غير الصيد، وأمّا الصيد فثبتت فيه الكفارة مع السهو والجهل، والله العالم.

القول في المصدود: وهو الممنوع من فعل النسك بالعدو.

من تلبس بإحرام الحجّ ثمّ صيدّ تحلل بمحلله من كلّ ما أحرم منه حتّى النساء، ولو خشى فوات الحجّ بغير الصّدّ صبر حتّى يتحقق ذلك، ثمّ يتحلل بعمرة مفردة.

ولا يجوز التحلل بالعلم به قبل تحقّقه على الأصحّ، ولا يتحلل المصدود إلّا بعد ذبح الهدى، أو نحره في محلّ صدّه أو بيعته، وزمان النحر من حين الصّدّ إلى ضيق الوقت عن الحجّ، ولا يجب التأخير إلى الضيق.

ص: ٢٩

القول في المحصور والممنوع من فعل النسك بالمرض:

من تلبس بالإحرام لحج، أو عمرة تمتع، أو مفردة ثم أحصر، كان عليه أن يبعث ما ساقه إن كان ساقاً، وإلا بعث هدياً أو ثمنه، ولا يحل حتى يبلغ الهدى محلّه وهو منى إن كان حاجياً، وفناء الكعبة إن كان معتمراً، كما إن زمانه يوم النحر، والأقوى إلحاق أيام التشريق، فإذا بلغ الهدى على مقتضى الوعد إن كان، وإلا فإلى أن يمضى زمان النحر قصير وأحلّ من كلّ شيء إلا النساء، فليمسك عنهنّ حتى يحجّ في القابل، أو يطاف عنه طواف النساء إن كان تطوعاً، أو واجباً غير مستقر أو مستقراً وقد عجز عن الرجوع، أما لو تمكّن من الرجوع توقّف تمام الإحلال فيه على فعل النسك. ويقوى إلحاق المستأجر والمتبرّع عن الغير بالمندوب في الاجتراء بالنيابة. ويستحبّ أن يبعث الإنسان مع أحد إخوانه ثمن أضحية ويأمره أن يطوف عنه أسبوعاً بالبيت، ويدبح عنه. فإذا كان يوم عرفه لبس ثيابه، والأولى أن تكون كتياب المحرم، وتهيأ وأتى المسجد، ولا يزال في الدعاء حتى تغرب الشمس، فإن ذاك يقوم مقام الحجّ في كلّ سنة.

والله العالم والعاصم عن الخطأ والخطأ.

حرّره في شهر رجب المرجب سنة ١٢٦٤

الهوامش:

حكم الاضحية في عصرنا

ص: ٣١

حكم الأضحية في عصرنا

ناصر مكارم الشيرازي

إدراكاً منها لأهميّة فقه الحجّ ولمسائله المستحدثة بالذات، تتمنّى مجلة ميقات الحج أن يتفضّل عليها السادة علماء وفقهاء.. ببحوثهم ودراساتهم في هذا المجال الذي تخصّصه لأفكارهم وآرائهم، وقد تفضّل سماحة المرجع الديني آية الله ناصر مكارم الشيرازي ببحثه القيم هذا، المتسم بالجدّة والدقّة، فاتحاً بذلك باب البحث والدراسة في مجلّتنا حول هذه المسألة وغيرها..

إدارة المجلة

تمهيد

حينما تشرفّت بزيارة بيت الله الحرام لأول مرّة، ذهبت الى المسلخ في منى؛ لأشاهد عن قرب نحر الأضاحي يوم العيد، فاذا بي أواجه مشهداً عجيباً، حيث رأيت أن الآلاف المؤلّفة من أشلاء الأنعام من الشياه والبقر والإبل قد غطّت أرض المسلخ بحيث كان من الصعب العبور من خلالها، في حين كانت شمس الحجاز الحارقة التي تلهب بحرارتها كلّ شيء فتعفّنها تدريجياً، دون أن يستفيد منها أحد من

ص: ٣٢

الناس خاصة المساكين.

وتبادر الحكومة السعودية- ومن أجل أن تمنع انتشار الأوبئة بين الحجيج بسبب تعفن الأضاحى بعد نحرها- إلى دفنها رغم ما يعترض هذا العمل من صعوبات. وبعد أن اطلعت على هذا الوضع سعيت- بدورى- للحصول على شاء صحيحة تتوفر فيها المواصفات المطلوبة، فتم لى ذلك، وقدمتها لبعض المساكين هناك، ولعلمهم اكتفوا ببعض منها وتركوا الباقي.

كما لاحظت وجود عدد من الفقراء المعوزين، الذين كانوا ينقلون أجزاء من الأضاحى خارج المسلخ، ولا تتجاوز نسبة ما يقتطعونه من الأضاحى فى أحسن الأحوال عشرة بالمئة، ويتلف الباقي بالدفن أو الحرق.

وكما قلنا فإن عملية الإلتلاف لا تتم بسهولة؛ ولهذا قد تُنجز بشكل ناقص مما يؤثر على أجواء منطقة منى التى تعاني من جراء ذلك من التلوث يومى الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجّة، ولا سيما المناطق القريبة من المسلخ.

ولعل الكثير من الأشخاص، الذين يدخلون المسلخ، ويشاهدون الوضع فيه، يتساءلون عن رأى الشارع المقدّس فى هذه الظاهرة، وموقف الفقهاء ومراجع الدّين منها، وهل هى من المسائل المستحدثة، أم أنّها كانت منذ عصر المعصومين وفقهاء السلف؟

فى تلك الفترة كنت من طلاب العلوم الدينية، وحديث عهد ببحوث الفقه الاستدلالي، وكنت مقلداً فى عدد من المسائل، ومنها مسائل الحج، فكانت وظيفتى الذبح، ثم طرح الأضحى فى محلّها، أو أن أقوم بعملية صوريّة عن طريق أخذ النيابة من جانب الفقير، ثم القبول من ناحيته، وتركها فى نفس المحلّ.

ولكن بعد أن حصلت على قدرة أكثر فى استنباط المسائل، استغرقت فى التفكير، وعزمت على ملاحظة أدلّة المسألة بالدقّة والتأمل

اللائقين، وعدم

ص: ٣٣

الاعتناع بأن الآخرين قد فعلوا كذا فعلينا أن نفعله أيضاً، خصوصاً بعد أن صارت المسألة أعقد بانتقال جميع المذابح من منى إلى خارجها (غير مثلث صغير يكفي لجماعة قليلة من الحجّاج فقط) مع أنّ من شروط صحّة الأضحية عند فقهاء الشيعة كونها في منى، وعدم كفاية ما يقع في خارجها، ولذلك تفحصت جميع روايات أبواب الذبح بدقّة وتدبّر، وتعمّقت في كلمات القوم وفتاوى الفقهاء الكرام واستدلالاتهم، وناقشت بعضهم، وسعيت لأن أفرغ ذهني من الجوّ الموجود حتّى أفتى في المسألة مع فراغ البال، وعدم انجذاب الفكر إلى أيّ شيء غير الأدلّة المعتمدة - كما حصل في قصّة العلامة الحلّي رحمه الله في حكمه بردم بئر داره، ثمّ الفحص عن أدلّة اعتصام ماء البئر، وفي النهاية أفتى بالاعتصام خلافاً لجميع ما كانوا قبله - فانتبهت إلى أنّ مثل هذه الأضاحي ليست مجزية لوظيفة الحج، وعلى الحجّاج الاجتناب عنها، والاحتياط بالإتيان بها في أيام ذى الحجّة في أوطانهم أو مكان آخر. ولهذا عزمت على بيان ما ثبت لي من الدليل على هذه الفتوى - مع أداء التكريم والاحترام لجميع المراجع والفقهاء العظام - حتّى يفتح بذلك للسائر باب بحثٍ أكثر وفحصٍ أبلغ حول هذه المسألة المهمّة.

محاوّر البحث

وقبل كلّ شيء لا بدّ من أن نعلم أنّ لمسألة الأضحية في زماننا هذا ثلاث حالات:

- ١- إذا أمكن إيقاع الذبح في منى (أو في المذابح الموجودة اليوم في صورة عدم إمكانها في منى) وصرف لحوم الأضاحي في مصارفها، بحيث لا يلزم الإتلاف والدفن والإحراق، فلا إشكال في تقدّمه على أيّ شيء آخر.
- ٢- إذا لم يوجد المستحقّون في منى، ولكن يمكن نقل اللحوم إلى خارج منى، أو إلى خارج المملكة السعودية بتجفيف اللحم، أو استخدام

ص: ٣٤

إحدى الوسائل الحديثه، لحفظه وتعبثته في علب تدرأ عنه الفساد، ثم صرفه للمستحقين، يجب الذبح أيضاً في منى ثم النقل الى خارجها.

٣- إذ استعصت الحالتان السابقتان بحيث لم يبق أمامنا إلا الإتيان أو الإحراق، فيجب ترك الذبح في منى، وعزل قيمة الهدى على الاحتياط اللازم، والإتيان بسائر المناسك، ثم الذبح في الوطن أو محل آخر بعد الرجوع، والأولى في صورة الإمكان، التنسيق والاتفاق مع بعض أهل والأصدقاء للذبح يوم الأضحى في الوطن، والتقصير بعده (لكن هذا ليس بواجب لأنه يوجب العسر والجرح على كثير من الحجاج).

والدليل على ذلك أمور ثلاثة:

الأمر الأول: عدم الإطلاق في روايات الأضحية

لا إشكال في أن مسألة الأضحية بشكلها الفعلي في يومنا هذا من المسائل المستحدثة، التي لا سابق لها في عصر النبي صلى الله عليه و آله والأئمة عليهم السلام وذلك لقله عدد الحجاج يومذاك، وكثرة المستحقين بحيث كانت اللحوم تصرف جميعها في أيام الحج. ولعلّ بداية الوضع الفعلي قد حصلت في القرن الأخير؛ ولذلك يخبر المعتمرون أن لحوم الأضاحي كانت تصرف بسرعة في منى وخارجها. وبهذا يظهر أن وجه عدم طرح هذه المسألة في كتب الفقهاء السابقين، إنما هو عدم ابتلائهم بها.

والمستفاد من الروايات أيضاً صرف لحوم الأضاحي بتمامها في عصر النبي صلى الله عليه و آله في الأيام الأولى بعد الذبح، بحيث نهى عن ادّخارها أكثر من ثلاثة أيام؛ وذلك لكثرة المستحقين في ذلك العصر:

منها: ما رواه محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال: كان النبي صلى الله عليه و آله نهى أن تحبس لحوم الأضاحي فوق ثلاثة أيام من أجل الحاجة، فأما اليوم فلا

ص: ٣٥

بأس به (١).

ومثله الحديث الثالث من الباب نفسه عن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام أيضاً.

ومنها: ما رواه أبو الصلاح عن الصادق عليه السلام وحنان بن سدير عنه أيضاً، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن اللحوم الأضاحى بعد ثلاث، ثم أذن فيها وقال: كلوا من لحوم الأضاحى بعد ذلك وادّخروا (٢).

فيستفاد من هذه الروايات وروايات أخرى صرف اللحوم بتمامها، أو جعلها على الأقل بصورة القديد لادّخارها لأيام أخرى (وكان الادّخار ممنوعاً في بداية الأمر لكثرة المحتاجين ثم أذن فيه). بل يستفاد منها منع إخراج اللحوم من منى؛ لكثرة الحاجة إليها، نعم بعد أن كثرت اللحوم وقلّ المستحقون أجزى نقلها إلى خارج منى.

ففي حديث محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن إخراج لحوم الأضاحى من منى، فقال: كُنّا نقول: لا يخرج منها بشيء لحاجة الناس إليه، فأما اليوم فقد كثر الناس فلا بأس بإخراجه (٣).

وعلى أى حال، فإنّ مدلول مجموع هذه الروايات صرف لحوم الأضاحى فى أعصار الأئمة المعصومين عليهم السلام أيضاً إما فى الأيام الأولى من الحج فى منى، أو فى أيام أخر فى مكة، أو خارج مكة، وأما ما نشاهده اليوم من دفنها أو إحراقها هو أمر مستحدث لا وجود له فى السابق، ولذلك فإن من المشكل جداً إطلاق الروايات بحيث يشمل تمام صور المسألة حتى صورة الدفن أو الحرق؛ لأنّ المصداق الموجود فى عصرنا إنما هو من قبيل الفرد النادر أو الفرد المعدوم فى عصر نزول آيات الهدى وصدور روايات الأضحية.

إن قيل: ندره المصداق أو عدم وجوده، لا- يوجب عدم شمول إطلاق أو عموم بالنسبة إليه، وإنما لم يجر التمسك بالتعميمات والإطلاقات للمصداق المستحدث من

١-١ الوسائل: الباب ٤١ من أبواب الذبح، الحديث ٤.

٢-٢ الباب نفسه، الحديث ١.

٣-٣ الوسائل: الباب ٤٢ من أبواب الذبح، الحديث ٥.

ص: ٣٦

موضوعات الاحكام كالتمسك بعموم «أوفوا بالعقود» لصحة عقد التأمين مثلاً.

قلنا: إنه كذلك، أى التمسك بتلك التعميمات أو الاطلاقات فى باب العقود المستحدثه لمشكلة لنفس الإشكال، وطريق حل مشكلة هذه العقود فى محله منحصر بإلغاء الخصوصية القطعية العرفية فى الموارد، التى يمكن ذلك فيها. ولا إشكال فى أن الخصوصية موجودة فى محل البحث يقيناً، فلا يمكن إلغاؤها؛ لأنه لا يمكن لأحد دعوى اليقين أو الاطمئنان بعدم الفرق بين الذبائح، التى تصرف لحومها، والتى تعدم بالدفن أو الحرق.

بل المستفاد من ظاهر الآيات أن الأضحىة المطلوبة فى الشريعة الإسلامية إنما هى ما تصرف لحومها للفقراء والمساكين، قال الله تبارك وتعالى: والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتّر (١).

فالمستفاد من هذه الآية خصوصاً بقرينه الفاء فكلوا... جعل الأضحىة فى سبيل الإطعام، ولزوم تمتع المضحى والقانع والمعتّر- القانعون من الفقراء والمعتّرون منهم- من لحومها، ومن الواضح أن الآية ليست ناظرة إلى الموارد، التى لا- يتمتع منها المضحون والقانعون والمعتّرون بل تلتهمها حفر الأرض ومصاهر النار.

إن قيل: لعل مفهوم قوله تعالى بعد الآية المزبورة: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى (٢)

عدم موضوعية للصرف، وأنّ المهم إنما هو التقوى والتيات الخالصة حين الذبح.

قلنا: يلزم هذا الاستنباط من الآية عدم لزوم إراقه الدم أيضاً؛ لأنها تقول: لن ينال الله لحومها ولا دماؤها وهو خلاف المطلوب، فالصحيح أن يقال: إن المقصود فى الآية أن قيمة إراقه الدم، وصرف المضحى لحومها لنفسه ولغيره، إنما هى

١-١ الحج: ٣٦.

٢-٢ الحج: ٣٧.

ص: ٣٧

فيما إذا كانت الأضحية ملازمة لقصد القرية وخلوص التية، فهو نظير ما إذا قلنا: إن قيامكم أو قعودكم فى الصلاة ليس بمهم، إنما المهم هو إخلاص التية، وقصد التقرب إلى الله تعالى. ونظير الآية المزبورة والبدن جعلناها لكم ... فى الدلالة على لزوم الصرف، وموضوعية التمتع من اللحوم. وهناك آية أخرى من سورة الحج وهى:

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ... ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (١).

ولو سلمنا فى أن صيغة «كلوا» فى هذه الآية تأتى فى مقام دفع توهم الحظر من أكل المضحى، فلا دلالة لها على الوجوب (كما قال به كثير من الفقهاء والمفسرون) فلا إشكال فى دلالة «أطعموا» على وجوب صرف اللحوم فى الفقراء، كما تدل عليه الروايات الواردة فى أبواب الذبح أيضاً.

إن قيل: لعل المسألة من قبيل تعدد المطلوب، فكانت إراقه الدم فى منى أمراً مطلوباً، وصرف اللحوم فى المصارف المنصوصه هو الآخر كان أمراً مطلوباً، فإذا لم يقدر المكلف على إتيان أحدهما (وهو صرف اللحوم) لم يسقط الآخر وهو إراقه الدم فى منى.

قلنا: ظاهر الأمر فى الآية الشريفة وما تفرع عنها هو وحدة المطلوب، وإن تعدد المطلوب يحتاج إلى قرينة مفقودة فى المقام، بل القرينة قائمة على خلافه؛ لظاهر التفرع بالفاء، وبالجملة على مدعى التعدد تقديم القرينة. هذا - مضافاً إلى ما مر من عدم سبق إراقه الدم بدون صرف اللحوم فى عصر نزول القرآن وأعصار المعصومين حتى يدعى التعدد، فإن تعدد المطلوب يرجع الى نوع من الإطلاق وشمول الدليل، والإطلاق بالنسبة الى مصداق، فرع وجود ذلك المصداق، كما أشرنا إليه سابقاً.

إن قيل: لازم وحدة المطلوب سقوط الهدى، فإن المطلوب الواحد

ص: ٣٨

ينتفى بانتفاء قيده، وهو فى مقام وقوع الهدى فى منى أولًا، وصرفه فى الفقراء ثانيًا، فانتفاء الأول بانتقال المذبح الى خارج منى، وانتفاء الثانى بإعدام اللحوم بالدفن أو الحرق يوجب انتفاء أصل الهدى وسقوطه عن الوجوب.

قلنا: هذا وإن كان محتملاً بحسب صناعة الفقه، ولكنه مخالف للاحتياط قطعاً، خصوصاً بعد ملاحظة عدم إسقاط الشارع المقدس الهدى فى مورد من الموارد، حتى بالنسبة إلى من لم يجد ثمن الهدى، فأوجب عليه بدل الهدى الصيام ثلاثة أيام متوالية فى الحجّ، وسبعة بعد الرجوع إلى أهله.

وفيما نحن فيه حيث إنه واجد لثمن الهدى، ودليل الصيام مختصّ بمن لم يجد، فلا أقلّ من أن مقتضى الاحتياط إتيان الهدى فى محلّ آخر.

وبعبارة أخرى عدم سقوط الهدى فى جميع الموارد، دليل على أنه إذا لم يكن الهدى فى منى وجب إتيانه فى محلّ آخر، إلّا إذا لم يكن واجداً للثمن، فيأتى ببدله وهو الصيام.

إن قيل: إتيان الهدى بالقيدين المذكورين (وقوع الذبح فى منى، وصرّف لحوم الهدى معاً) متعذر غالباً فى الأوضاع الحالية، فلا بدّ من ترك أحدهما والإتيان بالآخر، فإمّا أن يأتى بالهدى فى منى مع عدم صرف لحومها، وإما أن يترك ذبح الهدى فى منى ويأتى به فى خارجها، مع صرف اللحوم فى مصارفها، وإنّ ترجيح أحد القيدى على الآخر محتاج الى دليل.

قلنا: أولًا: جميع المذابح فى يومنا هذا خارج منى، وثانيًا: ليس القيدان على حدّ سواء، فإنّ صرف اللحوم فى مصارفها من مقدمات الهدى فى نظر العرف وأهل الشرع، ومن البعيد جدًّا أن يكون لمجرد إراقه الدم موضوعيّه، لا سيما قد جرّ ذلك إلى الإسراف، أو التبذير الحرام فى رأى الشارع المقدّس، وسيأتى شرحه فى المباحث اللاحقة.

وحينئذ فإنّ ترجيح أحد القيدى على الآخر - أى إيقاع الهدى خارج منى، وصرّف اللحوم فى

ص: ٣٩

مصارفها- ليس من قبيل الترجيح بلا مرجح.

ومما يدل على ذلك دلالة قويّة ما ورد في أبواب الذبح عن الامام الصادق عليه السلام، عن آبائه عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنما جعل هذا الأضحى؛ لتشبع مساكينكم من اللحم فأطعموهم» (١).

وإذا تأملت هذه الرواية علمت أن الأضحى، التي تقدّم في أيّامنا هذه لا تصرف لإطعام الفقراء وإشباعهم، فهي على ذلك خارجة عن نطاق أوامر الشرع.

والرواية وإن ذكرها صاحب الوسائل في أبواب الأضحى المستحبّة، ولكن مفادها عام يشمل الجميع.

إن قيل: هل وجدتم في لسان الروايات مورداً أمر الشارع فيه بإيقاع الهدى خارج منى؟ أليس هذا من قبيل الإتيان بالطواف أو السعى في غير مكّة؟

قلنا: توجد موارد عديدة في روايات الباب توجب إيقاع الهدى خارج منى:

منها: المصدود- وهو من أتى بهدى، ومنع من الدخول في الحرم أو مكّة- إذا ساق هدياً فالروايات وفتاوى المشهور من الفقهاء العظام متفقّة على وجوب ذبحه في نفس محلّ الصدّ، فلو كان الهدى في غير منى كالطواف في غير مكّة، سقط الهدى ولم يكن الهدى خارج منى جائزاً (٢).

ومنها: رجل ساق الهدى فعطب في موضع لا يقدر على من يتصدّق به عليه، فعليه أن ينحره أو يذبحه، ويكتب كتاباً أنه هدى، يضعه عليه؛ ليعلم من مرّ به أنه صدقة، ويأكل من لحمها إن أراد (٣).

فهذه الروايات تدلّ بشكل قوى أوّلياً: على جواز الهدى خارج منى في موارد الضرورة. وثانياً: على لزوم السعى في صرف لحومه بإعلام المستحقّين ابتداءً، وفي صورة عدم حضور المستحقّين بنصب علامة تدلّ على أنه هدى وصدقة يجوز للمؤمنين

١- ١ الوسائل، الباب ٦٠ من أبواب الذبح، الحديث ١٠.

٢- ٢ راجع الباب ٦ من أبواب الإحصار والصدّ، الوسائل.

٣- ٣ راجع الباب ٢١ من أبواب الذبح.

ص: ٤٠

والمستحقين الأكل منه.

إن قيل: ألا يمكن هذا في مذابح منى في يومنا هذا، أى يكتب كتاباً، وينصب على الأضاحى حتى يستفيد منها المستحقون؟ قلنا: المفروض فى المقام عدم وجود المستحق مطلقاً، بحيث لا محيص عن دفنها، أو إحراقها كما نشاهده فى كل عام، ومن المعلوم لغويّة الكتابة والنصب فى هذه الحالة.

نعم لو وجدنا مستحقين فى منى، ولو بالنسبة إلى بعض الأضاحى، يجب ذبحها فى منى، ولا يجوز العدول عن ذلك فى خصوص هذه الموارد.

الأمر الثانى: نقل جميع المذابح من منى

إننا نعلم بانتقال المذابح فى يومنا هذا إلى خارج منى إلّا القليل منها، ولا يمكن لجميع الحجاج إتيان الهدى فيها إلّا للأقل من القليل، وعلى هذا حتى لو رفعنا أيدينا عن أدلة حرمة الإسراف- التى سيأتى بيانها- وفرضنا شمول أدلة الذبح لصورة فساد اللحوم، كان الإشكال باقياً على حاله، فإن إجماع العلماء على لزوم وقوع الذبح فى منى، والروايات أيضاً تصرّح بأنه «إن كان هدياً واجباً فلا ينحر إلّا بمنى» (١)

وفى بعض الروايات: «لا ذبح إلّا بمنى» (٢)

، وعلى أىّ حال، العمل بهذا الواجب غير ممكن، وحيث إن قلنا: إن إيقاع الذبح فى منى شرط فى صحته مطلقاً سواء فى الاختيار والاضطرار، فلازمه سقوط الذبح من الأساس؛ لأن المشروط ينتفى بانتفاء شرطه، نظير ما إذا قلنا: إن الصلاة غير واجبة على فاقد الطهورين؛ لأن الطهارة شرط على الإطلاق، وإن قلنا بأنه شرط حال الاختيار فقط، فلازمه سقوط هذا الشرط حال الاضطرار، ووجوب الإتيان به فى محل آخر من دون فرق بين وادى محسّر وغيره؛ لعدم الدليل على لزوم رعاية الأقرب فالأقرب.

إن قيل: جاء فى غير واحدة من الروايات جواز الذبح فى مكّة، مثل

١- ١ الوسائل: الباب ٤ من أبواب الذبح، الحديث ١.

٢- ٢ الوسائل: الباب ٤ من أبواب الذبح، الحديث ٦.

ص: ٤١

معتبرة معاوية بن عمار فى قوله: «قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إن أهل مكة أنكروا عليك أنك ذبحت هديك فى منزلك بمكة، فقال: إن مكة كلها منحرة» (١).

، وفى معناه غيره.

والجمع بينها وبين ما دلّ على أنّ الذبح لا يكون إلّا بمنى، يقتضى حملها على صورة عدم إمكان الذبح بمنى.

قلنا: أولاً لا بدّ من حمل هذه الروايات على الهدى غير الواجب؛ لورود التصريح بأنه «إن كان هدياً واجباً، فلا ينحره إلّا بمنى، وإن كان ليس بواجب فلينحره بمكة إن شاء» (٢).

وثانياً: لو كان الذبح فى منى أمراً مستحباً لم يصح الاعتراض عليه عليه السلام.

وثالثاً: سلمنا، ولكن الذبح بمكة أيضاً متعديراً فى زماننا هذا، نعم يمكن ذلك لأفراد قليلين، لكنه لجميع الحاجّ أو عشر من أعشارهم غير ممكن، فلا تفيد هذه الروايات فى حلّ هذه المشكله، وأين مكة من وادى محسّر؟!

قد يقال: إنّ المرتكز فى أذهان المتشرّعة من المسلمين: أن محلّ إيقاع مناسك الحجّ وشعائره ليس إلّا مساحة الأرض، التى تحيط ببيت الله الحرام - زادها الله شرفاً وعزاً - ولا - يجزى ما يؤتى بها فى خارج هذه القطعة من وجه الأرض إلّا عدد يسير مما نطقت به الأدلة: كالإحرام من مسجد الشجرة، وكصيام سبعة أيام بدل الهدى. والظاهر أنّ هذا الارتكاز لا يفرّق بين حالتى الاختيار والاضطرار، وهذا الارتكاز وإن لم يكن مما ينبغى أن يعتمد عليه فى الجزم بالحكم الشرعى، إلّا أنه مما يمنع عن الركون إلى خلاف ما يقتضيه فى استنباط الحكم الشرعى.

قلنا: هذا أشبه شىء بالاستحسان الظنى، ولا يمكن الركون اليه، كما اعترف به صاحب هذا الإشكال، وإذا لم يكن ممّا يمكن الركون إليه، فلماذا يمنع عن الركون إلى خلاف ما يقتضيه؟! هذا، مضافاً إلى أنّ الذى لا يجوز الإتيان به من المناسك فى غير هذه القطعة من الأرض أمور خاصّة:

١- ١ الوسائل: الباب ٤ من أبواب الذبح، الحديث ٢.

٢- ٢ الباب نفسه، الحديث ١.

ص: ٤٢

كالوقوف بعرفات ومنى والمشعر والطواف والسعى مما يكون قوامه بالمحلّ الخاص، ولكن غير واحد من المناسك قد يؤتى بها فى غير هذه القطعة كركعتى الطواف، فقد أفتى فقهاؤنا- رضوان الله عليهم- بأنه إذا نسيها، ولم يأت بها، وخرج من مكّة، ولم يمكنه الرجوع إليها، يأتى بهما فى الطريق، وإذا تذكّر بعد الرجوع إلى وطنه، يأتى بهما فى وطنه، وقد صرّحت بذلك روايات الباب أيضاً:

منها: ما رواه أبو بصير- يعنى المرادى- قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسى أن يصلّى ركعتى طواف الفريضة خلف المقام، وقد قال الله تعالى: واتخذوا من مقام إبراهيم عليه السلام مصلى حتى ارتحل، قال: إن كان ارتحل فإنى لا أشقّ عليه، ولا أمره أن يرجع، ولكن يصلّى حيث يذكر» (١).

ومثله ما رواه أبو الصباح الكنانى (٢) عن أبى عبد الله عليه السلام.

ومنها: ما رواه عمر بن يزيد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «من نسى أن يصلّى ركعتى طواف الفريضة حتى خرج من مكّة، فعليه أن يقضى، أو يقضى عنه ولئيه، أو رجل من المسلمين» (٣).

ومنها: ما رواه معاوية بن عمّار، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: رجل نسى الركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام فلم يذكر حتى ارتحل من مكّة، قال:

فليصلهما حيث ذكر، وإن ذكرهما وهو فى البلد، فلا يبرح حتى يقضيهما» (٤).

هذا بالنسبة إلى ركعتى الطواف.

وأما بالنسبة إلى الهدى الذى هو محل الكلام فقد مرّ أنه إذا كان معه الهدى، وعطب فى بعض الطرق، ومرض بحيث يخشى هلاكه، يجوز نحره، أو ذبحه فى محله، وإن كان بينه وبين الحرم مسافة بعيدة، كمن خرج من مسجد الشجرة قاصداً مكّة وبعد طيّ مسافة قليلة مرض هديه وعطب، ففى رواية حفص بن البختري قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: «رجل ساق الهدى،

١-١ الوسائل: الباب ٧٤ من أبواب الطواف، الحديث ١٠.

٢-٢ الوسائل: الباب ٧٤ من أبواب الطواف، الحديث ١٦.

٣-٣ الباب نفسه، الحديث ١٣.

٤-٤ الباب نفسه، الحديث ١٨.

ص: ٤٣

فقطب فى موضع لا يقدر على من يتصدق به عليه، ولا يعلم أنه هدى قال: ينحره، ويكتب كتاباً أنه هدى يضعه عليه؛ ليعلم من مر به أنه صدقة» (١)

. ومثله سائر روايات الباب فراجع.

ومرّ أيضاً ذكر المصدود إذا ساق هدياً، وأن الروايات وفتاوى المشهور متفقاً على وجوب ذبحه فى نفس محلّ الصدّ، ففى حديث زرارة عن أبى جعفر عليه السلام: «فإنّ المصدود يذبح حيث صدّ، ويرجع صاحبه...» (٢).

وفى رواية حمران عن أبى جعفر عليه السلام: قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين صدّ بالحديبية قصير وأحلّ ونحر، ثم انصرف منها...» (٣).

وكذلك بالنسبة إلى التقصير، فقد ورد التصريح فى جملة من الروايات بجوازه خارج تلك القطعة المعروفة من الأرض: منها: ما مرّ آنفاً فى الرواية الأخيرة (رواية حمران) من أن رسول الله قصّر فى الحديبية.

ومنها: ما رواه مسمع قال:

«سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل نسي أن يحلق رأسه أو تقصّر حتى نفر. قال: يحلق فى الطريق أو أين كان» (٤)

. ومثلها الرواية السادسة من نفس الباب.

هذا- مضافاً الى ما اعترف به صاحب الإشكال من خروج الإحرام، الذى هو من مناسك الحج عن تلك القطعة، فإن المواقيت كلها خارجة عن الحرم، وكذا صيام سبعة أيام بدل الهدى.

فتحصّل مما ذكرنا أن كثيراً من مناسك الحج يجوز فعلها خارج المواقيت الخاصّة عند الاضطرار، ولا سيّما نفس محلّ الكلام وهو الهدى؛ لما مرّ من رواية حفص البخترى، فيمن كان معه الهدى، وعطب فى بعض الطرق، وروايتى حمران وزرارة فى المصدود، فلو كان الهدى ممّا يقوم بتلك القطعة من الأرض كالوقوفات والسعى والطواف، لم يجز إتيانه خارجها اختياراً واضطراً.

١-١ الوسائل: الباب ٣١ من أبواب الذبح، الحديث ١.

٢-٢ الوسائل: الباب ١ من أبواب الإحصار والصدّ، الحديث ٥.

٣-٣ الوسائل: الباب ١ من أبواب الإحصار والصدّ، الحديث ١.

٤-٤ الوسائل: الباب ١ من أبواب الإحصار والصدّ، الحديث ١.

ص: ٤٤

إن قيل: مقتضى القاعدة عند تعدد الذبح بمنى، وإن كان جواز الذبح في أي مكان آخر يختاره الحاج، إلّا أن هذا إنّما يصحّ القول به لو لم يتوفر دليل على ثبوت بدل اضطراري بمنى، والدليل على ذلك موجود، وهو موثق سماعه في قوله: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«إذا كثر الناس بمنى وضاعت عليهم كيف يصنعون؟ قال: يرتفعون الى وادي محسر» (١) فإنّ المتفاهم العرفي من هذه المعبرة قيام وادي محسر مقام منى عند كثرة الحجاج، وضيق منى عن استيعابهم في جميع ما هو وظيفة الحاج فيها، حتّى بالنسبة إلى ذبح الأضحية. قلنا: هذا الاستدلال ضعيف جداً؛ لأن ظاهر الرواية أنها واردة في مورد الوقوف في منى، لا مطلق ما يؤتى به في منى، وحينئذ قياس الأضحية على الوقوف قياس مع الفارق، فإنّ الوقوف قائم بمنى نفسها، فإنه لا معنى للوقوف في غيرها، فعند التعدد يرتفع الحاج بمقتضى هذه الرواية الى وادي محسر، وأما الأضحية فقد عرفت أنه قد تتفق في غير منى أيضاً، فقياسها على الوقوف قياس مع الفارق، وهو غير جائز عندنا.

الأمر الثالث: حرمة الإسراف والتبذير

إن القرآن الكريم نهى عن الإسراف نهياً شديداً، وواجه المسرفين مواجهةً عنيفةً، فقال تبارك وتعالى في سورة الأنعام: ولا تسرفوا إنّهُ لا يُحب المسرفين (٢)

وقال في تعبير أشدّ في سورة غافر: وأنّ المسرفين هم أصحاب النار (٣)

وقال في آية أخرى من هذه السورة: إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (٤)

، وفي سورة الأنبياء جعل الإسراف من دلائل الهلاك والمحق وقال: وأهلكنا المسرفين (٥)

، بل جعل في سورة الفرقان عدم الإسراف حتى في الإنفاق من علائم عباد الرحمن - مع أن الإنفاق عمل مطلوب

١-١ الوسائل: الباب ١٢ من أبواب احرام الحج والوقوف، الحديث ٤.

٢-٢ الانعام: ١٤١.

٣-٣ غافر: ٤٣.

٤-٤ غافر: ٢٨.

٥-٥ الأنبياء: ٩.

ص: ٤٥

مستحسن، حت عليه الشارع فى آيات كثيرة- فقال: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً (١). ونهى القرآن عن التبذير أيضاً بأسلوب شديد اللهجة، فعرف المبذرين بأنهم إخوان الشياطين حيث قال: وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً (٢). وقد وقع الكلام بين المحققين فى بيان الفرق بين الإسراف والتبذير، والذى يظهر- من خلال الدقة والتأمل- أن الإسراف بمعنى الخروج عن حد الاعتدال والاقتصاد من دون تضييع شىء بحسب الظاهر كلبس الثياب الثمينة القيمة، التى تساوى قيمتها أضعاف قيمة الثياب العادية مئات المرات مثلاً، فهو إسراف، وفى نفس الحال لم يضيع شىء، ولكن التبذير هو ما يؤدى الى تضييع نعم الله تعالى، كما اذا هتأ لعشره أشخاص مثلاً طعام خمسين شخصاً بحيث يطرح الزائد ويفسد.

هذا هو الفرق بين الكلمتين، الذى يفسره المعنى اللغوى لهما، وربما اتحدا واستعملا فى معنى واحد.

ثم إن دائرة مفهوم الإسراف أو التبذير واسعة بحيث تشمل أحسن الأشياء، فضلاً عن الموضوعات المهمة والأشياء الثمينة، فقد جاء فى حديث داود الرقى، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«إن القصد يحبه الله عزوجل، وإن السرف يبغضه، حتى طرحك النواة فإنها تصلح لشىء، وحتى صبك فضل شرابك» (٣).

وفى حديث بشر بن مروان، قال: «دخلنا على أبى عبد الله عليه السلام فدعى برطب، فأقبل بعضهم يرمى بالنوى، قال: فأمسك أبو عبد الله عليه السلام يده، فقال: لا تفعل، إن هذا من التبذير، والله لا يحب الفساد» (٤).

وفى حديث مكارم الأخلاق عن الصادق عليه السلام:

«أدنى الإسراف هراقة فضل الإناء، وابتدال ثوب الصون،

١-١ الفرقان: ٦٧.

٢-٢ الإسراء: ٢٦-٢٧.

٣-٣ بحار الانوار ٧١: ٣٤٦.

٤-٤ بحار الانوار ٧٥: ٣٠٣.

ص: ٤٦

وإلقاء النوى» (١) وعن الكاظم عليه السلام:

«... ولكن السرف أن تلبس ثوب صونك فى المكان القذر» (٢). بل جاء فى روايات عديدة أن الأئمة عليهم السلام كانوا يأخذون فئات الخبز المطروحة فى حواشى المائدة، ويأمرون به أصحابهم خشية الإسراف والتبذير.

إذا عرفت ذلك، فلا يخفى عليك أن ذبح الأضحى مع دفنها أو إحراقها، أو طرحها حتى تتعفن بحيث لا تأكلها الكلاب أيضاً، من أوضح مصاديق الإسراف والتبذير الممنوعين شرعاً، ولا سيما إذا كان بهذا المقدار والعدد الكبير، الذى قد يبلغ المليون أو أكثر، فهل يرضى الشارع الحكيم بمثل هذا الإسراف الفاحش؟ وما الدليل على خروجه عن محكمات الآيات والروايات الواردة فى حرمة الإسراف والتبذير حتى فى النواة وفضل ماء الشرب؟
فإن قيل: هذا فى طريق إطاعة أمر الله.

قلنا: هذه مصادرة على المطلوب، فإن تعلّق الأمر به أوّل الكلام، كما عرفت فيما سبق، مع أن كونه من المصاديق العرفية للإسراف والتبذير لا ريب فيه، فتعمّه اطلاقتهما بلا ريب.

والخلاصة: أن قوة إطلاقات أدلة الإسراف والتبذير واستحكامها يكون إلى حدّ تعمّ تضييع أحسن الأشياء، فضلاً عن تضييع المئات والآلاف من نعم الله.

إذا عرفت هذا، فيأتى الكلام فى أنّه ما النسبة بين الدليلين: دليل وجوب الأضحى، ودليل حرمة الإسراف؟

تارة نقول: إن دليل وجوب الأضحى لا إطلاق له بالنسبة إلى مصاديق يومنا هذا - كما هو الحق - فلا كلام ولا إشكال. وتارة أخرى نقول بأن له إطلاقاتاً يشمل ما نحن فيه، فإن كانا من قبيل المتعارضين كانت النسبة بينهما العموم من وجه، واللازم تقديم تعميمات الإسراف؛ لأنها أقوى دلالة على المطلوب، فإن

١ - ١ بحار الأنوار ٧٥: ٣٠٣، والمراد من ثوب الصون هو: الثوب القى يلبس فى خارج البيت حفظاً لمكانة الإنسان، فإن لبسه فى المكان القذر أو مثله نوع من التضييع والإسراف، وهو منتهى عنه.

٢ - ٢ بحار الأنوار ٧٩: ٣١٧.

ص: ٤٧

الأضحية فى يومنا هذا من أظهر مصاديقه، واما أدلة الأضحية فإطلاقتها أضعف منها بالنسبة الى ما نحن فيه؛ لأنه من أخفى مصاديقها. سلمنا أنهما متساويان من حيث القوة والضعف، والظهور والخفاء، فاللازم التساقط فى محلّ الاجتماع، فيرجع الى الأصول العملية، والأصل العملى فى المقام هو: البراءة؛ لأنه من قبيل الأقل والاكثر الارتباطيين، والمعروف بين المعاصرين والقريبين من عصرنا إجراء البراءة فيه وهو الأقوى، فيسقط الأمر بالأضحية هنا، وإن كان الاحتياط فعلها فى محل آخر، لا يحصل من الأضحية فيه الإسراف والتبذير.

هذا كله إذا قلنا: إنهما يتعارضان.

وإن قلنا: إن هذين من قبيل المتراحمين، وإن ملاك الأضحية موجود فى مثل هذه الأضاحى، كما أنّ ملاك الإسراف أيضاً موجود فيها، فاللازم الأخذ بأقوى الملاكين، ولا دليل على أن ملاك الأضحية أقوى، بل الأمر بالعكس. ولكنّ الإنصاف أن المقام ليس من قبيل المتراحمين، فإن وجود ملاك الأضحية فى المقام دعوى بلا دليل، فاللازم معاملة المتعارضين معهما. إن قيل: وجود ملاك الإسراف أيضاً دعوى بلا دليل.

قلنا: يلزم هذا الكلام الشكّ فى وجود أحد الملاكين إجمالاً، وهذا اعتراف بخروج المقام عن بحث التراحم، ودخوله فى مسألة التعارض، فيعود الكلام السابق فيه.

هذا كله على سبيل المماشاة، وإلّا قد عرفت أنّه لا- ينبغى القول: بشمول إطلاقات الأضحية للموارد، التى لا- تصرف فيها لحوم الأضاحى، فيما يلزم صرفها فيه، مع قطع النظر عن دليل الإسراف، ومع ملاحظته، فالأمر أوضح (١).

١- ١ جدير بالذكر أنّا بعد صدور الفتوى المزبورة من سماحة الاستاذ دام ظله وقفنا على رأى اثنين من العلماء، صرّح كل منهما بصورة كاملة بعدم أجزاء الأضاحى، التى لا تصرف لحومها، ويكون مصيرها الدفن فى يومنا، فيجب صرف النظر عن مثل هذا الهدى. وقد ذكر كل واحد منهما أيضاً أدلة موجزة لإثبات ذلك: وهما: آية الله الشيخ محمّد جواد مغنية قدس سره من مشاهير عصرنا، وله تأليفات عديدة فى الفقه والأصول والتفسير، وشتى المسائل الإسلامية والمعارف الدينية، فإنّه أشار إلى هذه المسألة فى كتابه الفقهي الموسوم ب «فقه الإمام جعفر الصادق» المجلد ٢، كتاب الحج، الصفحة ٢٤٤. والشهيد آية الله السيد محمّد الحسينى البهشتى قدس سره- مقامه العلمى لا يحتاج الى شرح وتوضيح- فإنّه أشار إلى هذا الموضوع فى كتابه «حج در قرآن» الصفحة ٩٠- ٩١. فعلى الإخوة الباحثين فى هذه المسألة المهمّة والمهتمين بحلّ مشكلة الأضحية فى يومنا هذا، الرجوع إلى هذين المصدرين أيضاً.

ص: ٤٨

الهوامش:

البيت الحرام

ص: ٥٠

البيت الحرام

محمد مهدي الآصفي

(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) (١).

يطلق «البيت الحرام» في القرآن على الكعبة المشرفة، وتتضمن هذه الكلمة مفردتين:

(البيت) و (الحرام).

وفيما يلي سأحدث إن شاء الله عن كل من هاتين الكلمتين، ونبدأ بالحديث عن (البيت).

١- البيت

يكثر في القرآن استعمال (البيت) في الكعبة الشريفة، وفيما يلي نذكر طائفة من آيات كتاب الله، التي أطلقت كلمة (البيت) على (الكعبة):

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) (٢). فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما (٣).

١-١ المائدة: ٩٧.

٢-٢ البقرة: ١٢٧.

٣-٣ البقرة: ١٥٨.

ص: ٥١

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً (١). إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً (٢). ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً (٣).

مقومات البيت:

ولا بد من أن نقف وقفه تأمل قصيرة عند هذه الكلمة.

إن للبيت مقومات أربعة:

١- فالبيت يجمع شمل الأسرة الواحدة من نسيج حضارى واحد.

٢- وفي البيت يجد الإنسان (سكوناً) واستقراراً لا يجده في غيره، وفي أى مكان آخر على وجه الأرض. يقول تعالى (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) (٤).

و (السكن) هو ما يطمئن إليه الإنسان، ويجد فيه استقراره النفسى، ويركن إليه.

وقد عدَّ الله تعالى (الصلاة) و (الليل) و (الدار) التى يؤوى إليها الناس سكناً.

يقول تعالى: (وصلَّ عليهم إن صلاتك سكن لهم) (٥).

فالإنسان يسكن إلى الصلاة والدعاء واللجوء إلى الله تعالى، ويجد فى كل ذلك سكناً، تطمئن به نفسه وقلبه (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وطمأنينة القلوب، وسكون النفس من مقولة واحدة.

والليل هو الآخر، يسكن إليه الإنسان، ويجد فيه راحة من زحمة النهار ومتاعبه، يقول تعالى: (وجعل الليل سكناً) (٦).

والدار التى يسكنها الإنسان هى الأخرى سكن وقرار له. يقول تعالى: (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً) (٧).

٣- إضافة الى ما يتذوقه الإنسان فى البيت من (السكن والاستقرار

١- ١ البقرة: ١٢٥.

٢- ٢ آل عمران: ٩٦.

٣- ٣ آل عمران: ٩٠.

٤- ٤ النحل: ٨٠.

٥- ٥ التوبة: ١٠٣.

٦- ٦ الانعام: ٩٦.

٧- ٧ النحل: ٨٠.

ص: ٥٢

النفسى) ... يجد فى البيت (الأمان) أيضاً، فإن للبيت فى المجتمعات البشرىة حرمة وأماناً، وقد يخترق الظالمون هذه الحرمة ويدخلون الرعب الى (البيوت)، ولكن يبقى الأصل فى (البيت) الحرمة والأمان، وليس لأحد الحق أن يخترق هذه الحرمة والأمان إلا بموجب القانون الذى يحمى حرمة المجتمع وأمن المجتمع؛ وحرم القرآن على الذين آمنوا أن يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم إلا بعد الاستيناس والسلام والإذن من أصحابها، يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم، والله بما تعملون عليم) (١).

(البيت) والانتماء الحضارى

يعيش الناس على وجه الأرض على حالتين حالة الانتماء الحضارى وحالة اللانتماء، والحالة الأولى هى: حالة الحياة البيئية، والحالة الثانية هى: الحالة اللابيئية.

وحالة (البيت) هى حالة الانتماء والتآلف والتعاون، وفى هذا النمط من الحياة يُحس الإنسان بالعلاقة العضوية بالمجتمع الذى يحتضنه ويؤديه، ويتذوق التآلف والتعارف فى الحياة الاجتماعية، وهذه الحالة هى حالة الإنسان الذى ينتمى الى البيت. والحالة الأخرى هى حالة اللانتماء، وهى حالة لا حضارية يفقد فيها الإنسان الإحساس بالعلاقة العضوية بالمجتمع الذى يعيش فيه، ويفقد فيها الإحساس بالتآلف والتعارف، ويسيطر عليه شعور غريب ب (الغربة)، وهذه الحالة هى حالة الإنسان الذى لا ينتمى الى بيت. ومن يقرأ الرواية القصصية (الغريب) للكاتب الوجودى المعروف ... يشعر

ص: ٥٣

بصورة دقيقة بعمق الشعور بالغبرة فى نفس الإنسان المعاصر، وهذه هى حالة عدم الانتماء الى بيت يجمع شمل المجتمع. إذن فى حياة الناس حالتان: حالة البيت، وحالة اللابيت.

وحالة البيت ليست حالة واحدة، بل حالتين: بيت التوحيد وبيت الشرك، وتحدث الآن عن هذين البيتين فى حياة الناس. بيت التوحيد وبيت الشرك:

يعتبر كل من هذين البيتين عن حالة الإنتماء الحضارية فى حياة الإنسان، غير أن البيت الأول انتماء الى أسرة التوحيد، والبيت الثانى انتماء الى أسرة الشرك، وكل منهما انتماء، ولا يصح أن نتصور أن حالة الشرك والكفر لا تعبر عن الإنتماء غير أن الانتماء انتماءان.

وكل من هذين الإنتماءين يتألف من نسيج حضارى تحكمه شبكة من العلاقات العضوية. والقرآن يقرر هذه الحقيقة فى كل من هذين البيتين، يقول تعالى عن العلاقة العضوية داخل البيت الأول: (والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض) (١)

الذين آووا ونصروا فى التاريخ، وعلى وجه الأرض أسرة واحدة، أينما كانوا من الأرض، ومن التاريخ ... بعضهم أولياء بعض، ولا تُضعف وشيجة الولاء هذه فواصل المكان والزمان ولا اختلاف اللغات والألوان والدماء.

ولو شيجة (الولاء) أصولها وأحكامها ومقوماتها. وهذه الوشيجة هى التى تحفظ أسرة التوحيد من التفكك والتفرق والتمزق، والعقم والعطل فى التاريخ، إلا أن هذه العلاقة العضوية لا تخص أسرة التوحيد ... فإن الذين كفروا، فى أنحاء الأرض وفى التاريخ أيضاً، أسرة

واحدة، على وجه الأرض، فى مواجهة أسرة التوحيد، رغم كل الخلاف الثقافى والسياسى والعسكرى فيما بينهم، وداخل هذه الأسرة (بعضهم من بعض)، ولا أعرف تعبيراً أدق فى تصوير حالة الانتماء والعلاقة

ص: ٥٤

العضوية داخل هذه الأسرة من قوله تعالى: (بعضهم من بعض) فهي مجتمعة «بعضها من بعض» وفي داخل هذه الأسرة الكبيرة أسرٌ صغيرة أيضاً «بعضها من بعض» على درجات مختلفة من القوة والضعف، ولكن تبقى القاعدة الثابتة في كل الحالات، وفي المجتمعات الصغيرة والمجتمع الكبير أنها بعضها من بعض.

وليس معنى ذلك أن الأسرة الكافرة تابعة لمحور ولاء واحد، فهي قد تكون ولاءات متعددة، وصدق الله تعالى في التعبير عن هذه الحقيقة (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) (١)

فالذين كفروا لهم ولاءات عديدة، إلا أنهم لهم براءة واحدة، لا يختلفون فيها وهي البراءة من الذين آمنوا.

يقول تعالى: (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) (٢)

ويقول تعالى: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) (٣)

وهذه البراءة الواحدة تجعلهم صفاً واحداً كتلة واحدة، كلما اقتضى الأمر، في مواجهة الأمة المسلمة، وتكسبهم بذلك حالة الولاء الواحدة، فتكون عندئذ كما قال ربنا: (بعضهم من بعض).

فالذين كفروا، إذن رغم كل الصراع والخلاف المنتشر بينهم أمة واحدة، وأسرة واحدة، وكتلة واحدة في مواجهة الذين آمنوا، ولنقرأ بيان هذه الحقيقة الخطيرة من كتاب الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) (٤)

. وفي سورة الأنفال: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض).

بيتان إذن هناك في التاريخ، وعلى وجه الأرض (بيتان) و (أسرتان) و (جبهتان) و (انتماءان) انتماء الى الله ورسوله وإلى الذين آمنوا، وهذا هو الانتماء الأول. وانتماء الى الذين كفروا، وهذا هو الانتماء الثاني. وكل منهما (بيت)، تحكمه علاقات البيت الواحد، من حيث الولاء والبراءة.

١- ١ البقرة: ٢٥٧.

٢- ٢ البقرة: ١٠٥.

٣- ٣ البقرة: ٢١٧.

٤- ٤ المائدة: ٥١.

ص: ٥٥

أى البيتين أقدم؟

إذا عرفنا أن هناك بيتين فى التاريخ، وعلى وجه الأرض، فإن من الطبيعى أن نتساءل أى البيتين أسبق وأقدم فى التاريخ ... بيت التوحيد أم بيت الشرك؟

الذى يقرره القرآن: أن الناس كل الناس كانوا على هدى التوحيد بالفطرة، ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله تعالى فيهم النبيين والمرسلين مبشرين ومنذرين.

يقول تعالى: (وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا) (١).

ويقول تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (٢).

إذن البيت الأول فى التاريخ هو (بيت التوحيد)، ولما اختلف الناس وانشقوا عن التوحيد أقاموا لأنفسهم بيتاً جديداً، بدلاً عن البيت الذى أقامه الله تعالى لهم.

فكان هذا البيت الثانى متأخراً عن البيت الأول، وانشقاقاً على البيت الأول، وخروجاً على أصوله وقيمه وأحكامه.

الصراع بين البيتين:

ومنذ أن انشق البيت الثانى عن البيت الأول استقر بينهما الصراع الى اليوم، ولا يزال الصراع قائماً بينهما، حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

والصراع بين هذين البيتين من حتميات التاريخ، ورغم كل شراسة الشرك فى ضرب قلاع التوحيد، فإن بيت التوحيد بيت مقاوم وصعب، وبيت الشرك بيت موهون وضعيف كبيت العنكبوت، يتخذ العنكبوت ليكون لها وقايةً وأماناً، فتمزقه الرياح وتبدده (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (٣).

الكعبة بيت الموحدين

وقرّر الله تعالى أن تكون الكعبة المشرفة بيتاً للموحدين، يجمع شملهم من

١- ١ يونس: ١٩.

٢- ٢ البقرة: ٢١٣.

٣- ٣ العنكبوت: ٤٠.

ص: ٥٦

نقاط شتى من الأرض، ويوحدّ جهة حركتهم على امتداد التاريخ، ويؤلف بين قلوبهم، ويوحدها، برغم الفواصل المكانية والزمانية الكثيرة، ويؤلف بين قلوبهم، ويُعرّف بينهم.

صورة

والمعمار الأول لهذا البيت هو إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل:

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) (١).

وأولياء هذا البيت هم المتقون.

(وما لهم ألّا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلّا المتقون) (٢).

وهذا فارق جوهري بين أولياء هذا البيت، وأولياء بيوت الشرك، فإن أولياء هذا البيت المتقون دائماً.

وأما غير هذا البيت من بيوت الشرك والكفر فلا يتولاه إلا الجابرة والطغاة،

١-١ البقرة: ١٢٧.

٢-٢ الانفال: ٣٤.

ص: ٥٧

والصادون عن سبيل الله.

وأما بيت الله فالمتقون وحدهم هم الذين يحق لهم أن يتولوا أمر هذا البيت، دون الجبابرة والطغاة، وأما رواد هذا البيت، فهم بعكس رواد البيوت الأخرى، هم الطائفون والعاكفون والركع السجود.

(وعهدنا الى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) (١).

وهذا هو الفارق الجوهرى الآخر بين هذا البيت والبيوت التى يقيمها الكافرون لأنفسهم فى الأرض.

فإن هذا البيت رواده الطائفون، العاكفون، الركع السجود، المسبحون، الذاكرون، بينما يرتاد البيوت التى يقيمها الكافرون وأهل البطر وأهل الرياء من الناس، ومن لا يطلب فى عمله وحركته وجه الله.

الكعبة البيت الأول على وجه الأرض

والكعبة، بصراحة القرآن، أول بيت وضع للناس، يقول تعالى:

(إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج

البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) (٢).

كان لابد لبيت التوحيد فى التاريخ، وعلى وجه الأرض، من موضع يجمع شملهم، ويوحّد جهة حركتهم، ويقرب، ويعرف، ويؤلف بينهم، فأمر الله تعالى إبراهيم وإسماعيل ببناء الكعبة المشرفة؛ ليتخذها الناس بيتاً لهم، وليكون لهم سكناً، وأمناً، ومحلاً يجمع شملهم.

وهو أول بيت للناس، وبعد ذلك عمّر أولياء الله بيوتاً كثيرة للناس على وجه الأرض.

١-١ البقرة: ١٢٥.

٢-٢ آل عمران: ٩٦-٩٧.

ص: ٥٨

وأما البيوت التي أقامها المشركون للبطر والرياء فلم تكن لخدمة الناس وتوجيههم إلى الله، وإنما كانت لتضليل الناس، واستعبادهم، وصدّهم عن سبيل الله، ولم تكن بأمر الله، وإنما كانت بإغراء وإغواء من الشيطان، لدعوة الناس إلى الانشقاق على التمرد على حدود الله، ولتأوى إليه المنشقون على حدود الله وأحكامه.

الكعبة (بيت الله) و (بيت الناس)

الكعبة، بصراحة القرآن (بيت الله) وفي نفس الوقت (بيت الناس) أيضاً؛ بيت الله، لأن الله تعالى أمر خليله وابن خليله بإقامته، وأمر إبراهيم عليه السلام أن يدعو الناس إليه للحج، وشدّ أفئدة الناس إليه، وأمر خليله إبراهيم عليه السلام وابنه بتطهيره وإعداده للطائفين والقائمين والراكعين والساجدين، ونسبه إلى نفسه، كما نسبه إبراهيم عليه السلام إليه تعالى فهو بيت لله.

وهو بيت للناس لأن الله تعالى اتخذ بيتاً لهم، يأوون إليه ويتألفون، ويتعارفون في رحابه، فهو بيت للناس. وسوف نقدم إن شاء الله توضيحاً لهاتين النسبتين للكعبة الشريفة فيما يلي:

بيت الله

الكعبة (بيت الله) بصريح القرآن نسبة الله تعالى إلى نفسه، ونسبه إليه تعالى عبده و خليله إبراهيم، وأنبيأؤه عليهم السلام.

يقول تعالى لعبديه و خليليه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

طهرا بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود (١).

وينسب إبراهيم عليه السلام البيت إلى الله، فيقول كما يحدثنا القرآن: (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك

المحرّم) (٢).

والله تعالى بؤأ

١- ١ الحج: ٢٦.

٢- ٢ إبراهيم: ٣٧.

ص: ٥٩

لإبراهيم عليه السلام مكان البيت من الأرض يقول تعالى:

(وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً) (١).

والله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام أن يطهر البيت ويُعده للطائفين والعاكفين والقائمين والركع السجود من عباده (وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود).

وأمر الله تعالى عبده وخليته إبراهيم أن يعلن في الناس حج هذا البيت، ويدعو الناس إليه.

(وأذن في الناس بالحج) (٢).

والله تعالى جذب أفئدة الناس من كل فج عميق الى هذا البيت، والى الاستجابة لأذان إبراهيم عليه السلام (يأتوك رجالاً وعلى كل

ضامر يأتين من كل فج عميق) (٣).

منزلة الكعبة عند الله:

وهذا البيت أحب بقاع الأرض الى الله تعالى.

روى الصدوق في الفقيه، عن سعيد بن الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

أحب الأرض الى الله تعالى مكة، وما تربة أحب الى الله عز وجل من تربتها، ولا حجر أحب الى الله من حجرها، ولا شجر أحب الى

الله من شجرها، ولا جبال أحب الى الله من جبالها (٤).

وروى الكليني عن ابن أبي عمير عن زرارة، قال: كنت قاعداً الى جنب أبي جعفر عليه السلام، وهو محتجب مستقبل الكعبة، فقال: (أما

إن النظر اليها عبادة).

فجاءه رجل، من بجيلة يقال له: عاصم بن عمر، فقال لأبي جعفر عليه السلام: إن كعب الأحبار كان يقول: إن الكعبة تسجد لبيت

المقدس في كل غداة.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فما تقول فيما قال كعب الأحبار؟ فقال: صدق. القول ما قال كعب.

١-١ الحج: ٢٦.

٢-٢ الحج: ٢٧.

٣-٣ الحج: ٢٧.

٤-٤ من لا يحضره الفقيه ٢/١٦٢.

ص: ٦٠

فقال أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأخبار معك، وغضب.

قال زرارة: ما رأيته استقبل أحداً يقول: كذبت، غيره.

قال عليه السلام: ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض أحب إليه منها. ثم أوماً بيده نحو الكعبة، ولا أكرم على الله عز وجل منها، لها حرّم الله عز وجل الأشهر الحرم في كتابه، يوم خلق السماوات والأرض ثلاثه متواليه للحجّ: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، وشهر مفرد للعمرة، رجب (١).

وقد تضافرت الروايات: إن النظر الى الكعبة عبادة روى حريز عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال:

النظر الى الكعبة عبادة، والنظر الى الوالدين عبادة، والنظر الى الإمام عبادة.

وقال: من نظر الى الكعبة كتبت له حسنة، ومحيت عنه عشر سيئات (٢).

وعن سيف الثمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من نظر الى الكعبة لم يزل تكتب له حسنة، وتمحى عنه سيئة حتى ينصرف ببصره عنها (٣).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: من أيسر ما يعطى من ينظر الى الكعبة أن يعطيه الله بكل نظرة حسنة، وتمحى عنه سيئة وترفع له درجة (٤).

بيت الناس

والكعبة بيت الناس، جعله الله للناس بيتاً، يأوون ويتوبون إليه، يقول تعالى:

(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً) (٥).

فما هي علاقة هذا البيت بالناس، بعد علاقته بالله تعالى؟

من قراءة كتاب الله نتعرف على وجوه لهذه العلاقة.

فهو مسجد للناس، ومثابة للناس، وقوام معاش الناس، ومصالحهم في الدنيا، ومنازلهم ومواقعهم من الله في الآخرة.

واليكم إيضاحاً لهذه الانحاء الثلاثة من علاقة البيت بالناس من خلال

١- ١ الكافي، الفروع ١: ٢٣١، ووسائل الشيعة ٩: ٣٦٣.

٢- ٢ وسائل الشيعة ٩: ٣٦٤.

٣- ٣ المصدر نفسه.

٤- ٤ المحاسن للبرقي ٦٩.

٥- ٥ آل عمران: ٩٦.

ص: ٤١

كتاب الله.

١- الكعبة مسجد للناس، وفي رحابها يجتمع الطائفون، العاكفون، القائمون، الراكعون، الساجدون، المسبحون، الذاكرون الله كثيراً؛ ليدكروا الله كثيراً، ويسبحوه، ويطوفوا له، ويعكفوا في بيته.

يقول تعالى:

(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا الى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) (١).

ويقول تعالى:

(وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) (٢).

ويُسكن إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام ذريته عند البيت الحرام؛ ليقيموا فيه لله الصلاة.

(ربنا إنى أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقموا الصلاة).

إذن، فقد وضع الله تعالى هذا البيت للناس؛ ليتخذوه مسجداً، ومصلى ومطافاً، ومقاماً بين يديه تعالى ... ومن هذا البيت ينطلق الناس

الى الله، وفي هذا البيت أمر الله تعالى عباده أن يعبدوه، ويوحده، ويسبحوه ويذكروه كثيراً.

٢- والكعبة مثابة للناس يثوبون إليها، فيجتمع بعضهم ببعض، والخلف بالسلف، والإنسان بنفسه، يقول تعالى: (واذ جعلنا البيت مثابة

للناس) ومن طبيعة الحياة الدنيا أنها تشتت، وتقطع وتغيب.

تشتت الناس بعضهم عن بعض.

وتقطع الناس عن أصولهم.

وتُغيب الإنسان عن نفسه.

وهذا التشيت والتقطع والتغيب، يضرُّ الإنسان، ويفسده ويغربه (يشعره

١- ١ البقرة: ١٢٥.

٢- ٢ الحج: ٢٦.

ص: ٤٢

بالغربة)، ويحجبه عن أصول شمله، فلا بد للإنسان من محل يثوب إليه، يجمع شملهم بعضهم ببعض، ويصل الإنسان بأصوله، ويعيد الإنسان الى نفسه.

والكعبة هي هذه المثابة التي جعلها الله تعالى للناس، فهي تجمع الناس كل سنة مرة منذ أن أذن إبراهيم عليه السلام في الناس بالحج الى اليوم (واذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق).

ويجمع الناس في كل يوم خمس مرات من شتى مناطق الأرض، يستقبلونها في صلواتهم، يقول تعالى: (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (١).

فيجد المسلمون الموحدون، الذين اسلموا وجوههم لله على مله إبراهيم في الكعبة مثابة لهم، تجمعهم كلما تشبثوا، وتوحد حركتهم كلما تفرقت بهم المذاهب والمسالك في الحياة الدنيا.

وتصل الخلف بالسلف، كلما قطعت الحياة الدنيا هذه الأواصر التي تربط الأبناء بالآباء، فيعيدهم البيت الحرام الى آباءهم وأصولهم إبراهيم وإسماعيل، ويأمرهم الله تعالى أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى).

فيذكرهم (المقام) بإبراهيم، و (الحجر وزمزم) بإسماعيل و (الصفا والمروة) بهاجر.

وإذا عاد الناس الذين أسلموا لله حنفاء، بعضهم الى بعض، وعادوا الى أصولهم وأسلافهم ... عادوا الى أنفسهم، ولم يضيعوا في زحمة الحياة.

فالكعبة تشعر هذه الأمة بعرضها العريض على وجه الأرض، وعمقها في التاريخ.

إن المسلم الذي يحضر ضمن هذا الحشد الهائل من حجاج بيت الله الحرام ...

يلمس في الحج حجمه وعمقه ونفسه، فيلمس حجمه الحقيقي في الحشد الهائل

ص: ٤٣

الذى يقصد الحج من مختلف مناطق الأرض، ويلمس فى الحج عمقه الحقيقى، عندما تذكره الكعبة وأجواؤها بجذوره التاريخيه الضاربة فى أعماق التاريخ، ويشعره الحج بأنه فرع من الشجرة الطيبة، فيجد نفسه عند الكعبة عندما يتعرف على أصوله وأسرته وبيته. وهذا هو البعد الأول من هذه المعرفة وهو بعد «الولاء». والبعد الثانى هو بعد «البراءة»، فإن البيت الحرام كما يصل الإنسان بالله تعالى وبأصوله وجذوره الممتدة فى التأريخ وبأسرة التوحيد الكبيرة على وجه الأرض، كذلك يقطعه عن المشركين ويفصل بينه وبين أسرة الكفر والشرك على وجه الأرض وفى التأريخ.

ففى رحاب الكعبة إذن يثوب الناس الى أصولهم، وأسرته، وبيتهم، ويتميزون، ويفصلون عن المشركين والكفار.

يقول تعالى: (وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله) (١).

٣- والكعبة تؤمن معيشة الناس، وتقوم معاشهم فى دنياهم، كما تقوم آخرتهم.

وهذه الحقيقة يذكرها الله تعالى لعبده وخليله إبراهيم عليه السلام عندما أمره أن يؤذن فى الناس بالحج.

(واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) (٢).

كما أن هذه القضية وردت فى دعاء إبراهيم عليه السلام، عندما أودع أهله وذريته واد غير ذى زرع عند البيت المحرم ليقوموا الصلاة.

فقد دعا الله تعالى أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ويرزقهم من الثمرات.

(فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات

١- ١ التوبة: ٣.

٢- ٢ الحج: ٢٧-٢٨.

ص: ٦٤

لعلهم يشكرون (١).

وقد استجاب الله دعاء عبده وخليله إبراهيم عليه السلام.

الكعبة قيام للناس

فالكعبة إذن قضية كبرى وأساسيه فى حياة الناس، لا يستغنى عنها الناس فى دنياهم، ولا فى آخرتهم، ولا يستغنون عنها فى سلم أو فى حرب، ولا فى ولاء من يجب ولاؤه، ولا فى البراءة عمن تجب البراءة عنه.

فهى إذن قوام حياة الناس، يقول تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) (٢).

و «القيام» هو ما يقوم حياة الناس.

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه المال، وقال عنه: إنه قيام للناس، قال تعالى:

(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً) (٣).

والكعبة، قيام للناس، يُقَوِّم حياة الناس ومعايشهم فى الدنيا، كما تقوم آخرتهم، فيستقيم بها دينهم ودنياهم وآخرتهم.

وقد روى (لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة) (٤).

فإن الكعبة تقوم دين الناس ودنياهم، وتدفع عنهم العذاب الذى يستحقه الناس بأعمالهم.

عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: لو ترك الناس الحج أنزل عليهم العذاب (٥).

وعن عبد الرحمن بن أبى عبد الله، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إن ناساً من هؤلاء القصاص يقولون: إذا حج الرجل حجته ثم

تصدَّق ووصل كان خيراً له، فقال: كذبوا، لو فعل هذا الناس، لُعُطِّل هذا البيت. إن الله عز وجل جعل هذا البيت قياماً للناس (٦).

١-١ إبراهيم: ٣٧.

٢-٢ المائدة: ٩٧.

٣-٣ النساء: ٥.

٤-٤ وسائل الشيعة ٨: ١٤.

٥-٥ المصدر نفسه ٨: ١٣.

٦-٦ وسائل الشيعة ٨: ١٤.

ص: ٦٥

الكعبة مباركة

جعل الله الكعبة مباركة في الحياة، تستنزل رحمة الله تعالى وبركاته على الناس، يقول تعالى: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين) (١).

فهى من منازل رحمة الله على الناس.

روى معاوية بن عمار، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى جعل حول الكعبة عشرين ومائة رحمة، منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين (٢).

وعن الحسن بن راشد عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا خرجتم حجاجاً الى بيت الله، فأكثروا النظر الى بيت الله، فإن لله مائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام: ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين (٣). هذا إجمال من رسالة الكعبة ودورها فى حياة الناس، فهى تشدهم بالله تعالى وبأوليائه، وتشدهم بأسرة التوحيد على وجه الأرض، وفى التاريخ، وتجمع شملهم، وتؤلف بين قلوبهم، وتوحد حركتهم، وتعزف بينهم، وتؤلف بين قلوبهم، وتعيدهم الى أنفسهم، وتقوم لهم معاشهم فى دنياهم، ومنازلهم من الله فى آخرتهم.

٢- الحرام

الحرام والحرمه بمعنى الحظر والمنع.

يقول تعالى:

(ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) (٤). (قل أرايتكم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءالله اذن لكم أم على الله تفترون) (٥).

١- ١ آل عمران: ١٩٦.

٢- ٢ وسائل الشيعة ٩: ٣٦٣.

٣- ٣ المصدر نفسه ٩: ٣٦٥.

٤- ٤ النحل: ١١٦.

٥- ٥ يونس: ٥٩.

ص: ٦٦

وتأتى كلمة المُحَرَّم بنفس المعنى، يقول تعالى: (قل لا أجد فيما أوحى الى مُحَرَّمًا على طاعم يطعمه) (١). كما أن «الحَرَم» وهو المنطقة المحيطة بالبيت الحرام منطقة حظر ومنع، ويطلق عليه الحرام بهذا الاعتبار. يقول تعالى:

(أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجيبى إليه ثمرات كل شىء) (٢).

والشهر الحرام هو كذلك شهر حظر فيه الله تعالى القتال.

يقول تعالى: (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به) (٣).

يقول الراغب فى (المفردات):

و «الحَرَم» سُمى بذلك لتحريم الله تعالى فيه كثيراً مما ليس بمُحَرَّم فى غيره من المواضع، وكذلك «الشهر الحرام» (٤).

والعلاقة بين (ما يحرمه الله تعالى) وبين (من يُحَرَّم عليه) و (ما يُحَرَّم فيه) علاقة عكسية.

وتوضيح ذلك:

إن ما يحرمه الله تعالى من قول وفعل فلا بد من أن يكون ذلك لسبب فيه من فساد أو دناءة كالشرك والفحشاء، وقول الزور والباطل والعدوان، أو أن الله تعالى يكرهه لعباده، ولو لظرف خاص من مكان أو زمان.

وأما من يحرم الحرام عليه، ويضع الله تعالى عليه الحرمة والنهى فإن ذلك إشعار بقيمته ومنزلته عند الله، ومهما كثرت عليه المحرمات عند الله كان ذلك دليلاً على منزلته وقيمته.

فليس على الحيوان تكليف من حرام وحلال، وليس على المجنون والطفل تكليف، فالتكليف بالحرمة إشعار بقيمة المكلف عند الله، كما أن كثرة الحرمات فى

١- ١ الأنعام: ١٤٥.

٢- ٢ القصص: ٥٧.

٣- ٣ البقرة: ٢١٧.

٤- ٤ مفردات الراغب حرف الحاء: ١١٥.

ص: ٦٧

مكان أو زمان إشعار بقيمة ذلك المكان والزمان عند الله.

فإذا كان يحرم في المسجد ما لا يحرم في غيره، كالإجناب ودخول الجنب، مثلاً، وتؤكد فيه حرمة اللغو الباطلين فإن ذلك إشعار بأن قيمة المسجد أعظم عند الله من قيمة غيره من الأماكن.

وإذا كان يحرم في الأشهر الحرم ما لا يحرم في غيرها، أو تتأكد فيها الحرمة، دون غيرها من الأشهر ... فذلك لأهمية هذه الأشهر ومنزلتها عند الله تعالى.

وبنفس الميزان نقول: إن اعتبار الكعبة الشريفة والمسجد الحرام، ومنطقة الحرم منطقة حظر ومنع، يكثر فيها الحظر والمنع من عند الله على الناس، ويحظر الله تعالى فيها على الناس ما لا يحظر في غيره ... لأهمية هذه البقعة المباركة والمنطقة من الأرض.

ولذلك وصف الله تعالى الكعبة بالحرام، فقال تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام) ووصف الله المنطقة بالحرم فقال تعالى: (أولم نمكن لهم حرماً آمناً) ووصف الله تعالى المسجد بالحرام فقال تعالى: (فولّ وجهك شطر المسجد الحرام) (١).

ومن هذا التفصيل نريد أن نخلص الى النتيجة التالية: كل ما يحرمه الله تعالى على عباده فهو سبحانه وتعالى راغب عنه كاره له، وإذا حرم الله تعالى على عباده المحرمات فهو إشعار بحبه لهم، ورغبته فيهم، ومهما أكثر الله تعالى المحرمات على عباده كان ذلك إشعاراً لحبه لهم، ورغبته فيهم، وتنزيهه لهم عنها، وكذلك المكان والزمان.

فمهما أكثر الله تعالى من المنع والحظر والحرمة على مكان أو زمان ك (الحرم) و (المسجد الحرام) و (الأشهر الحرم) و (شهر رمضان) كان ذلك إشعاراً بقيمة متميزة لذلك المكان عند الله تعالى.

والآن، بعد هذا التوضيح ل (الحرام) نتحدث عن المحرمات، التي حرمها الله

ص: ٦٨

تعالى على الناس في (البيت الحرام) وحُرّمات هذا البيت.

حُرّمات البيت الحرام

١- البدء بالقتال: حرم الله تعالى على المسلمين أن يبدأوا الكفار بالقتال عند المسجد الحرام، إلا أن يبدأ الكفار قتال المسلمين عنده، فيجوز عندئذ قتالهم وصدّهم عن العدوان، يقول تعالى:

(واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم) (١).

فينهى الله تعالى المسلمين من قتال الكفار عند المسجد الحرام، إلا أن يكون الكفار هم البادئون بالقتال.

ثم يقول تعالى عن القتال في الحرم عند المسجد الحرام، وفي الأشهر الحرم (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرّمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) (٢).

فأجاز الله تعالى للمسلمين أن يقتصوا من المشركين إذا قاتلوهم في الأشهر الحرم، أو عند المسجد الحرام، وأجاز للمسلمين أن يقاتلوهم كما يقاتلهم المشركون فيه ويعاملوهم بالمثل.

والحرّمات التي تشير إليها الآية الكريمة بقوله تعالى: (والحرّمات قصاص) هي حرمة «الشهر الحرام» وحرمة «المسجد الحرام» وحرمة «الحرم».

فإذا تجاوز المشركون على هذه الحرّمات، وقاتلوا المسلمين فيها جاز للمسلمين معاملتهم بالمثل.

عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة: إن الله حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض، وهي حرام إلى أن تقوم

١- ١ البقرة: ١٩١، ١٩٢.

٢- ٢ البقرة: ١٩٤.

ص: ٦٩

الساعة، لم تحل لأحد قبلي، ولا يحل لأحد بعدى، ولم تحل لى إلا ساعة من نهار (١).
وعن أبى عبد الله الصادق عليه السلام فى حديث فتح مكة إن النبى صلى الله عليه وآله قال:
ألا- إن مكة محرمة بتحريم الله، لم تحل لأحد كان قبلى، ولم تحل لى إلا ساعة من نهار الى أن تقوم الساعة، لا يختلى خلاها، ولا
يقطع شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد (٢).
٢- حرمة تلويث الكعبة بالشرك، وحرمة الإبقاء على مظاهر الشرك وآثاره حول الكعبة، ووجوب تطهرها منه. والشرك حرام على
كل حال وفى أى مكان، ويجب تطهر الأرض منه فى كل مكان، ولكن هذه الحرمة، وهذا الوجوب فى الحرم أعظم وأبلغ وأكد.
فإن الشرك بالله العظيم وجس يلوث كل شىء يصيبه، ويفقده دوره ويسلبه خصائصه ويعطله.
والإنسان خليفة الله، وليس فى الكون كله صفة أشرف من هذه الصفة، وليس لشىء دور أعظم من هذا الدور (خليفة الله)، ومع ذلك
فإذا أشرك الإنسان فقد كُـل خصائصه وكرامته، وسقط مرة واحدة، كما لو أنه خَرَّ من السماء دفعة واحدة (ومن يُشرك بالله فكأنما
خَرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) (٣).
ويحوّل الشرك الإنسان من محور خلافة الله الى محور الصدود والإعراض عن الله، وكذلك الكعبة المشرفة إذا أصابها لوثة الشرك
أفقدتها خصائصها وبركاتها، ودورها الكبير والمبارك فى حياة الناس.
ولكى يتم تفعيل دور الكعبة فى حياة الناس، وتعدّ الكعبة الشريفة، لتكون منطلقاً لعروج الإنسان الى الله تعالى، لابد من تطهير الكعبة
من الشرك، يقول تعالى: (واذ بؤنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) (٤).

١- ١ وسائل الشيعة ٩: ٦٨.

٢- ٢ المصدر نفسه ٩: ٦٩.

٣- ٣ الحج، ٣١.

٤- ٤ البقرة: ١٢٥.

ص: ٧٠

فلا- يعرج الناس الى الله من الطواف حول البيت والقيام والركوع والسجود بين يدي الله في رحاب البيت الحرام، إن لم يطهر الناس الكعبة من رجس الشرك.

وقد عهد الله تعالى بذلك الى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

يقول تعالى:

(وعهدنا الى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) (١) (٢).

٣- حرمة إدخال المشركين الى المسجد الحرام، ووجوب إقصائهم عنه.

يقول تعالى:

(إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) (٣).

٤- تحريم قطع الحشيش والشجر من الحرم للمحل والمحرم.

هكذا عنون صاحب الوسائل هذا العنوان.

وروى عن حريز عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام بسند معتبر قال: كل شيء ينبت في الحرم فهو حرام على الناس أجمعين (٤).

٥- يحرم الصيد في الحرم وتنفيذه مطلقاً للمحرم والمحل.

وروى الكليني عن حريز عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام بسند صحيح، قال: قال رسول الله: ألا إن الله عز وجل قد حرّم مكة يوم

خلق السماوات والأرض، وهي حرام بحرام الله الى يوم القيامة، لا ينفر صيدها، ولا يعضد شجرها، ولا يختلي خلاها، ولا تحل لقطتها

إلا لمنشد (٥).

٦- يحرم في الحرم كل ذنب، وتعظم حرمة عند الله حتى لو كان مثل شتم الخادم وضربه، وليس شأن الحرم شأن غيره من الأماكن،

فإن كل ذنب حرام في أي مكان، وفي أي زمان، ولكن هذه الحرمة في الحرم أعظم وأبلغ وأكد.

وقد كان بعض الفقهاء والصالحين يتخرجون من الإقامة في جوار الحرم خشية أن يصدر منهم ذنب، فيعاقبهم الله تعالى عليه بالعذاب

الأليم.

١- ١ تفسير التطهير في هذه الآية المباركة بتنظيف البيت من القمامة والنجاسات المادية لا يناسب الاهتمام البالغ الذي يعطيه الله تعالى لهذا الأمر، فيعهد الى إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، والله اعلم.

٢- ٢ البقرة: ١٢٥.

٣- ٣ التوبة: ٢٧.

٤- ٤ وسائل الشيعة ٩: ١٧٢.

٥- ٥ المصدر نفسه ٩: ١٧٥.

ص: ٧١

يقول تعالى: (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) (١).

يذكر المفسرون فى تفسير قوله تعالى: (ومن يرد فيه بالحاد...): أن الذى يريد فى البيت إلحاداً بظلم فالله تعالى يذيقه العذاب الأليم. والإلحاد هو العدول عن القصد والاعتدال.

وروى الطبرسى عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد أن الإلحاد هو استحلال الحرام وركوب الاثم (٢).

وقد صحت النصوص المعتمدة ان كل إثم إلحاد.

فقد جاء بسند معتبر عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) فقال: كل الظلم فيه الحاد حتى لو ضربت خادمك ظلماً خشيت أن يكون إلحاداً، فلذلك كان الفقهاء يكرهون سكنى مكة (٣).

وروى أبو الصباح الكناني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) فقال: كل ظلم يظلمه الرجل على نفسه بمكة من سرقة أو ظلم أحد، أو شيء من الظلم فإنى أراه إلحاداً، ولذلك كان يتقى أن يسكن الحرم (٤).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «جعل الله الحسنات فى الحرم مضاعفةً والسيئات مضاعفةً» (٥).

٧- يحرم ملاحقة المجرم الذى أقدم خارج الحرم على جريمة تستوجب قصاصاً أو حدّاً أو تعزيراً ففر الى الحرم، احتراماً للحرم، وأمنه، ولكن يضيق عليه، ويمنع من الشراء من الأسواق حتى يضطر للخروج من الحرم.

وقد استدل الفقهاء على ذلك بقوله تعالى:

١- ١ الحج: ٢٥.

٢- ٢ مجمع البيان للطبرسى ٤: ٨١.

٣- ٣ وسائل الشيعه ٩: ٣٤١.

٤- ٤ المصدر نفسه ٩: ٣٤١.

٥- ٥ المصدر نفسه ٩: ٣٣٦.

ص: ٧٢

(ومن دخله كان آمناً) (١) (٢).

روى ثقة الإسلام الكليني بسند معتبر عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام عن رجل قتل رجلاً في الحل، ثم دخل الحرم، فقال: لا يقتل، ولا يطعم ولا يسقى ولا يباع حتى يخرج من الحرم، فيقام عليه الحدّ. قلت: فما تقول في رجل قتل في الحرم أو سرق؟ قال: يقام عليه الحدّ في الحرم صاغراً؛ لأنه لم ير للحرم حرمة، وقد قال الله عز وجل: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (٣).

وروى أيضاً بسند معتبر عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل: (ومن دخله كان آمناً). قال: إذا أحدث العبد في غير الحرم جنائيه، ثم فرّ إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم، ولكن يمنع من السوق، ولا يبيع ولا يطعم، ولا يسقى، ولا يتكلم، فإنه إذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ، وإذا جنى في الحرم جنائيه أقيم عليه الحد في الحرم، لأنه لم يرع للحرم حرمة (٤).

عن عبد الله بن سنان أنه سأل أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام عن قول الله عز وجل: (ومن دخله كان آمناً) قال: من دخل الحرم مستجيراً به كان آمناً من سخط الله، ومن دخله من الوحش والطيور كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى، حتى يخرج من الحرم (٥). والنصوص بهذا المعنى كثيرة.

فإذا كان لا يجوز ملاحقة المجرم في الحرم، ولا يجوز تنفير الصيد وتهيبه وأذاه فلا يجوز بشكل أكيد وأبلغ ترويع المسلمين وإرعابهم في رحاب حرم الله، وتعظيم حرمة عند الله. روى محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سألت عن قوله تعالى (ومن دخله كان آمناً). قال: يأمن فيه كل خائف مالم يكن عليه حدّ من حدود الله (٦).

١- ١ آل عمران: ٩٧.

٢- ٢ راجع «آيات الأحكام للجزائري» ٢: ٧.

٣- ٣ وسائل الشيعة ٩: ٣٣٧.

٤- ٤ المصدر نفسه ٩: ٣٣٧، ح ٢.

٥- ٥ المصدر نفسه ٩: ٢٠٢.

٦- ٦ المصدر نفسه ٩: ٣٣٩.

ص: ٧٣

والذى يقرأ اهتمام القرآن بأمن هذا البيت لا يشكك فى أن للأمن دوراً أساسياً فى رسالة البيت. وقد كان (أمن البيت) من دعاء إبراهيم عليه السلام.

(واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً). (واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً).

وبين الدعاءين فرق.

معنى الدعاء الأول يدعو إبراهيم عليه السلام أن يجعل الله الكعبة بلداً آمناً، ويبدو أن هذا الدعاء كان قبل أن يحل الناس بجوار الكعبة فيكون بلداً، فدعا الله تعالى أن يجعل البيت بلداً آمناً.

وفى الدعاء الثانى يدعو الله تعالى أن يجعل هذا البلد آمناً، ويبدو أن الدعاء كان بعد أن حلّ الناس بجوار البيت.

ومن اهتمام القرآن بأمن البيت: القَسَمُ بالبلد الأمين، يقول تعالى: (والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) (١).

ويمنّ الله تعالى على المؤمنين: أن جعل لهم الحرم آمناً، تجبى إليه الثمرات من كل حدب، ومكنهم منه ...

(أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء) (٢).

فقد منّ الله تعالى عليهم اذن، فى هذه الآية مرتين.

مكّنهم من حرمة، بعد أن كان بيد المشركين وتحت نفوذهم وهذا هو المنّ الأول.

وجعله آمناً فى وسط دنيا صاخبة وهائجة بالحروب، ويتخطف الناس من حوله وهو المنّ الثانى.

يقول تعالى:

(أولم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم) (٣).

١- ١ التين: ١، ٢، ٣.

٢- ٢ القصص: ٥٧.

٣- ٣ العنكبوت: ٦٣.

ص: ٧٤

٨- يحرم التمكين لولاية الظالمين على البيت الحرام، الذين يصدون الناس عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، ويعطلون دور هذا البيت، ويجب تمكين المتقين من ولاية البيت الذين يعدون للبيت ويطهرونه للطائفين والقائمين والركع السجود. يقول تعالى: (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون) (١). وقد أوعد الله تعالى الذين كفروا، والذين يصدون الناس عن سبيله والمسجد الحرام بالعذاب الأليم فقال تعالى: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) (٢).

فانذر الذين يصدون عن المسجد الحرام، الذي جعله الله تعالى للناس عامة بالعذاب الأليم.

ويندد القرآن بأولئك الظالمين الذين يصدون الناس عن المسجد الحرام:

(هم الذين كفروا وصدوا عن المسجد الحرام) (٣)

فيحرم على الناس تمكين الظالمين من ولاية البيت الحرام، ويجب عليهم تحرير هذا البيت من نفوذ الطاغوت وسلطانته، كما يجب عليهم تمكين المتقين منه؛ وقد وصف الله تعالى هذا البيت ب (العتيق) فقال تعالى:

(ثم مَجَّلَهَا الى البيت العتيق) (٤).

وقال تعالى:

(وليطوفوا بالبيت العتيق) (٥).

والعتيق من العتق، وهو التحرير. فهذا البيت حرره الله تعالى من قبضة الظالمين مثل أبرهه، وعتاة قريش، ولم يجعل الله لأحد عليه سلطاناً، ولم يملكه أحداً من الناس حتى يكون بيتاً للناس جميعاً.

١- ١ الانفال: ٣٤.

٢- ٢ الحج: ٢٥.

٣- ٣ الفتح: ٢٥.

٤- ٤ الحج: ٢٩.

٥- ٥ الحج: ٢٩.

ص: ٧٥

يقول الجزائري في آيات الأحكام في معنى العتيق: (إنه لا يملكه أحد من الناس).
ثم ذكر في معناه أيضاً: (أنه عُتِقَ من الجبارة، وحفظه منهم كأبرهه وغيره) (١).
عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في جواب من سأل: لِمَ سَمِيَ البيت عتيقاً؟ قال: هو بيتٌ حرٌّ عتيق من الناس لم يملكه أحد (٢).
الهوامش:

لمعة عن الحج ومناسكه

١- ١ آيات الأحكام للجزائري ٢: ٢٦.

٢- ٢ وسائل الشيعة ٣: ٣٤٧.

ص: ٧٩

لمحة عن الحجّ ومناسكه

محمد جواد حجّتي كرمانى

١- لمحة عن الحجّ

كلمة الحجّ وما يندرج تحتها من عناوين المناسك، تستطيع التعبير بنفسها- عن المحتوى العظيم لهذه الفريضة الإلهية المملأ بالأسرار والرموز، والمكتظة بالإشارات والكنائيات.

فالحجّ- هذه اللفظة القصيرة ذات النغم المحبّب، التي تستبطن معانى القصد والعزم والتصميم- يحمل معنى بشموخ التأريخ المعنويّ للبشرية، التأريخ المعنويّ الذى يضىف النظام على الحياة الإنسانية- سياسياً واجتماعياً- على أساس الحقّ والعدل.

والحجّ الذى يتكوّن- عموماً- من عناصر السكون والتأمل والتدبّر والحركة والسعى والصراع، فيه إشارات جامعة وشاملة إلى السنن الإلهية الجارية على الصعيدين:

التكويني والتشريعي.

لغة الحجّ لغة نموذجية، وأعماله- بتعبير متعارف- تمثيلية إيمائية يمكن أن تكون حاكية ومجسّدة

ص: ٨٠

لتأريخ الأنبياء، وعالم الدنيا وعالم الآخرة.

كان الحج - هذه الفريضة الرمزية والمشحونة بالإشارات والشعارات - موضوعاً للدراسة والتحليل من زوايا متعددة، وبنظرات مختلفة، من قبل الباحثين والكتاب والمحللين، فردياً واجتماعياً، وعبادياً وسياسياً، وعسكرياً، وعالمياً، ويتصف بعض هذه البحوث والتحليلات بشمولية نسبية ناقصة لأبعاد الحج، بينما يختص البعض الآخر ببعد واحد، وبرؤية لا تتعدى حدود مجتمع معين. وقد أغفلت هذه التحليلات والدراسات، ذات البعد الواحد الشمولية المحيرة والمتناقضة - أحياناً - في ظاهرة الحج، التي تجعل الزاهدين المعرضين عن الدنيا غافلين عن أحد جانبي الشمولية، وتجعل أصحاب السياسة والمتصددين لإدارة الدول الإسلامية غافلين عن الجانب الآخر. ولهذا سوف نسعى - في هذا المقال القصير - إلى اختصار الكلام، وأن نشير إشارة عابرة إلى شمولية الحج، ونحن على ثقة بأن أهل الفضل والعلم سوف لا يكتفون بهذا المختصر، ولكنهم سيبدلون ما عندهم في توسيع البحث وإكماله وشرحه.

يعدُّ الحج - من زاوية - اجتماعاً للطاهرين والأخيار، وأصحاب المعنى وطلاب الآخرة...، وهو اجتماع يغلب عليه طهر المقدسين وملائكة الملا الأعلى، الذين يحتشدون - كما هو المشهور - حول أول بيت وضع للناس، كالبحر المتلاطم، وما الحاج لبيت الله إلفطرة من هذا البحر.

وإنَّ الحجاج في هذا الاجتماع العظيم - منذ اللحظات الأولى التي ينوون فيها الحج، ويرحلون عن أهاليهم وديارهم، وينقطعون عن كل ما يجذبهم إلى الدنيا، حتى الإحرام من الميقات، فالطواف، فالوقوف، فالرمي، وفي كل حل ومرتحل لهم يبحثون عن الله، ويطلبون الزلفى إليه.

وما مناسك الحج وشعائره إلَّا

ص: ٨١

تجسيد لأحوال الإنسان الباحث عن ربه، المتوجه إليه أينما حلّ وارتحل، يلتمس سُبُل الوصول إليه، ويتعرّض لأنفاس رحمته، فالعاشق الذى أشرف على الهلاك من فراق محبوبه، وسلب منه الاختيار، فهو مختلف الأطوار فى سبيل الوصول إلى الحبيب، فتارة تراه متأملاً تعلقه السكينه، وتارة تراه مضطرباً غير مستقرّ، ينتقل من مكان إلى مكان صباحاً ومساءً، فربّما التجأ إلى جبل، أو أفضى إلى صحراء، لا يهدأ له بال ولا ينعم بقرار.

والحجّ - من هذه الزاوية - حركة إنسانية روحية، يقوم بها - فى زمان واحد ومكان واحد - جمعٌ غفير من الناس، يأتون من جميع أرجاء الأرض وأقطارها إلى البيت الذى أُعدّ للتقرب إلى المبدأ الأعلى للخلق.

وهو - من هذه الزاوية أيضاً - مؤتمر لله يضمّ المخلصين والمتّقين والصالحين والعابدين والقانتين على وجه الأرض. وما أكثر الاجتماعات والمؤتمرات العالمية التى تعقد فى مختلف شؤون الحياة الإنسانية؛ الدينيّة والسياسيّة والعسكريّة والتاريخيّة والأدبيّة، ولكنك لن تجد فى أىّ مكان - غير الحجّ - مؤتمراً للتوحيد والإخلاص والعبادة، ومؤتمراً لجهاد النفس والانقطاع عن الدنيا والاستعداد للآخرة، ومؤتمراً للسير إلى الله، وما يتضمّنه السير من مراقبة ومكاشفة.

ولن تجد - غير الحجّ - مؤتمراً يُذيب الفرد فى الجماعة والجماعة فى الفرد، فإذا بالأعمال الفرديّة تضمحلّ لمتزج فى أجواء الجماعة، وأجواء الجماعة تضمحلّ لمتزج فى الأعمال الفرديّة؛ بحيث أنّ الحاجّ يظلّ - فى أيام الحجّ - عاكفاً على نفسه يحاول اكتشافها وسبر أغوارها، قد شُغِلَ بحديث النفس والمناجاة، وتصفيه باطنه ممّا علق به من الشوائب، وهذا من قبيل الرهبانيّة التى يمارسها الرهبان المنقطعون عن هذا الخلق، وهى تدعو صاحبها إلى الخلوة والاعتزال ومفارقة الناس، وتؤكد

ص: ٨٢

فردية الفرد. ونجد- إلى جانب هذا ومتزامناً معه- هذه الفردية تفنى وتتلاشى في الجماعة، في كل موقف من مواقف الحج العظيمة، وأكثر ما تتجلى روعه هذا الفناء في عرفات. وإفناء الفردية في العمل الجماعي يساهم في رسم الخطوط السياسية والاجتماعية للأمم الإسلامية، كما يساهم في توحيدها، وسنشير إلى هذا فيما بعد.

وفي الحج- من ناحية أخرى- أثر باق من أعماق التاريخ النوراني لأنبياء الله وأوليائه، من آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وآله، وآله، وأصحابه، ففيه يتم إعادة بناء وصياغة هذا التاريخ الممتلي بحوادث ومحاولات حُفت بالأخطار، أبطالها الأنبياء والأولياء، فالحج- من خلال هذه الرؤية- إعادة بناء لتاريخ الأنبياء.

والحج عبارة عن أعمال وألوان من السلوك تعود في جذورها التشريعية- طبقاً لما جاء به الكتاب، والأحاديث الواردة بطرق السنة والشيعه- إلى عهد آدم أبي البشر عليه السلام.

وقد طاف حول هذا البيت كل من جاء- بعده- من الأنبياء إلى نبينا عليهم السلام وأدوا مناسكهم على هذه الأرض المقدسه، في عرفات، والمشعر، ومنى.

والحج- على وجه التحديد- هو الرقيب على إعادة بناء وتجديد نظام مؤسسه التوحيد، الذي تم بواسطة أبي الأنبياء إبراهيم خليل الله عليه السلام حين رفع قواعد البيت وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود، كما قص لنا ذلك القرآن الكريم. فتصحيات وجهود إبراهيم وهاجر وإسماعيل عليهم السلام وما راودهم خلال ذلك من انفعالات ومخاوف وآمال، تُعاد صياغتها وتتجدد في كل منسك من مناسك الحج بالشكل الذي سنشير إليه فيما بعد.

وفي الحقيقة: إن إبراهيم عليه السلام بطل التوحيد، وإن الملايين من حجاج بيت الله العاشقين، ليقومون- في كل عام، ومن خلال مناسك الحج- بتجليه هذه

ص: ٨٣

الشخصية العظيمة وإمدادها بالبقاء.

ولتذكّر أن إبراهيم كان أبّ الأنبياء الموحّدين: موسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين؛ وأنّ الأُمّة الإسلاميّة - دون بقية الأمم الأخرى - هي وحدها التي تحتفى بذكرى رائد التوحيد، وتحترمه بما يتناسب مقامه الشامخ، وتخلّد ذكره في مناسك الحجّ العظيمة بالعمل لا بالقول فحسب. وسوف نشير إلى هذا الإحياء والتجديد أثناء الإشارة إلى مضمون كلّ واحد من المناسك. الحجّ - من زاوية أخرى - تدريب متعدّد الجوانب، أو هو - كما يُصطلح - استعراض شامل للنواحي السياسيّة، والعقائديّة، والعسكريّة؛ لبعث روح الحماس وإحياء الغيرة والحمية الدينيّة في المجتمع الإسلامي. ولتوضيح الصورة أكثر نتساءل:

ما هو الهدف من الاستعراض العسكري، أو التدريب الذي تقوم به فرق إطفاء الحريق أو إنقاذ الغريق، أو الفرق الأخرى المخصّصة لمواجهة الحوادث الجويّة والبريّة والبحريّة، مثلاً؟ والجواب: أنّ هذا الاستعراض والتدريب، وإن كان لا يتمّ على أرض الواقع، بل ينطلق في أرض مفروضة، ويتابع أهدافاً مُفترضة، لكنّه أمر ضروريّ جدّاً لإيجاد الكفاءة العسكريّة، والاستعداد القتالي، والمهارة، وسرعة الانتقال، وسرعة التصميم والعمل، وغيرها ممّا ينبغي توفّره فيمن يمارس هذه الأعمال المهمّة والمصيريّة.

وهكذا الحجّ، إذ إنّ له دوراً مهمّاً في رسم الطريق، ووضع الخطوط والملامح الرئيسيّة للحياة الإنسانيّة، التي هي مزيج من العمل، والصراع، والسعي، والمتابعة، وكونها كذلك يستتبع لا محالة كفّ النفس، والأخذ بزمامها، ولا يلائم التّنعّم وطلب الراحة. فالحجّ تدريب واستعراض وتعليم يستغرق عدّة أيام، ويتبغى من ورائه إعداد الإنسان ليكون متمرساً

ص: ٨٤

ومهيئاً لخوض الصراع الضارى فى ميادين الحياة.

فى الحجّ يتعلّم الإنسان أنّ عليه أن يترك وطنه وأهله وماله، ويقطع كلّ علائق الدنيا، ويتحمّل مصاعب السفر والسهر والقلق والغربة والهجرة، ويتخلّى عن كلّ ما يرتبط بمظهره من اللباس والرياش، فى سبيل الوصول إلى حياة إنسانية إسلامية مليئة بالفخر. يتعلّم أن عليه أن يُعرض عن كلّ ذلك، ويستجيب لدعوة الحقّ الأزليّ، فلا يسمع سائر الدعوات الأخرى الباطلة، ويدور مع الحقّ حيثما دار، ولا يسعى - فى هذه الحياة - إلّا إلى الطهارة والنزاهة والصدق والحقّ. ويتعلّم أنّ عليه أن يمزج التوقّف والتروى بالسعى والعمل؛ لأنّ كلّاً من التوقّف والتروى يجب أن يستتبع سعياً وعملاً، كما أنّ السعى والعمل لا يكونان إلّا بعد تروؤ وتوقّف؛ ونظر فى العواقب، وحساب للمستقبل، فالتروى دون عمل والعمل دون رويّة، آفتان للإنسان فى دينه وديناه.

فى الحجّ يطوى الإنسان مراحل متعدّدة فى أيام قلائل، تعلّمه أنّ ما طواه منها يجب أن يكون مثلاً يحتديه فى حياته. الحجّ - بمنظار آخر - تمثيل لعرضات القيامة، وتجسيد لحشر الخلق، فالكلّ إلى جهة واحدة، لا شىء يميّز بينهم، متوجهون إمّا إلى الجنة وإمّا إلى النار، حشر عظيم فى هذه الحياة الدنيا، ونموذج مصغّر عن الحشر الأكبر فى الآخرة. الرحيل عن الدار والأهل يشبه الموت الذى هو بداية الحياة الأخرى، ومواقف الحجّ ومناسكه، كلّ واحد منها يذكر بمواقف العبد أمام مولاه فى يوم القيامة، حيث ينتهى به المطاف إلى الردّ أو القبول: فريق فى الجنة وفريق فى السعير. والحاج - من خلال هذه الرؤية التطبيقية بين مواقف الحجّ ومواقف القيامة فى قلق واضطراب دائمين، واقف بين الخوف والرجاء فإلى أى

ص: ٨٥

ناحية سيتوجّه، ومع أيّ فريق سيحشر؟

وذلك لأنّ بعض الحجّاج - كـبعض من يحشر يوم القيامة- سيؤخذون الى الجحيم، ولا يزيدهم الحجّ غير تبار وتخسير. وإنّ شرح مواقف الحجّ ومواقف القيامة، والتطبيق بينهما، وتجليه روعه هذا التطبيق، ليحتاج إلى مقال مستقلّ، ولكن في هذه الإشارة كفاية لليقظين الموقنين بالموت، والدائمين على التفكير في الدار الآخرة، يخافون سوء الحساب وسوء الدار. والحجّ - أخيراً، ومن خلال رؤية أعمق - صعود للإنسان في مقابل هبوطه التاريخي، وتسالم وتعاون للبقاء في مقابل تنازع البقاء المتأصل في حياة الإنسان.

وهذه النقطة جديرة بالعباية والتأمل، ولهذا ستريّث في الحديث عنها قليلاً:

لقد بدأ السقوط والهبوط الإنسانيّ عندما التفتت البشريّة - بحكم حاجاتها الطبيعيّة والفطريّة - إلى ضرورات الحياة، وسعت إلى استخدام الطبيعة من أجل مواصلة الحياة، وسرعان ما جعل هذا الاستخدام الإنسان مفتوناً بالطبيعه، ودفعه خياله المطلق العنان إلى طلب الزيادة بعد الزيادة، ومن هنا كان الانحدار شيئاً فشيئاً، ثمّ استمرّ هذا الانحدار مع بروز الصراع والنزاع بين أفراد النوع الإنساني، وأخذ يتضاعف مع مرور الأيام ألهاكم التكاثر...، وكان هذا منشأً لكلّ الحروب الطويلة المدمّرة في التاريخ الإنسانيّ الزاخر بالحوادث والوقائع.

وأما الحجّ، فهو تعليم، وتجربة مؤقّته، ومظهر للمثل العليا، يحثّ الإنسان على كبح جماح غرائز حبّ الزيادة والمكاثرة، ويظللّ الإنسان ينهل من هذا التعليم - المحدود زماناً - طوال عمره.

كما أنّ هذه الرؤية... تتضح أيضاً بوصفه مدرسة أخلاقيّة ومعنويّة، بناءً ومؤثّرة؛ فالحجّ

ص: ٨٦

بتهديبه للنفس وتزكيته للأخلاق، وإحيائه للروح، يُطلق الإنسان، ويحرّره ممّا يكدر صفاء روحه؛ من حرص وطمع وتكاثر وتفاجر وتكالب، وينقذه من السقوط، ويعرج به إلى الأعلى والأوج.

وهذا العروج الإنساني إلى الأوج، وإن كان أخلاقياً وعبادياً وعرفانياً في جوهره، إلّا أنّه أساس انتصار الإنسان على الصعيد السياسي، والعسكري، والاقتصادي ...

كما هو واضح عند أرباب الرأي والنظر.

الحجّ - من زاوية أخرى، وعلى المدى البعيد - يُعدُّ إعداداً لتأسيس حكومة عالميّة موحّدة، وإزالة الحدود الجغرافيّة، وإدارة المجتمعات البشريّة من قبل حكومة عادلة عالميّة مقتدرة.

وكما نعلم فإنّه قد بشر بفكرة الحكومة العالميّة الواحدة كثيرٌ من رواد الفكر، وعلماء الاجتماع، والسياسيين، والفلاسفة في العالم. ومع أنّ تحقيق هذه الفكرة في هذه القرون الأخيرة - التي يمكن عدّها آخر أدوار الترقّي البشري - أمرٌ متعذّر، إلّا أنّ تحقّق الأفكار الإلهيّة، وتطبيق الأهداف السماوية العظيمة، له أجل معيّن، ويتعاقب بشكل ينسجم والتأريخ البشري، ومن هذه الناحية فإنّ عرض الوحدة السياسيّة الاجتماعيّة من قبل الحجّاج، الذين يحضرون مراسم الحجّ من جميع أقطار الأرض، سيكون أحد العوامل المهمّة في تحقيق الجزء الأخير من هذه الوحدة.

والحجّ - على المدى القريب - يسعى لوضع قضايا ومشاكل المجتمع الإسلامي - الداخليّة والخارجيّة، اجتماعيّة كانت أو سياسيّة، أو اقتصاديّة - موضع البحث والمطالعة.

ويخطّط لمواجهة الأعداء الذين نذروا أنفسهم لحرب الإسلام والمسلمين.

ويحتضن كلّ أرباب الرأي والفكر، والمصلحين، والمؤرّخين، وعلماء الاجتماع، والسياسيين، وعلماء الدين، وزعماء المذاهب، من كلّ أطراف

ص: ٨٧

الأرض؛ لتتجدد روابط الأخوة الإسلامية، وتشيع المودة والمحبة بينهم، وليتعرف كلّ منهم على ما يحمله الآخرون من أخلاق وآداب، وطبائع، وأفكار، وعقائد، وخطّط واقتراحات، ثمّ ليصلوا من خلال المشاورة، واستطلاع الرأى، والبحث الجماعى المنسق - مع الأخذ بنظر الاعتبار مستجدات العصر ومتغيّراته - إلى طرق الحلول المناسبة، الشاملة، المتكاملة؛ وليقوموا - بعد ذلك - بإيصال ما حصلوا عليه من هذا السفر المبارك إلى أسماع شعوبهم والمسلمين المقيمين فى الدول غير الإسلامية، وإلى أسماع العلماء وأرباب الرأى فى كل أرجاء البلاد الإسلامية وغيرها، حتى يتعرّفوا على آرائهم فيما سمعوه، ويستفيدوا منها.

وينبغى على هؤلاء أن يخضعوا هذا الارتباط العلمى، والاستطلاع، والحجاج، والبحث الجماعى، لإدارة منظّمة، ويقوموا بوضع نظام وقواعد لهذا البحث بشكل يكون معروفاً ومقبولاً لدى المسلمين، وبهذا يتمّ تعزيز الروابط بين الدول الإسلامية، ويُفسح الطريق أمام الوحدة المستقبلية الكاملة للعالم الإسلامى.

والحجّ - مع حفظ كلّ ما فيه من نواحٍ معنوية وسياسية واجتماعية سبق ذكرها - يشتمل على جانب آخر، ألا وهو الرؤية الاقتصادية فى الحجّ.

والحجّ - من خلال هذه الرؤية - سوق حرة للدول الإسلامية.

والرقى الاقتصادية لهذه الدول مرهون بتبادل المنتوجات الصناعيّة واليدوية والزراعية، وتبادل الخبرات فى هذه المجالات. ولو أنّ دولة من هذه الدول انطوت على نفسها، وقطعت روابطها الاقتصادية مع سائر الدول الإسلامية، فإنّها ستكون عرضةً للتخلّف الاقتصادى، أو الانجذاب إلى فلك إحدى القوى الاقتصادية الكبرى فى العالم، والتبعية لها.

والحجّ - بصورته الفعلية - لا ينسجم اقتصادياً مع الغايات التى يسعى إليها الاقتصاد الإسلامى، بل

ص: ٨٨

هو- في أكثره- معرض ومكان لبيع وشراء السلع المستوردة من دول غير إسلامية، وهذا أمر طارئ على الحج أفرزته المشاكل السياسية التاريخية في العالم الإسلامي، وليس له ارتباط بنفس الحج.

فالحج- بنفسه- ملتقى اقتصادي للدول الإسلامية، ولا ريب في أن له دوراً أساسياً ومؤثراً في تسريع عجلة الاقتصاد، وإيصال العالم الإسلامي إلى الاكتفاء الذاتي، علمياً، وصناعياً، وزراعياً.

نضيف إلى كل ما مرّ أن الحج- كما تشهد به التجربة- عمل صحي وعلاجي، يضمن سلامة أفراد الحجاج، إذ لا شك في أن سفراً حياً مليئاً بالحركة والنشاط كهذا السفر، إضافة إلى أنه يدفع بالسموم المستقرّة في البدن إلى الخارج، وينظّم الدورة الدموية، ويساعد على تنشيط الدماغ والأعصاب، وذلك بسبب المجهود البدني والحركة الكثيرة، فإنّه- أي الحج- بما فيه من روحانية ومعنوية يضيف على الزائر جوّاً روحانياً مؤثراً يملأ نفسه صفاءً وقلبه راحةً واطمئناناً، وينعكس هذا بشكل إيجابي على صحته البدنية. وكلّ من وُفق إلى هذا السفر العظيم، لمس ذلك بالتجربة.

ونقول باختصار: إنّ الحج رهبانية إسلامية، فيه قوام الدنيا والدين، وهو كله منافع للناس، وذكر الله.

الحج عبادة وسياسة، سياحة وزيارة، اقتصاد وصحة، الحج فرد ومجتمع، مادة ومعنى، دنيا وآخرة، وهو كهذا العالم، وهذا الإنسان، مركّب ثنائي من جسم وروح.

وينبغي أن تُشير إلى نقطة جديدة بالاهتمام، وهي: أنّ الحاج إذا لم يسع في إصلاح نفسه، وينعتق من أنانيته، ويهتم بتركية نفسه وتصفيتها، ويتدبّر في أسرار الحج ورموزه، وإذا لم يطهر ممّا إلتاث به من مساوئ الأخلاق وأمراض النفس، فإنّه سوف لن يصل إلى أيّ منفعة من المنافع الآتية الذكر.

ص: ٨٩

لا- في السياسة، ولا- في الاقتصاد، ولا في جهاد الأعداء، ولا في الفكر، ولا في أي مجال آخر، وذلك لأن الإنسان إذا لم ينتصر على عدوه الداخلي- وهو النفس الدائبة على معاداة الله وكل المظاهر الإلهية، والتي لا تبرح زائغته عن صراطه المستقيم- فإنه ليس منتصراً. والانتصار على العدو الخارجي معناه تضافر وتجسد كل القوى المعادية لله والموجودة في كل نفس، وليس انتصاراً أن يظهر عدونا الداخلي ويبرز. ففي الحقيقة أن كل واحد منا يحمل في داخله عدواً من قبيل الطابور الخامس- إذا صح التعبير- وهو الأنا وحب الذات، وإذا لم يتم القضاء على هذا الطابور الخامس، الذي هو- بتعبير أدق- مقر قيادة العدو، فلن نكون بمأمن من شر العدو. والمقصود: هو أن إعطاء الأهمية للجانب المعنوي من الحج، والاستناد إلى الروايات العرفانية والأخروية، وإلى معاني ورموز وإشارات السير والسلوك الكامنة في الحج، ينبغي أن لا يمنع من الرؤية الاجتماعية والسياسية، وأن لا يحول دون النظر إلى الجوانب الدنيوية الأخرى في الحج.

٢- لمحة عن مناسك الحج

نقصد في هذا القسم من المقالة تطبيق ما عرضناه في القسم الأول منها وبشكل كلي على كل منسك من مناسك الحج.

فلا بد- إذن- من أن نبدأ بالكعبة:

البيت الذي عبر عنه القرآن أنه أول بيت وضع للناس (١)

بيت حجري بسيط، بنى بهندسة معمارية بدائية، تفتقد كل أنواع المظاهر والزينة ومع هذا كله فهو رمز للوحدة البشرية، وشعار للأمن والأمان في المجتمع الإنساني. هذا البيت العتيق- الذي هو أقدم معبد على وجه

ص: ٩٠

الأرض، وقد أعيد بناؤه على يد إبراهيم الخليل - هو الحمى، والملجأ الديني والكهف الاجتماعي الحصين لجميع الناس. ولا يوجد في أي نقطة من هذا العالم - لقوم، أو قبيلة، أو عرق، أو طائفة - مركز فيه هذه المميزات مع ما فيه من الجاذبية والمعنوية والحرمة والقدسية لهذا البيت.

ومراكز الأمان (الدول المحايدة) التي تُعدُّ ملجأً للمظلومين وحتى المجرمين، ما هي إلاّ الأمن الإبداعات الحديثة في القرون المتأخرة، وكما قال الطنطاوي: إنَّ الله ألهم الناس أن يقوموا بعمل أوحاه إلى نبيه إبراهيم عليه السلام.

الحرم:

تحيط بالكعبة من جهاتها الست منطقة محرمة، وهي الحرم الإلهي الآمن، وفي هذه المنطقة - التي ذكرت حدودها في الكتب الفقهية - تقع على عاتق الحجاج بل وغيرهم، أحكاماً ومسؤوليات، منها عدم جواز التعرض لأمن ما يضمه الحرم: فنبات الحرم آمن، وحيوانه آمن، واللاجئ إليه آمن، والحرب فيه محرمة و...، كل هذا رعاية لحريم بيت الله المطهر، وإسبغاً للمعنوية والقدسية والإحترام على هذه البقعة، وليكون هذا المكان الواسع - إلى حد ما - مكاناً يتمييز على كل ما سواه، خالصاً لمنافع الإنسان المادية والمعنوية.

فالحرم منطقة صلح كامل، وأمن كامل، وحب وتعاون كاملين، يخضع فيه الإنسان لسيطرة كاملة، فيمنع حتى من التعرض للنبات والحيوان، فما بالك بأخيه الإنسان؟!

الإحرام:

من جملة الأفعال الواجبة لدخول الحرم، الإحرام، وما أروع اتحاد مادّة (الحرم) و (الإحرام)، ويمكننا القول - بتعبير أدق - إن الإحرام يُعدُّ تمثيلاً للحرم في وجود المحرم؛ فكأنَّ الحاج الذي يلبس ثوبى

ص: ٩١

الإحرام يجسد الحرم الإلهي الآمن في وجوده، ويعلن أنّ حدود وجوده منطقة محرّمة، منطقة صلح وسلام وأمن وأمان. وهذا هو واقع الأمر؛ إذ يحرم على الحاجّ - بعد الإحرام - ارتكاب أربعة وعشرين شيئاً، فلا يجوز له حتّى قطع شعرة من شعره، ولا يجوز له قلع واحد من أسنانه، ولا إخراج الدم من بدنه وبدن غيره، وليس له الحقّ في أن يتعرض لحيوان في الحرم ولو كان حشرة استقرّت على بدنه أو ثيابه، ويحرم عليه أن يجادل أحداً بقول:

«بلى والله، ولا والله» ولو كان غير حاجّ، إلى غير ذلك.

ولا - يحقّ له - من ناحية أخرى - أن يدور على محور الشهوة، بل ليس له الحقّ في أن يحوم حول مقدماتها؛ كالخطبة لنفسه وغيره، وإجراء العقد كذلك، فلا - يجوز له النظر بشهوة، ولا العمل الشهواني (ولو كان محللاً قبل الإحرام)، بل يمنع حتّى من التعطّر، وشمّ الروائح الطيبة، وسدّ أنفه عن الروائح الممتنة، والاستظلال من الشمس، وتغطية رأسه، و...

وليس المقصود أن نقوم بتعداد كلّ محرّمات الإحرام، ولكننا نريد من وراء ذلك تجسيد تلك الحالة المفعمة بالروحانيّة والتنزّه التي تستغرق كيان المحرم، فتجعل من وجوده حرماً إلهياً آمناً.

ونقول باختصار: إنّ الحاجّ - بعد الإحرام - يجد نفسه ملائكي الصفات، طاهراً من شوائب المادّة، من الشهوة والغضب، ومن كلّ ما يمثّل حيوانيته.

ومثل هذه الحالة لا يعفوها النسيان، بل تبقى ملازمة لذاكرة الإنسان، منبعاً للمثّل ومصدراً للموعظة، في جميع مستقبله، ولا بدّ لتربية الإنسان - من سلوك طريقة تبقى حيّة في ذاكرته على الدوام، ولهذا أمر الحاجّ بمفارقة لباسه المخيط، حيث يخلع عن بدنه لباسه المعتاد، ويكتفى بقطعتين من لباس أبيض بسيط، علامة على مفارقتة لكلّ العلائق والروابط، وإعراضه عن كلّ مظاهر

ص: ٩٢

الامتياز والتعالى والتفاخر، وهو بذلك يضع - تحت قدميه - كل الامتيازات التى أضفاها مصمّموا الأزياء والخياطون على آلاف من أنواع الملابس العسكريّة والدينيّة والعريقيّة والطائفيّة، وعلى أنواع ثياب الملوك المتكبرين، وأصحاب المناصب المدّعين. وإذا بهذه الأمم المختلفة، وهؤلاء الأفراد المختلفين، شؤوناً ومناصب، حكّاماً ومحكومين، ينصهرون فى وحدة خالصة مُخلّصة من كلّ غلّ وغشّ، ويظهرون بمظهر الاتّحاد والأخوّه والمساواة، فى شكل واحد ظاهر وظاهر، أبيض نورانيّ، إلهيّ، ومعرض هذه الوحدة صحراء أرض التوحيد المترامية الأطراف، والحرم الإلهيّ المقدّس.

ويظلّ هذا العرض - إلى الأبد - عالقاً فى ذاكرة كل فرد من الحجاج الذين حضروا هذا المشهد، كما يظلّ عالقاً فى ذاكرة المجتمع الإسلامى، وذاكرة كلّ المجتمع البشرىّ أيضاً، بوصفه لوحة رائعة منقطعة النظر، ملهمة للأجيال، ومشحونة بالدعوة إلى الصلح والسلام، والمعنويّة، والإخلاص، وعبادة الواحد الأحد.

التلبية:

«لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك».

إذا ما استثنينا صلاة الطواف التى هى بهيئة الصلاة المتعارفة، فليس فى فروض الحجّ فرض يكون من مقولة اللفظ والكلام سوى هذه الكلمات المدويّة، والملأى بالجلال والعظمة. ولا يجب على الحاجّ - فى جميع مناسك الحجّ - قول أو دعاء أو ورد أو ذكر، غير التلبية. وقال الفقهاء: المقدار الواجب من التلبية هو هذه التليات الأربع الأولى، لا غير.

ولهذه التريمة الرائعة المتناسقة - التى يردّها الحجّاج بإخلاص منقطع النظر، وبصوت عالٍ

ص: ٩٣

متناغم متكزّر- أثر في تلقين روح الطاعة وأتباع حكم الله، والاستجابة لدعوته، وهذا الأثر شيء لا يناله الوصف، ولا يسبر أعماقه قلم أو بيان.

وللكلام في الموضوع مجال واسع يضيق به هذا المقال.

عرفات:

أرض معرفة، أرض أول إنسان هبط، ثم أخذ في طريق الصعود، أرض آدم وإبراهيم ومحمد عليهم السلام، أرض تجلّى فيها جبرئيل بحقيقته لنبينا صلى الله عليه وآله، أرض صحراوية قاحلة، تخلو من أيّ معلم أو بناء، فيها يفترش الإنسان الأرض ويلتحف السماء، فأى أرض هذه التي تضع الإنسان في صميم خلقه الطبيعي والحقيقي بهذا الشكل؟! هنا-

في عرفات- عصر التوبة والإنابة المضيء، وعهد إعادة بناء وتكوين الشخصية الجديدة، هنا المقرّ الأبدى لإعلان شريعة الإسلام عبر آخر سفير من سفراء الوحي الإلهي.

هنا يفنى الإنسان في هاله من العظمة والسكون، والإلهام والروحانيّة، والفكر والتدبّر، والمناجاة والدعاء والعبادة.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «الحجّ عرفه».

ولو أنك- في أول منازل الحجّ- لمست في روحك وقلبك التغيّر والتحوّل، ودفعك الوقوف في عرفات إلى التأنى والتفكير والتدبّر، ثمّ انتهت بك الوقوف في المشعر إلى إكمال ما بدأت في عرفات، فهذا يعني أنّ أساس سائر المناسك قد استقرّ وأحكم بما لا يقبل الزعزعة، وأنّ الوقوفين قد أدّيا على أحسن وجه.

وقد أشرنا- آنفاً- إلى أنّ التدبّر والتأمّل لابدّ من أن يكونا أساساً للحركة والانبعاث. والوقوفان هما أساس وجوه مناسك الحجّ الشريفة؛ ولهذا فلا يوجد ركن يبطل الحجّ بتركه سهواً ودون تفريط، غير هذين الوقوفين (١).

الحجّ في عرفات يُلهم من الأرض والسماء؛ يلهم من نفسه التي تطهّرت وتنزّهت، ويلهم من هذه

ص: ٩٤

الأفواج التي تقاطرت من كل مكان، على اختلاف لغاتها وألوانها وأعراقها، ثم ظهرت بمظهر واحد، لتشغل بمعرفة أنفسها، وعالمها، وربها.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالتأمل في صحراء عرفات، وهي أنها تصوّر لنا عرصات المحشر، فإذا بالحاج - حيث تتمثل يعينه صور القيامة والحساب - يستغرق في حالة من الانقطاع والتضرع، تجعل منه - بحق - إنساناً آخر، إنساناً متعالياً متكاملًا، قد أقبل على الآخرة، وكان أهلاً لوصال الحبيب والتشرف بدخول الحرم.

المشعر الحرام:

فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام (١).

هذه الآية الكريمة تعني الحجّاج الذين أفاضوا إلى المشعر الحرام غروب اليوم التاسع من ذي الحجة.

وللمشعر لون وعطر وإشراق، وله جاذبيّة خاصّة، وحالة خاصّة، فالمشعر حرم، وعرفات ليست من الحرم.

وأنت - أيها الحاج - تحرم من حرم إلى حرم - ولكي تكون مؤهلاً لدخول الحرم، فإنك عدت إلى معرفة ذاتك، وأعدت بناءها خارج الحرم في صحراء عرفات، وهنا أنت تعزم - ليلاً - على الرحيل إلى حرم الله، فالمشعر حرم، ومنى حرم، ومكة حرم، وتطلب الإذن بالدخول مرحلة بعد مرحلة.

وها أنت تقضى ليلتك في المشعر الحرام بذكر الله، طبقاً لهذه الآية المباركة وللسنة، وجرياً على السيرة المتعارفة، وتعدّ ما استطعت من قوّة وسلاح لمقارعة الشيطان. ومن السنة أن تقوم بجمع أحجار الرمي من أرض المشعر الحرام، وهذا التشريع إعداد للأفراد من أجل مواجهة العدو، ويكون ذلك ليلاً وفي صمت، في الخفاء أو نصف الخفاء، وهذه الحالة من الخفاء أو نصف الخفاء محسوسة بالكامل لمن كانوا ليلة العاشر في

ص: ٩٥

المشعر الحرام.

وأرض المشعر- هذه المنطقه الجبلية الوعره، بخلاف أرض عرفات- شاهد على الآلاف والآلاف من الحجاج الذين ينتشرون في أرجائها، فرادى، وجماعات من الثلاثة والأربعه، ليجمعوا الأحجار لمعركه الغد. وتذكر أنك لن تكون جديراً بدخول المعركه إلا بالوقوف في عرفات والمشعر، وتهذيب نفسك، والظفر بشخصيتك المعنوية الجديدة.

منى:

أرض الآمال، أرض معركة إبراهيم المنتصرة، وفيها يؤدى أكثر مناسك الحج صعوبة في زمان يزيد على كل مدة الحج، مع أن ما يؤدى فيها هو من أقصر الفروض، منى أرض الصراع ضد الشيطان، وأرض القرابين، والتقصير، ووصل الليل بالنهار على حال من الخوف والرجاء، بذهبية ومعنويات المجاهد الصامد الذى يدأب في ثلاثة أيام متوالية على إسناد المعركة وتغذيتها والاستمرار فيها حتى الوصول إلى النصر المحتم على العدو، ويواصل هذا الجهاد مشفوعاً بالنشاط والأمل والاجتهاد واليقظة. في هذا المكان يحل للحاج- بعد التقصير- كثير من المحرمات، على التفصيل المذكور في كتب الفقه، ويعود الحاج- بعد نحر أضحيته- إلى ما اعتاده من اللباس، ليكون مستعداً لوصل الحبيب، والدخول إلى حريم المعبود، والطواف ببيت الله، والسعى بين الصفا والمروة.

فى منى يقترن الجهاد أطراف النهار بالتدبر آناء الليل، ويكون كل منهما مكتملاً للآخر.

ويتوافد كثير من الحجاج- بعد النحر- إلى مكة؛ ليؤدوا الطواف والسعى، ثم يعودوا أدراجهم إلى منى، ويمكنك أن تقضى ثلاثة أيام بليتها فى منى، ثم توجه عصر اليوم الثانى عشر إلى مكة لإتمام المناسك

ص: ٩٦

مرّة واحدة.

ونودّ الإشارة إلى أنّ العادة جارية- في عصرنا- على إقامة المؤتمرات والاجتماعات في أرض منى؛ للبحث وتبادل الآراء في أمور المسلمين، وهو أمر مقبول إجمالاً، شريطة أن لا يكون مظهرًا خالياً من المحتوى، وكلاماً لا يقترن بالعمل، أو يكون- لا قدر الله- مخالفاً لمرضاة الله ومصلحة المسلمين.

رمى الجمار:

وهو تدريب رائع لبعث روح الجهاد ضدّ العدو، فالجمرات الثلاث معالم للشرّ والخبث، وهنا التحم إبراهيم مع وسوسة الشيطان في صراع مرير، ثم ظهر على الشيطان، وليس المقصود من رمي الأحجار التافهة، ضرب معلم الشرّ (البناء) البارز، بل هو إعداد نموذجي للبشرية من أجل خوض الصراعات المستمرة في جميع ميادين الحياة.

وميدان الرمي هذا- على حدّ تعبير حافظ عامر بيك- مكان لصناعة اليد المحاربة. فالرمي باليد مباشرة يوجد فيك ملكة الكفاءة القتالية، ومتابعة العدو، والتهديف الدقيق، وإنّ يداً- كهذه اليد- سوف تكون نافعة وقادرة على حلّ المشاكل في مستقبل الحياة. الأضحية:

هذه السنّة العظيمة لإبراهيم خليل الله، والذكرى الخالدة لفداء إسماعيل تذكّر أنّ شيخاً طاعناً في السنّ قضى سنين عمره الشريف في السعي، والجهاد، والهجرة، والإعراض عن المال والولد، وها هو- في أواخر عمره- يؤمر بتقريب ونحر ولده الحبيب الذي أصبح- الآن- شمعة تضيء لهذا الشيخ الكبير ظلام الحياة على حين انقطاع الأمل، وعندما عزم إبراهيم- صادقاً ومن أعماق قلبه- على التضحية بولده، وتلّه للجبين مُمراً المديّة على نحره، نودي بما أخبرنا به القرآن: وناديناه أن يا إبراهيم قد

ص: ٩٧

صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ... وفديناه بذبح عظيم (١)

، وجاء الفداء، وأمر إبراهيم بذبح الكبش مكان ولده.

ومن هنا فإن نحر الأضحية- وهو آخر أعمال الحاج في حال الإحرام- إلى جانب كونه إحياءً لذكرى فداء إبراهيم العظيم في مقابل تلك التضحية التي تحيّر العقول وتأخذ بالألباب، فإنه يعلم الحاج التضحية بماله في سبيل الله، تضحيةً تعود عليه وعلى سائر المسلمين بالنفع المادى، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢).

وعلى المسلمين في العالم أن يسعوا بتعاونهم وتخطيطهم المشترك- إلى إكمال مشروع تجميد لحوم الأضاحي وتعليقها، بشكل يضمن التطبيق الكامل لحكمة هذا التشريع الواردة في القرآن الكريم، ويحول دون الإسراف وإفساد هذه اللحوم ودفنها في التراب، حتى لا يتسببوا في تضييع هذه المنفعة العامة.

التقصير:

هو أحد مناسك عمرة الحجّ، وبه تختم العمرة، فهو خاتمة مقطع من الحجّ، ويؤدى بأخذ مقدار من شعر الرأس، أو اللحية والشارب، أو تقليم الأظفار.

ويحل لك- بعد التقصير- كثير من محرّمات الإحرام، ولكنك لست محلاً بالكامل بعد، ولا تزال غير قادر على الاستجابة لكلّ غرائزك الشهوانية الأساسية، إذ إنّ حرمة التعطّر والجماع مستمرة إلى ما بعد التقصير في مقطع من الحجّ.

ويمكن أن يكون التقصير علامة على أنك وقفت- إلى حدّ ما- في مرحلة تطهير الجسد والروح، وها أنت يجب عليك- لتنجح نجاحاً كاملاً- أن تؤدى قسماً آخر من المناسك في منى، ومكّة أيضاً. إذن، فإنّ للأمل والرجاء- هنا في منى- تجلياً خاصاً، فهل- ترى- سميت منى بمنى لهذا السبب!؟

أورد كلّ من محمّد الغزالي في

١-١ الصافات: ١٠٤-١٠٥-١٠٧.

٢-٢ الحجّ: ٢٨.

ص: ٩٨

إحياء علوم الدين، والفيض الكاشاني في المحجّة البيضاء بعض المطالب، وإليك منتخباً ممّا تحتويه:

الطواف صلاة. احفظ مراتب التعظيم والتكريم والخوف والرجاء والمحبة. ها أنت كالملائكة الذين يطوفون بالعرش الإلهي، ولا تحسب أنّ المقصود طواف بدنك في أطراف البيت، بل المقصود طواف قلبك بذكر صاحب البيت، فلا تبدأ ذكراً ولا تختمه إلباسه، كما أنّ الطواف يبدأ من البيت وينتهي إلى البيت واعلم أنّ جوهر الطواف طواف القلب بالحضرة الإلهية، وما البيت إلا مثال ظاهري في عالم الملك للحضرة الربوبية التي لا ترى بهذه العين، كما أنّ الجسد مثال ظاهري للقلب (١) في عالم الشهود، ولا بدّ من معرفة أنّ عالم الملك والشهود العالم الحسي يرقى درجة بعد درجة لمن فتحت له الباب.

وما ورد في الأخبار من أنّ في السماء بيتاً وضع قبالة الكعبة، يسمّى بالبيت المعمور، تطوف حوله الملائكة كما يطوف الناس حول الكعبة، فيه إشارة إلى هذه الموازنة والمسانخة بين عالم الملك والملكوت. وبما أنّ أكثر الناس قاصرون عن الوصول إلى هذه المرتبة من الطواف، فقد أمروا بالتشبه ما وسعهم ذلك. (إلى هنا ينتهي ما انتخبناه من محتوى كلام الغزالي).

فالطواف هو بيت القصيد الرقيق والمتغلغل إلى أعماق القلب، من ملحمة الحجّ الرائعة.

الطواف تبلور لمقام القرب والوصال بين العابد والمعبود، وينفرد الطواف مع صلاته عن بقيّة المناسك باشتراط الطهارة فيهما، فلا يجب على الحاجّ الوضوء أو الغسل (إذا صدر منه أحد موجباته) لسائر أعمال الحجّ الأخرى، كما لا تشترط الطهارة من الحيض في المرأة- لغير الطواف وصلاته.

الطواف حول البيت عدل وموازن للصلاة، فالصلاة هي الطواف بصورته الساكنة مقابل الكعبة،

١-١ المراد من القلب في هذه الموارد، الجوهر النفسانيّ المجرد، المتّحد مع نفس الإنسان.

ص: ٩٩

والطواف هو الصلاة- بصورتها المتحرّكة- حول البيت.

وتقريب هذه الصورة أكثر، افترض أنّ الكعبة مركز لدوائر كثيرة يحيط بعضها بالبعض الآخر، أولها المطاف- وهو أقرب وأصغر دائرة ترسم بالطواف حول البيت- وآخرها ما يستدير في أقصى نقاط الأرض المختلفة، وتشكّل هذه الدوائر من المصلّين الذين يتوجّهون من جهات هذا العالم الأربعة إلى الكعبة المكرّمة، ولو أنّك أمّعت النظر في دائرة من هذه الدوائر، لرأيت أنّ المصلّين في حالة من الطواف، غير أنه طواف ساكن بصورة الصلاة.

ومن جهة أخرى فإن الطائفين حول البيت يشكّلون دائرة بالطواف أيضاً، وهم بهذا الطواف يقومون بتصوير وعرض كلّ الدوائر التي يرسمها المصلّون في أرجاء الأرض وكلّ واحد من المصلّين- في أيّ قوس، ومن أيّ دائرة- ما هو إلّا ممثّل لطواف الطائفين بالبيت، كما أنّ الطائفين بالبيت يمثّلون بطوافهم صلاة المصلّين في جميع أرجاء الأرض.

فأنت- أينما ومتى وقفت للصلاة- قوس من دائرة أقواسها الأخرى في شعاعك، وهذه الدائرة- حتّى في أبعد فاصله من الكعبة- ما هي إلّا تمثيل لدائرة الطواف الصغيرة بمقياس أوسع وأكبر.

والطائفون المتحرّكون الحاضرون في المسجد الحرام، هم- أيضاً- المجرّسون للدوائر الكثيرة المتكرّرة من الطائفين الساكنين، والمنبئين في أرجاء العالم، الغائبين عن البيت.

يتّضح بهذا أنّ الطواف حول البيت ليس أمراً ينفرد به حجاج البيت؛ فالمصلّون أينما وقفوا- في أيّ شعاع، وأيّ دائرة، صغيرة كانت أو كبيرة- كأنّهم يطوفون بالبيت طوافاً ساكناً في صورة الصلاة.

وباختصار: فإنّ الطواف صلاة متحرّكة، والصلاة طواف ساكن.

والصلاة والطواف عبادة واحدة تؤدى

ص: ١٠٠

بشكلين، أو هما روح واحدة في بدنين.

ويمكننا القول- زيادة في التوضيح- إنّ الانجذاب والعشق يتجلّيان في أفعال العاشق بصورتين مختلفتين: فطوراً بالهدوء والتأمل والانسفراد والترنم بأسرار الحبّ، وطوراً بالنهوض والحركة والعجز عن امتلاك زمام النفس، التجلّي الأوّل هو الصلاة، والتجلّي الثاني هو الطواف.

الطواف والصلاة مظهران لأطهر وأقدس وأروع حالات الإنسان، وأكثرها جذباً وروحانية وملكوتية، (الصلاة معراج المؤمن). وليست هناك حالة أخرى ينتفع فيها الإنسان إلى هذا الحدّ بالوصال والقرب التام من سرّ الخلق، وكنه الوجود، ومعشوق العالم، ومعبود الكلّ.

الطواف- من زاوية أخرى- تصوير للمسير الدائري لكلّ نظام الخليقة على محور الخالق الذي منه يبدأون وإليه ينتهون. الطواف تجسيد للمسير الدائري- المحيّر، والحائر- لكلّ ذرّات عالم الوجود.

والطواف- في الوقت نفسه- بدايةً لدوران جديد، وعتورٌ جديد على المحور، يعيد حياة الإنسان المنفصل عن الحقيقة والدائر على محاور الدنيا الباطلة، إلى الدوران على محور الحقّ والعدل والطهارة. وإذا ما كان المحور الذي تدور عليه حركتنا وأعمالنا هو الحرص والطمع، وهذه الأهداف الدنيوية الفانية المادية، فإنّ الطواف هو المعير لهذا المحور الذي تدور عليه حياتنا. وفي الطواف رمز آخر، وهو أنّه يدعو الإنسان ذا الأفق الضيق والبعد الواحد إلى النظر من جميع الجوانب، ويجلب انتباهه إلى جميع الجهات.

الطواف سير في اللانهاية، ودوران من الحقّ إلى الحقّ، وأنت تصبح بهذا السير إنساناً لا يهدف إلّا إلى الحقّ، ولا يدور إلّا على محور الحقّ يفضل الطواف كالصلاة معراج للمؤمن. الطواف الصلاة في عرضه للحركة وعدم الاستقرار، والصلاة

ص: ١٠١

تفضله بتجسيدها للهدوء والتأمل.

الحجر الأسود:

حجر أسود، لا يميّز - بطبيعته - على غيره من الأحجار، خلق بشكل غامض ومجهول، وعرف بأنه يمين الله.

الحجر الأسود بمنزلة العلم الذي لا يختلف عن نظائره بشكله وصناعته الظاهرية، ولكنه رمز يعكس كل تاريخ الأمة ووجودها وشرفها. تصوّر البعض أنّ استلام الحجر يشبه احترام أو تحية العلم، وهو أمر معتاد ومرسوم في جميع الدول، ويبدو أنّ هذا التصوّر صحيح، وينسجم مع الروايات التي عبرت عن الاستلام بأنه (مصافحة مع الله) أو ما يشبه ذلك.

والحجر - في تصوّر بعض آخر - هو قلب البيت، فكأنّ كل ما هناك من قدس وجلال ومعنوية وجاذبية وعظمة ينبعث من هذا الحجر إلى جميع أرجاء البيت. ومن البيت إلى المسجد، ومن المسجد إلى مكة، ومن مكة إلى الحرم، ومن الحرم إلى جميع أنحاء العالم، فقلب المعنوية نابض في الحجر، ومنه تسرى المعنوية إلى البيت، والبيت قلب المسجد النابض؛ والمسجد قلب مكة الذي يضخ المعنوية والقدسية في عروقها، ومكة - بدورها - تسقى منطقة الحرم، ومن هذا المركز المطهر المضىء (الحرم) ترتوى كل أرجاء العالم من نبع التوحيد الأصيل.

والحجر - من خلال رؤية أخرى - رمز لوحدة البشرية، فكأنّ جميع الناس على هذه الأرض، يعلنون - باستلامهم الحجر - الوحدة في التراب والوطن، فالكلّ من أرض واحدة، ولا حدود تفصل بين أوطانهم، وعند هذا الحجر الأسود يُعلن أنّ الناس من عرق واحد وتراب واحد وطبيعة واحدة (١).

السعى بين الصفا والمروة:

السنة أن يتوجه الحاج بعد الطواف إلى بئر زمزم، ويشرب من مائه، ثمّ يذهب إلى جبل الصفا، ليبدأ

ص: ١٠٢

سعيه إلى المروءة، بأدعية طويلة رائعة تعقب بذكرى الروح الملكوتية لآخر سفير من سفراء الوحي الإلهي. الصفا، هو ذكرى أول نداء أعلن عن نبوة خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه المنتجبين). والسعي من هذا الجبل إلى ذاك الجبل - إضافة إلى كونه تجديداً لقصة هاجر أم إسماعيل في بحثها المتواصل المنهك عن الماء لولدها الرضيع - يصور حالة الخوف والرجاء التي تعتري الزائر في الحج. وليس هناك في العالم فاصلة بين جبلين كهذه الفاصلة القصيرة بين الصفا والمروءة، تثير في النفس كل هذه الخواطر الروحانية والملكوتية.

فما الذي تريده من السعي بين الصفا والمروءة؟ أتريد الذهاب من جبل إلى جبل بحثاً عن الحبيب، أو طلب القرب على حال من نفاذ الصبر والاضطراب، أو تجسيد حالة الحيرة بعد الظفر بالقرب في الطواف؟

الحاج - في هذا المنسك - يظهر سعيه المتواصل والمكثّر للاستمرار في طريق الوصال، ويبدى اضطرابه. وفي الهرولة - بشكل خاص - مدّ وجزر روحي، ويتضح انعكاس هذا المدّ والجزر على كل أعضاء بدن الساعي؛ بما يعتريه من قلق ونفاد الصبر. كما أنّ الهرولة - من جهة أخرى - تلقى عن كاهل الإنسان أثقال الكبر والأنانية وحبّ الذات. وقد جاء في الرواية:

«ما لله - تعالى - من منسك أحبّ إلى الله - تبارك وتعالى - من موضع المسعى؛ وذلك أنّه يدلّ فيه كلّ جبار عنيد (١).

ص: ١٠٣

الهوامش:

مهمّات مشبوهة في الديار المقدّسة (١)

ص: ١٠٤

مَهْمَاتٌ مَشْبُوهَةٌ فِي الدِّيَارِ الْمُقَدَّسَةِ (١)

حسن السعيد

بادئ ذي بدء، نجد أنّ من الضروري تحديد المقصود بـ «الديار المقدّسة»، التي نعني بها هنا «الحرمين الشريفين»: [مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة]، وذلك رفعاً لالتباس قد يحصل، إذ يزخر الوطن الإسلامي بالأماكن المقدّسة: القدس الشريف، النجف الأشرف، كربلاء، الكاظمين، خراسان، سامراء... الخ (١) وتأتي خصوصيّة مدينتي مكّة والمدينة، من كونهما معقل الإسلام الحصين لقرون طويلة، وهما مهبط الوحي والتنزيل، ومحط أنظار المسلمين. وقد بقيتا في ظل العصور الإسلامية الزاهرة، عصيتين على أعداء الإسلام من الكافرين، إذ لم يكن بمستطاع القوى الغربيّة، أن تعرف تفاصيل كافيّة، عن طبيعته سكان الجزيرة العربيّة، وتضاريسها الجغرافيّة. ومع تزايد قوّة أوروبا، في القرون المتأخّرة، وضعف العالم الإسلامي، انطلقت في الغرب موجة من الاهتمام الظاهري الذي أخفى ذلك الاهتمام الحقيقي، الناتج عن اعتبارات سياسيّة واستراتيجيّة (٢).

وليس بوسعنا الاحاطة بأبعاد هذا الاهتمام وحقيقته، دون معرفة خلفياته

-
- ١-١ في حدود علمنا، تُعد «موسوعة العتبات المقدّسة» التي أعدها وأشرف عليها المرحوم جعفر الخليلي أفضل عمل في هذا الباب.
- ٢-٢ يُراجع مقال «من تاريخ رحلات الاستكشاف الغربيّة إلى الجزيرة العربيّة وأغراضها؛ رجال على ظهر الرمال العربيّة لعبد الرحيم حسن، مجلة العالم لندن- ٢٧٦: ٢٧٥٠ آيار مايو ١٩٨٩ م- ٢٢ شوال ١٤٠٩ هـ.

ص: ١٠٥

التأريخية، وظروفه السياسية، وفي سياق معترك الصراع الحضارى المحتدم، منذ قرون، بين الإسلام والغرب. أبرز محطات الاحتكاك

وباختصار شديد، إن الغرب ما يزال، منذ ١٤ قرناً، مفتوناً بالإسلام في شكل ما. ذلك أن الإسلام ظلّ دائماً- من وجهة نظر غربيّة طبعاً- خصماً ومنافساً وعدواً للغرب الأكثر قرباً إليه، على مستوى العوالم الثقافية الشمولية، وعلى حدّ تعبير المستشرق الفرنسي «مكسيم رودنسون» فإن الإسلام قدّم نفسه، منذ نشأته، على أنه الخصم الأكبر لأوروبا المسيحية، بعد أن انتزع منها السيطرة على عدد كبير من المناطق في العالم (١).

في البداية كان ردّ الفعل المسيحي للإسلام هو، ببساطة، نوع من التذمّر المكتوم، ولكن عندما دمر الخليفة الفاطمي «الحاكم بأمر الله» المزارات المسيحية المقدّسة في القدس، فإنّ هذا التذمّر تطوّر إلى صخب هادر (٢) لتفاقم تداعياته لاحقاً على غير سعيد، في ظل خوف أوروبي من غزو إسلامي قادم، ومن ثمّ لتلملم أوروبا شتاتها، وتقوم بالهجوم المضاد، حتى انتصارها المدوّى، يوم أجهزت على العالم الإسلامي، خلال الحرب العالمية الأولى، لتمزقه أشلاء وكيانات هزيلة.

وبالإمكان إجمال أهم محطات الاحتكاك المباشر بين الإسلام والغرب فيما يلي:

- ١- مواقف الإسلام أمام الرومان منذ غزوات «تبوك»، و «اليرموك»... الخ.
- ٢- فتوحات المسلمين في صقلية والأندلس وجنوب فرنسا، قبل أن تستيقظ أوروبا من غفوتها إلى وعيها الثقافي الجديد.
- ٣- الاصطدام العنيف بين أوروبا المتحدة وبين الإسلام، تحت شعار

١- ١ للمزيد من الاطلاع على هذه النقطة، يُراجع كتاب «الإسلام والغرب؛ الوجه الآخر» لكاتب السطور، من اصدار مؤسسة التوحيد للنشر، طهران، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م: ١٤ وما بعدها.

٢- ٢ بربارا براون: «نظرة عن قرب في المسيحية» ترجمة مناف حسين الياصري، نشر توحيد، طهران، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م: ٨٥.

ص: ١٠٦

«الحروب الصليبية».

٤- سقوط القسطنطينية في يد الأتراك عام ١٤٥٣ م، وبسقوطها فُتِحَ باب أوروبا على مصراعيه للسيل الإسلامي (١).
ثمَّ حدثان خطيران آخران، في هذا الاتجاه، لعبا دوراً مهماً في تحديد مسار الصراع، هما: سقوط الأندلس عام ١٤٩٥ م، وبلوغ العثمانيين مشارف قينا مرتين، عامي ١٥٢٩ م، ١٦٨٣ م. ففي الوقت الذي استمدَّ فيه الغرب من الحدث الأول زخماً هائلاً لمواصلته هجومه على الإسلام، في بقعة أو بقاع أخرى.. كان الحدث الثاني، وما أثاره من خوف دفين، باعثاً قوياً لابعاد الخطر المحدق. ومن هنا نشأت المسألة الشرقية، حيث كان الأتراك- في البداية- يشكلون تهديداً حقيقياً للنظام السياسي والاجتماعي في أوروبا. أما في المرحلة الثانية، من مراحل هذه المسألة، فلم يكن الأتراك يشكلون خطراً على أوروبا، بل كانت الدول المسيحية، في أوروبا، تشكّل خطراً على الأتراك، ينذر بزوالهم من الوجود.

وينبغي لنا الآن- يقول أحد الباحثين- ألا ننسى وألا نقلل من شأن هذه الحقيقة، وهي أن العامل الديني كان من أهم عوامل المسألة الشرقية. فإن الأتراك لم يكونوا فقط غرباء عن أوروبا عرقياً ولغوياً واجتماعياً، وبلغه ه. أ. ماريوت (Marriott) «مادة غريبة كلياً مغروسة في جسم أوروبا الحي» بل كانوا أولاً وآخرًا مسلمين.. ولذا فإن المسألة الشرقية، كما عرّفها ادوارد دريو (Driault) هي «مشكلة القضاء على قوة الإسلام السياسية» (٢).

ولكن كيف يتسنّى للغرب ذلك؟

جزيرة العرب: بؤرة الاهتمام

لسنا، هنا، بصدد الإجابة عن هذا التساؤل، غير أن ذلك لا يعفينا عن

-
- ١- ١ د. محمد إبراهيم الفيومي: «الاستشراق رسالة استعمار»، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٣ م،: ٣٠ بشيء يسير جداً من التصرف.
٢- ٢ زين نورالدين زين: «الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان»، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧١ م،: ٢٣.

ص: ١٠٧

تسليط بعض الضوء، على بعض الإجابة، وبما يتماشى مع منهجيّة البحث، وبشكل موجز.

بعد أن افتتح الأتراك مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م، وُضعت خطط عديدة لتقسيم الامبراطورية العثمانية. وقد جمع ت. ج. جوآرا (Djuwara) الديلوماسى الرومانى، لا أقل من اثنتين وتسعين خطة من هذه الخطط. ومن بينها خطط وضعها بابوات مشهورون، مثل البابا ليون العاشر، وكليمنت الثامن، وأخرى وضعها ملوك وأباطرة أمثال: مكسيميليان الأول، ونابليون الأول، وديلوماسيون ورجال سياسة أمثال البرونى (Alberoni) وتاليران (Talleyrand)، كما أن رجالاً من أصحاب الخيال الشارد، ومن المثاليين أمثال ليبتس (Leibnitz) وراهب سان بيير.. اشتركوا أيضاً فى وضع مثل هذه الخطط لاقتسام الدولة العثمانية (١).

وحيثما كتب «وليم بلغريف» فى مشاهداته الشخصيّة عن «رحلة عام فى وسط وشرق الجزيرة العربية» عام ١٨٧٣ م: «لقد حان الوقت لأن نملاً هذا الفراغ الموجود فى خارطة آسيا، وهذا الذى سنحاوله رغم كل خطر، فإما أن تصبح الأرض الممتدة أمامنا قبراً لنا، أو أننا سنعبّر أوسع امتداداتها عرضاً» فإنه كان يلخّص حلم الرحالة الذين سبقوه، وأغراض أولئك الذين سيأتون بعده.

قد تكون ملاحظة «بلغريف» مقطوعاً عرضياً، فى تاريخ واهتمام واسعين، يتجاوزان الجزيرة ورمالها إلى حلم الشرق، وهو يدخل المخيلة الغربية، بعد أن عاد لها الصليبيون بحس عالم مختلف. ويرتبط ذلك الحلم بروح عصر النهضة الذى أخذ يدبّ فى أوروبا، ويفتح عيونها على البحار البعيدة والقريبة، والشعوب التى تقطنها. واكتسب الشرق صورة خاصة، فى تشكيلات الحلم الغربى، وتلوّن بمختلف حالات أوروبا الفكرية وأوضاعها السياسية والعسكرية (٢).

وما أن انتهى القرن التاسع عشر الميلادى، حتى كان معظم العالم الإسلامى

١-١ المرجع السابق.

٢-٢ لعل أوسع تاريخ للحلم الغربى عن الشرق ذاك الذى كتبه «ادوارد سعيد» فى كتابه «الاستشراق»، إلّا أنه قصر الجهود المتقدّمة على النصف الثانى من القرن الماضى على الطابع العلمى الأكاديمى وحده. مجلة العالم؛ المرجع السابق.

ص: ١٠٨

قد استحوذت عليه الدول الأوروبية، أو خلقت فيه مناطق نفوذ سياسية أو اقتصادية. ففي الخليج الفارسي كانت بريطانيا تتسلل تدريجياً، منذ فترة مبكرة، خاصة بعد انتصار الاسطول البريطاني على الاسطول الأسباني، في معركة «الارمادا» عام ١٥٨٨ م، وتأسيس شركة الهند الشرقية عام ١٦٠٠ م، حيث أخذت الشركة تستولى على إمارات الساحل العربي في الخليج الفارسي، وتطوّر علاقاتها مع كل من إيران والعراق.

ومن المعلوم أن معظم الشمال الأفريقي قد سقط بيد الاحتلال الفرنسي، ابتداءً من عام ١٨٣٠، واحتلت روسيا القيصريّة المناطق الإسلاميّة في آسيا، ولم يبق بيد الدولة العثمانيّة إلا الأناضول والعراق والشام والجزيرة العربيّة. أما مصر فقد خرجت من السلطنة الحقيقيّة للدولة العثمانيّة، منذ عام ١٧٩٨ م، حين غزاها نابليون بونابرت. ولكنّها بقيت على شبه ولاء، حتى جاء عام ١٨٨٢ م، لتصبح ضمن ممتلكات الاستعمار البريطاني.

وكانت الخطة الأوروبيّة للاستيلاء على العالم الإسلامي، تتمثّل بالاحتلال العسكري التدريجي، أو التعامل الاقتصادي، أو التسلّل من خلال التبشير، أو الرحالة الجغرافيين، أو إيجاد العملاء المحليين، حيثما كان ذلك ممكناً. وبدون ذلك ما كان سهل لأوروبا أن تدخل في صراع مباشر، مع العالم الإسلامي الواسع الأرجاء، والذي يملك حصانة دينية متينة، تعضدها روح جهاديّة تخيف أوروبا وتقلقها.

من أجل ذلك، كانت المنطقة العربيّة من أكثر المناطق الإسلاميّة اهتماماً من لدن الأوروبيين، نظراً للموقع الاستراتيجي والتاريخي، وكانت الجزيرة العربيّة بؤرة هذا الاهتمام الذي سيجعل من رجحان كفة الأوروبيين، وتمزيق العلاقات العربيّة-العثمانيّة (١).
وبديهي أن تحتل مكة المكرمة والمدينة المنورة موقع الصدارة في قائمة

١-١ د. شلتاغ عبود شرّاد: «غياب الوعي في موقف الشعراء العرب من ثورة الحجاز ١٩١٦: البطولة الفرديّة وحلم الوحدة»، مجلة العالم لندن-٣٤٣: ٨٥٠ أيلول/سبتمبر ١٩٩٠ م-١٧ صفر ١٤١١ هـ.

ص: ١٠٩

أولويات الاهتمام الغربي بالجزيرة العربية. فقد كان لظهور الإسلام- الذي تفجرت ينابيعه من بطاح مكة ووهاها القاحلة، وللمعجزة الخالدة التي حققها (النبي) محمد صلى الله عليه وآله والمهتدون بهديه، في نشر الإسلام، بمثل تلك السرعة الخاطفة، في الخافقين- صدى ما زال يرن في الغرب، ويدوى في أرجائه. فراح علماءه ومستشرقوه يبحثون في كل ماله علاقه بهذه الدعوة، التي اهتدى المسلمون بهديها، واستضاءوا بنورها، فأخذ العالم يدرس أحوال مكة التي انبثق منها ذلك النور، ويمحص المؤرخون جميع ما يمت إليها بصله. وقد بلغ من اهتمام الغربيين بمكة أن دخل اسمها في لغتهم، وأصبح كلمة خاصة تدرج في القواميس، لتدل على الجهة التي يتوجه إليها الناس، أو يقصدونها بصفة دائمة.

لم يكتفوا بذلك فقط، وإنما شد لها الرحالون الغربيون رحالهم أيضاً، وقصدها السياح والمسافرون منهم، فجازفوا بأنفسهم وأرواحهم؛ ليدخلوا فيها ويحجوا إليها متنكرين. وقد حالف التوفيق عدداً منهم، وفشل كثيرون غير هؤلاء، فتكونت مما كتبوه ودونوه، عن تلك الدراسات والمجازفات، ثروة علمية يصعب على الباحث أن يحيط بها كلها، ولا سيما أن ما كتب لم يكن في لغة واحدة، من اللغات الغربية الحية، وإنما كتب بلغات عدة أخصها؛ الانكليزية، والألمانية، والفرنسية.

ولا يخفى أن الدوافع التي تدفع الغربيين إلى الاهتمام بمكة، وما يتصل بها من شؤون، أو الكتابة عنها، هي دوافع معروفة أهمها: الأغراض التبشيرية، أو البحث العلمي، أو المجازفة والتطويح، أو التجسس والأغراض السياسية في الغالب (١).

المغامرون يتقاطرون على الشرق

صحيح أن جزيرة العرب ورد ذكرها في بعض المصادر الغربية، ومنذ وقت

١-١ جعفر الخليلي: «موسوعة العتبات المقدسة» [قسم مكة]- ٢: ١٨٠ مؤسسة الأعلمي، ط ٢، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

ص: ١١٠

بعيد، إذ ذكرها في كتبه مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد، هيرودوتس، وكذلك تحدّث ثيوفست تلميذ أرسطو حديثاً شيقاً عن طيوب بلاد العرب الشهيرة في كتابه «تاريخ النبات»، والجغرافي اليوناني سترابون (حوالي مستهل القرن الأول الميلادي)، والمؤرخ الروماني بليني في القرن الثاني للميلاد، الذي وضع لوائح بأسماء القبائل والمدن والقرى الموجودة في وسط شبه جزيرة العرب. ولكن كل ما كتبه هؤلاء الكتاب لم يكن كافياً لإمطة اللثام عن حقيقة شبه جزيرة العرب، وإن كان كافياً لإثارة همّة الدول لاكتشاف ما خفي منها (١).

وفي خضم دوامة الاحتكاكات بين الإسلام والغرب، غاب الكثير من الحقائق، وانطمس وراء ستار الدخان الكثيف، حتى آلت الأمور إلى أن كل ما كان يعرفه الأوروبيون، عن جزيرة العرب، هو أن الرسول الكريم ولد بها، وفيها المدينتان المقدستان عند المسلمين؛ مكة المكرمة والمدينة. وكان يسود بينهم اعتقاد خاطئ، بأن جثمان النبي الكريم معلق في الهواء!! (٢) وليس هذا الاعتقاد الخاطئ هو اليتيم في تصورات الغربيين عن الإسلام، فهناك ركام من الأوهام قد يصل حدّ الخرافات والأساطير، وهو ما اعترف به الكاتب «بيتر برينت»، حينما يقول: «لقد وصلت إلينا - نحن الأوروبيين - خرافات وأساطير تصف أعداءنا، وهم يجوبون جيئها وإياباً أوروبا، ووصلت إلينا معلومات عن المشرق الإسلامي، تتسم بطابع الإشاعات والخوف والحسد، بدلاً من البحث والاستقصاء والتبصير بالأمور. فقد أصبحت بلاد العرب، ولا سيما مكة مجرد مناطق خرافية يكمن فيها الخطر، وهي أصل وقلب ذلك الدين الذي يهدّد كيان المسيحية بأسرها. فشوارعها وأرضها محظورة على الغرباء الكفار. والسيف يحمي حماها، والتعصب الأعمى يسيطر على المدافعين عنها. وهكذا تراجت حقيقتها عن الأوروبيين الذين لم يمارسوا أي تفكير سوى تجاهها، بل بالعكس أصبح الرحالة الأوروبيون يخترعون حالة من الظلام، وسحابة كثيفة مفعمة،

١-١ د. محمود السمرة: «مراجعات حول: العروبة والإسلام وأوروبا»، سلسلة كتاب العربي ٤- الكويت، ١٩٨٤ م،: ١١٨.

٢-٢ المرجع السابق: ١١٧.

ص: ١١١

ومحفوظة بالأخطار بأن تلك المنطقة هي منطقة غير منظمّة، ولا يجوز الاقتراب منها، إلّا في حالة خطر الموت المحدق. فهناك يكمن فيما وراء حدود سورية، وخلف جبال اليمن، وفي الداخل خلف البحر الأحمر، أساطير خرافية وتهديد، وبؤرة ملايين الصلوات، ومولد أعداء المسيحية (هكذا) وموطن ذلك اللغز المحيّر المخيف» (١).

ويواصل «برينت» حديثه قائلاً: «وهكذا أصبحت شبه الجزيرة العربية بلاداً أسطورية، فلقد أطلقت الاشاعات والتخمينات عليها هذا الاسم، فضلاً عمّا كتبه بعض الرحالة الموسوسين شديدي التدقيق والاهتمام بالتوافه الذين أتوا للاستكشاف.

وبسبب عدم قدرة الأوروبيين على اختراقها، أصبحت المنطقة الإسلامية سرّاً من الأسرار.. وهكذا ظلت بلاد العرب محتفظة بذلك السحر والإثارة بالنسبة للأوروبيين، خلال قرون وقرون. فماذا كان هناك يا ترى؟ ما هو قدس الأقداس الذي يستقطب صلوات الملايين، من غرناطة حتى دلهي، ومن سرايفو حتى تمبكتو يا ترى؟

وهكذا فالتحدى الضمني الموجود، في مثل هذه الأوضاع، أصبح في النهاية أمراً لا يُقاوم، وكما سنرى لم يكن من الممكن مقاومته. وهكذا بدأ المغامرون الدهاء الواسع الحيلة والتواقون لكشف سرّ وجود مكّة والمدينة، هاتين المدينتين المغلفتين بالأسرار والمحروستين بالتعصّب (!..!!)، بدأ هؤلاء المغامرون يتقاطرون بشوق للتعرف على تينك المدينتين، وعلى شبه جزيرة العرب بأجمعها، مع وجود فوارق كبيرة في دوافعهم، تراوحت بين الشدّة والضعف» (٢).

مهمّات ومحاولات مشبوهة

ولأسباب كثيرة، دونها حساسية الموقف المفرطة، أُحيطت تحركات

١ - ١ بيتر برينت: «بلاد العرب القاصية: رحلات المستشرقين إلى بلاد العرب»: ٣٢. ترجمة خالد أسعد عيسى وأحمد غسان سبانو، منشورات دار قتيبة، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٢ - ٢ المرجع نفسه: ٣٤ - ٣٥.

ص: ١١٢

الغريبيين، حول مكّة المكرّمة والمدينة المنورة، بالحيطه الشديده، ولذا اتّسمت - في الأعم الأغلب - بالسريه التامه. غير أن هناك تحركاً عليّياً، هو الأول من نوعه، انفرد بروايته الكولونيل البريطاني «جيرالد ديغوري»، إذ يتحدّث عن إقدام الصليبيين على مهاجمه الإسلام في عقر داره، بقطع طريق الحج إلى مكّه، ومحاولة الاستيلاء على المدينتين المقدّستين، في حوالي سنه ١١٨٢ - ١١٨٣ م، على عهد الشريف قتاده، وفي أيام الخليفه المقتدر في بغداد.

فهو يقول: إن فارساً من فرسان الصليبيين الفرنسيين يدعى «رينودي شاتيون» Chatillon de Reynaud كان قد استولى على بلاد شرقى الأردن وقلاع مؤاب والشوبك، شرقى البحر الميت، فأصبح مسيطراً من هناك على طريق الحج إلى مكّه المكرّمة، فصارت تراود مخيلته خطه جريئه، يهاجم فيها الإسلام في عقر داره، ويحقّق آمال الصليبيه. وفي السنه التاليه خالف شروط الهدنه المعقوده مع المسلمين، وتوغل في جزيره العرب حتى وصل إلى تيماء، فقطع طريق الحج، واستولى على عدد من القوافل الغنيّه، غير أنه تخلّى عن فكرته في مهاجمه المدينه بطريق البر، للاستيلاء على ما كان يؤمل وجوده من أموال ونفائس، في قبر النبي صلى الله عليه وآله، وقرر أن يفعل ذلك عن طريق البحر..

وبعد قيامه بأفعال شنيعه، من إحراق السفن التجاريه، وإغراق سفينه كبيره كانت تقل عدداً كبيراً من الحجاج إلى جدّه.. قرّر صلاح الدين الأيوبي - يتابع ديغوري - أن يضع حدّاً إلى الأبد لهذا الخطر الذى صار يهدّد مكّه وغيرها، من المدن المقدّسه، فأمر بالاستيلاء على قصر رينو وقلعته، وبدأ حصاره بقيادته هو نفسه، في خريف عام ١١٨٣ م، وفلت رينو من الحصار، على أنه لم يبق طويلاً على قيد الحياه، بعد حملته الفاشله في البحر الأحمر، على كل حال، لأن صلاح الدين دحر الصليبيين سنه ١١٨٧ م، في موقعه حطين بالقرب من الجليل، فسقطت في

ص: ١١٣

يده مملكة القدس الصليبية، وقد أسر أمراء المسيحيين وفرسانهم، وقُتل رينو «عفريت الغرب» وخصم صلاح الدين شر قتله، في حضور صلاح الدين بالذات، وفي رواية أنه قتله بيده (١).

وبإخفاق هذه المحاولة اليائسة، تراجعت - إلى حد كبير - الرؤية الموضوعية، لصالح التدليس والتحريف لحقائق التاريخ، والحط من قيمة الإسلام والمسلمين، واعتبار أن المسلمين ليسوا أصحاب حكمه ودراية بالحرب وفنونها، وأنهم جبناء.. وكفار، وملاحدة، ووحوش، وقطاع طرق.. (٢) ليأتي لاحقاً أدب الرحلات الاستشراقى، ليضفى على هذه الأحكام طابعاً نمطياً، حتى بدت المعلومات المقلوبة والشوهاء وكأنها محايدة وموضوعية وواقعية!

يقول البروفيسور «ادوارد سعيد»: «لم يصبح الإسلام رمزاً للرب، والدمار، والشيطاني، وأفواج من البرابرة الممقوتين، بصورة اعتباطية. فبالنسبة لأوروبا كان الإسلام رجّة مأساوية دائمة».. ويدعونا «ادوارد سعيد» إلى أن نتأمل كيف أصبح الشرق، منذ القدم، وبخاصة الشرق الأدنى، معروفاً في الغرب بوصفه نقيض الغرب المتم له.. فيقول: كان ثمّة الكتاب المقدس وبزوغ المسيحية وانتشارها. وكان ثمّة رحالون مثل ماركو بولو الذى رسم خطوط التجارة، وخلق نسقاً لنظام مقنن للتبادل التجارى، ومثل لودفيكو قارتيما وبيترو ديلا فالى من بعده، وكان ثمّة مؤلفون للحكايات الخرافية مثل ماندقيل، وكان ثمّة حركات الفتوح الشرقية المهيبة بالطبع، وفي مقدمتها الإسلام، وكان ثمّة الحجاج المقاتلون كالصليبيين بشكل رئيسى. وقد نشأ من مادة الأدب، الذى ينتمى إلى هذه التجارب كلّها، سجل حفظ ذو بنية داخلية متماسكة. ومن هذا كله ينبع عدد محدود من الكسولات النمطية: الرحلة، التاريخ، الخرافة، النموذج المنمط، والمواجهات التماحكية. وتلك هى العدسات التى من خلالها يُجرَّب الشرق ويُعاين، وهى تصوغ لغه الصدام بين الشرق والغرب، كما تصوغ تصوّره وشكله» (٣).

١- ١ ٣٨ ٩٧: P. De Gaury, Gerald: Rulerz of Mecca, London, ١٥٩١, نقلًا عن موسوعة العتبات المقدسة ٢: ٢٢٠.

٢- ٢ د. رفعت سيد أحمد: «آيات شيطانية: جدلية الصراع بين الإسلام والغرب»: ٥٤. الدار الشرقية، ط ٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.

٣- ٣ ادوارد سعيد: «الاستشراق؛ المعرفة، السلطة، الانشاء»: ٨٨. ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط ٢، بيروت، ١٩٨٤.

ص: ١١٤

ولا ريب، أن الرحالة والمغامرين والمستشرقين الذين قاموا بمهمّات سرّية أو مشبوهة، في عمق المشرق الإسلامي، والحجاز تحديداً، كانوا بمثابة طلائع الاستعمار وأدلّائه (١).

قارتيما: أول المتظاهرين بالإسلام

ويستفاد ممّا جاء، في عدد غير يسير من المراجع الغربيّة، أن مكّة المكرمة تطرّق إلى ذكرها المؤرخون الغربيون، منذ القدم، كما أشرنا، وأن عدداً من رحالي الغرب ومستشقيه قد تسنّى لهم الدخول إليها، والاشتراك في مناسك الحج، في مختلف الأدوار السابقة واللاحقة، بعد أن أعلنوا إسلامهم الحقيقي أو غير الحقيقي.

وقد تهنّأ لعدد من هؤلاء أن يكتب عن مجازفاته ومغامراته (٢).

وسنكتفي بالإشارة إلى المشهورين من هؤلاء، أمّا المغمورون وأولئك الذين بقيت مهمّاتهم طي الكتمان فهم أكثر بكثير من المعلنين والمعروفين لدينا في الأقل (٣).

وأول أوروبي زار مكّة والمدينة، في العصور المتأخرة وكتب عن رحلته، فوصلت كتابته إلينا سالمة واضحة رجل ايطالي مغامر يدعى «لودفيكو قارتيما» (٤) «Ludovico de Varthema» وإن كان من الصعب أن نتأكد؛ إذا كان قارتيما هو حقيقة أول شخص أوروبي يغامر باختراق الصحراء العربيّة، فقد ادّعى أكثر من واحد، أنّهم دخلوا مكّة قبل قارتيما، مثل جون كابوت «John Cabot» الذي ادّعى أنه قد وصل مكّة في الثمانينيات من عام ١٤٨٠ م، بيد أنه وأمثاله لم يكتبوا شيئاً، ولم يتركوا أي شاهد على رحلاتهم.

ولذلك يبقى لدينا أن «قارتيما» كان أول شخص يخترق صخب الخرافات والفرع، الذي كان يغلف أواسط وقلب بلاد الإسلام ويخفيه عن عيون الأوروبيين. وأن كان ما نعرف عنه - يقول برينت - هو هذه المغامرة التي قام بها

١- ١ يُراجع المقال الذي يحمل عنوان «خبراء الاستشراق: طلائع الاستعمار وأدلّاؤه»: ٨٢-١٠٧. لكاتب السطور في مجلة التوحيد، العدد ٨٧ السنة الخامسة عشرة، ذو القعدة ١٤١٧ هـ - آذار ١٩٩٧ م.

٢- ٢ موسوعة العتبات المقدّسة ٢: ٢٥٠.

٣- ٣ ما تجدر الإشارة إليه، أنه قد طبع في فرنسا، في الفترة الممتدة من [١٦٦٥-١٧٤٥ م] ما يزيد عن مئة وخمسين رحلة، منها على الأقل مئة رحلة جديدة، قسم كبير منها إلى المشرق، تُراجع قائمة بأهم كتب الرحلات إلى المشرق من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر، أدرجها د. جبور الدويهي في ذيل مقاله «الرحلة وكتب الرحلات الأوروبية إلى المشرق حتى نهاية القرن الثامن عشر» المنشور في مجلة الفكر العربي - ٣٢: ٥٨ نيسان/ أبريل - حزيران/ يونيو ١٩٨٣ م.

٤- ٤ موسوعة العتبات المقدّسة ٢: ٢٥١.

ص: ١١٥

بمرح وسعادة ودهاء (١).

وما زال المؤرخون مختلفين في أصل قارتيما حتى الآن: فبعضهم يقول: إنه بولوني، وآخرون يقولون: إنه روماني. وحتى الذين يؤكّدون أنه إيطالي لا يعرفون، تماماً، من أيّة مدينة إيطالية أتى هذا الرجل. وما يزيد القضية غموضاً أن «قارتيما» نفسه يدّعي أنه من أهالي بولونيا الإيطالية، في مقدمته كتابه «Itinerario»، ثم يعود ويشير نفسه بأنه روماني، فيما تطلق عليه بعض المراجع الغربية لقب «نبيل روما» (٢).

وليس المهم عندنا أصله، بل رحلته التي تعاقبت طباعتها وترجمتها، خلال ثلاثين عاماً دون انقطاع (٣) وهو يدّعي أنه طيب، ومع ذلك فهو يذكر، بقليل من الأسى والأسف، أنه قد ترك وراءه زوجته وأطفالاً، يمرّ على ذكرهم مرّ الكرام. ثمّ يخبرنا بشيء من التواضع أن ليس لديه شيء من المواهب، ولكنّه لا يخلو من النزر اليسير، ومع ذلك فإن طبيعته ملاحظاته تدل على قدر كبير من الدهاء.

وهو يستعمل مهارته كجندی، ولربما تعلم الفنون، وهو في خدمة بعض الشخصيات في إيطاليا.

ولمّا كانت طرق التجارة، إلى الشرق وإلى شمال أفريقيا، تجتذب المغامرين يومذاك، فإنه عقد العزم على خوض هذه المغامرة، مهما كان الثمن، وصرّح بأنه ينوي القيام برحلة، تعتبر من أشق وأصعب أنواع الرحلات التي نسجها خياله، وطغت على أفكاره. فهذا الرجل كان ينوي أن يكون أول مسيحي يتّجه إلى مكّة المسلمة. وعندما غادر إيطاليا لم تكن تلك الفكرة قد استحوزت عليه، بل يبدو أنه بدأ بالتفكير بتلك المغامرة، عندما رأى الفرصة مناسبة لتحقيقها. والأمر الأكيد هو أن «قارتيما» كانت تتنابه بعض الهواجس، وكان يتوق إلى القيام بشيء جديد، كما يتوق الظمآن للماء العذب! (٤) وهكذا أبحر «قارتيما» من البندقية في عام ١٥٠٣ م، ووصل الاسكندرية،

١-١ بلاد العرب القاصية؛ م. س: ٥٧.

٢-٢ للمزيد يُراجع؛ موسوعة العتبات المقدسة ٢: ٢٥١ وما بعدها، وبلاد العرب القاصية: ٥٦ وما بعدها، مراجعات حول العروبة والإسلام واوروبا: ١١٨ وما بعدها.

٣-٣ مراجعات حول؛ العروبة والإسلام واوروبا؛ م. س:

٤-٤ بلاد العرب القاصية: ٥٦-٥٧.

ص: ١١٦

وبعد أن زار حصن بابلون في مصر، على ما يقول، توجه لزيارة طرابلس وانطاكية وبيروت ودمشق. وهناك ارتبط بصداقة مع ضابط من ضباط المماليك، فقرر الذهاب إلى مكة معه، في ضمن موكب الحج السنوي الذي يخرج من دمشق، بكثير من المراسيم والتقاليد (١).

وعلى ما يبدو أن الخطوات التي أقدم عليها «قارتيما» كانت محسوبة بدقة، ولم تكن محض صدفة. وما يدل على ذلك ما ذكره الكاتب البريطاني «بيتر برينت»، فقد سارع، منذ أول وصوله دمشق، إلى تعلم اللغة العربية، واستعد لاستئناف الرحلة جنوباً، ثم أمّن لنفسه مكاناً في القافلة الذاهبة إلى مكة، بعد أن عمل على عقد عرى الصداقة مع أحد زعماء المماليك، بما بذل من الهدايا والتودد. وهكذا عينوه حارساً من حراس القافلة. ولم ينزعج عندما طلب منه اعتناق الدين الإسلامي. فقد كان ابن النهضة الإيطالية البار، في ذلك الزمن الذي تألق فيه الترف والذكاء، وعندما أصبحت المسيحية تحت رعاية آل مديشى وغيرهم من الأمراء المستنيرين. فلم يكن ليتعثر عند اعتناق دين غريب، وعندما طلب منه اختيار اسم اختار اسم جونه (٢).

الطريق إلى مكة

وفي الثامن من نيسان (أبريل) ١٥٠٣ م تحرّك قارتيما إلى مكة بزى جندي من جنود المماليك، ضمن قافلة الحج التي تضم حوالي أربعين ألفاً من الحجّاج.

انطلقت القافلة في الصباح الباكر تكتنفهم أصوات الجمال وصرخات سائقي الأبل والغبار المنطلق؛ ليلاً جو ذلك النهار الربيعي. وكان «قارتيما» يراقب كل شيء، وبرفته ستون حارساً مثله، وهو ممتط صهوة حصانه، وكانت القافلة تسير بشكل متعرج ملتو، وبدأت تلك الحركات المعقدة في جانبه وخلفه، والتي أكدت له أخيراً أن مغامرته الحقيقية قد بدأت وأصبحت في حيز الوجود والتنفيذ (٣).

١-١ موسوعة العتبات المقدسة؛ م. س ١-٢: ٢٥٢.

٢-٢ بلاد العرب القاصية: ٥٨.

٣-٣ المرجع نفسه.

ص: ١١٧

ويظهر من الرحلة التي دوّنها «قارتيمًا» أنه رجل أفاق، متحامل على النبي صلى الله عليه وآله والإسلام، بعيد عن الثقافة والاتزان. ادّعى أنه اتصل بكثير من المسلمات في رحلاته، ودوّن ملاحظات فيها الكثير من الخلط والخرافات (١) والمبالغة. فهو يذكر مثلًا: أن القافلة بلغت وادي سدوم وعمورة، بعد مسيرة اثنين وعشرين يومًا!! ومن الواضح أن ذلك ليس صحيحًا؛ لأن هاتين المدينتين تقعان على شاطئ البحر الميت.. وأغلب الظن، إذا أخذنا بعين الاعتبار أيام السير المذكورة، أن المدينتين الواقعتين في ثلاثة أخماس المسافة ما بين دمشق والمدينة، لا يمكن أن تكونا سوى مدائن صالح والعلا، وقد مرّ بهما «قارتيمًا» متوهّمًا أنهما سدوم وعمورة... (٢) وإضافة إلى أسلوب المبالغة الذي طفق على العديد من الأحداث التي رواها، مع حرص واضح على تشويه سمعة المسلمين والإساءة إليها، فإنه عمد في مواطن عديدة إلى ذكر أحداث يكاد يتفرد بها دون سواه، ومن ذلك ما يرويه في رحلته، إذ يذهب إلى أنه وصل مع القافلة إلى جبل بالقرب من المدينة (المنورة) يسكنه قوم من اليهود، يبلغ عددهم خمسة آلاف نسمة، وهؤلاء قصار القامة لا يزيد الواحد منهم على الخمسة أو الستة أشبار، أو أقل من ذلك بكثير، ولهؤلاء أصوات رقيقة كأصوات النساء، وبشرة تميل إلى السواد، وهم يعيشون على لحم الماعز، وإذا وقع المسلم بأيديهم يسلخون جلده وهو حي!

وحينما وصل إلى المدينة التي يسميها «مدينة النبي» بقي فيها ثلاثة أيام، وهو يدّعي أنه دخل الحرم الشريف، الذي يسميه المعبد، ويصفه وصفًا موجزًا، فيقول: إنه مسجد مقبب يدخل إليه من باين كبيرين، ويحمل سقفه حوالي أربعة مئة عمود من الآجر الأبيض!!، وفيه عدد كبير من المصايح المعلقة- الثريات- يناهز الثلاثة آلاف!! ويشير إلى وجود عدد من الكتب الدينية، في جهة من جهات المسجد التي تحتوي على تعاليم الديانة الإسلامية وحياء النبي وأصحابه، ثم يذكر

١-١ موسوعة العتبات المقدسة [قسم المدينة]- ٣: ٢٣٩.

٢-٢ مراجعات حول؛ العروبة والإسلام وأوروبا: ١١٨.

ص: ١١٨

شيئاً عن القبر المطهر، ويقول: إنه توجد بقربه قبور أبي بكر وعثمان (كذا) وفاطمة (١).

ويتهز «قارتیما» الفرصة لإيراد بعض القصص المسيحية، وتسبح له الفرصة لتصحيح الاعتقاد الشائع في أوروبا من أن جثمان النبي صلى الله عليه وآله معلق في الفضاء في البيت الحرام بمكة، فيقول: «أما بخصوص هذه الأخبار فأنا أخالفها تماماً، وأؤكد أن هذا ليس صحيحاً، وليس به أي مظهر من مظاهر الصدق والحقيقة».

ولكنه سرعان ما يعود إلى تحامله، حين يبدي تبرمه من المناظر القذرة، والحلى التافهة الكاذبة التي تُعرض في الأسواق، ومن الغش والرياء والنفاق في دين محمد صلى الله عليه وآله!! (٢) الحج: مناسك.. وانطباعات

يبدأ «قارتیما» بوصف مكة. إذ يذكر في الفصل الذي يتطرق فيه إلى تشييدها وانشائها أنها مدينة جميلة تكتظ بالسكان؛ لأنها تحتوى على ستة آلاف أسرة.

ودورها حسنة للغاية، مثل دور الايطاليين، على حد تعبيره، وهناك بعض الدور تقدر قيمة الواحدة منها بثلاثة أو أربعة آلاف دوكات. ويذكر كذلك أن مكة لم تكن مسورة؛ لأن أسوارها هي الجبال الطبيعية التي تحيط بها، ولها أربعة مداخل.

وحينما وصل الحج الشامي كان الموكب المصري قد وصل إلى مكة، ولذلك يذكر «قارتیما» بالمناسبة أن هذا الموكب كان فيه حوالي أربعة وستين ألف جمل، وله مئة مملوك للحراسة. ويقول بطريقته التهكمية، التي تدل على تعصبه ضد الإسلام: إن الله سبحانه وتعالى أنزل لعنته على هذه المدينة، فجعلها جرداء قاحلة لا تنتج أي شيء من العشب والأشجار، ولا أي شيء آخر، وإنما كانت تستورد معظم أطعمتها وحاجياتها من القاهرة عن طريق البحر الأحمر. وقد اندهش «قارتیما» من كثرة الحجاج الهائلة وتعدد جنسياتهم وقومياتهم، بحيث يقول: إنه لم يجد

١- ١ موسوعة العتبات المقدسة- ٣: ٢٣٩.

٢- ٢ بلاد العرب القاصية: ٦٠.

ص: ١١٩

مطلقاً، من قبل، مثل هذا العدد من الناس يجتمع في بقعة واحدة من الأرض (١).

ويمضى «قارتيما» في نقل انطباعاته ومشاهداته، فيذكر في الفصل المخصص للحج والغفران من رحلته أن مركز مكة يوجد فيه معبد جميل جداً، على حدّ تعبيره، يشبه الكولوسيوم الموجود في روما، لكنّه مبنى من اللبن المشوى، وللمسجد الحرام، أو المعبد كما يسميه منهُ باب ذات طوق، ثمّ يشير إلى وجود الكعبة في الوسط، دون أن يذكر اسمها، ويقول: إن المغفرة من الله تطلب عند الطواف حولها، وللكعبة- التي يسميها «برجاً»- باب فضة لا تزيد في علوّها على قامه واحدة (٢).

ورغم أنه حرص على وصف الشعائر التي تمارس في مكة، وغير ذلك ممّا وقعت عليه عيناه، أو تناهى إلى سماعه، غير أنه لم يذكر شيئاً عن الحجر الأسود، مع أنه قد وصف ذلك (البرج) في وسط المسجد الحرام، وهو الكعبة، وأخبرنا عن ذلك الحشد الذي وُجد في ٢٢ مايس (أيار) عام ١٥٠٣ م (وهو موعد عيد الأضحى) وقال: إن الاحتفال يبدأ في الصباح قبل الفجر، وكان الناس يطوفون سبع مرّات حول البرج ويقبلون زواياه، وغالباً ما كانوا يتحسسون زواياه ويلمسونها.

إن الحجر الأسود موضوع في إحدى زوايا الكعبة. وهنا يتساءل المرء عمّا إذا كان «قارتيما» قد دخل البيت الحرام حقيقة، أو أن أساس ما قاله كان يرتكز على ما قيل له، إذ إنه كان يراقب الحجّاج من مكان بعيد، ربما بصفته حارساً يقف على الجدران في أعالي ذلك البيت المقدّس (٣).

ثمّ يصف بئر زمزم ويقول: إن لها قبة جميلة، وإن عمقها يبلغ سبعين قامه، وإن ستّه أو سبعة رجال يقفون عادة حول البئر؛ ليستقوا الماء للناس منها. وهؤلاء يريقون ثلاثة أسطل من ماء زمزم فوق كل حاج من الحجّاج، فيتبلل به من قمّة الرأس إلى أخمص القدم، ولو كان لباسه من حرير (٤).

١-١ موسوعة العتبات المقدّسة- ٢: ٢٥٣.

٢-٢ المرجع نفسه.

٣-٣ بلاد العرب القاصية: ٦٢.

٤-٤ موسوعة العتبات المقدّسة- ٢: ٢٥٣.

ص: ١٢٠

بعد ذلك، يخبرنا عن الأماكن التي تُراق بها دماء الأضاحي من الحيوانات، كما يقول، في «منى» خارج مكّة.. «لقد رأيت هناك حشداً من الفقراء، يزيد على عشرين ألفاً..» وهؤلاء يحفرون خنادق في الأرض يشعلون فيها النيران التي يُغذيها روث الحيوانات، ويشوون اللحوم التي تُعطى لهم ويأكلونها وهم في أمكنتهم. ثم يصف باختصار الهدية التي أرسلها امبراطور الحبشة إلى سلطان مكّة، وهي عبارة عن زوج من حيوان أحادي القرن.. (١) وبعد أن أدّى «قارتيما» مناسك الحج كلها في المدينة ومكّة، على ما يقول، استطاع بتدبير خبيث أن يهرب من القافلة وزملائه الحرّاس عليها إلى جدّة، ومن هناك أبحر عن طريق البحر الأحمر إلى إيران (٢) ومنها إلى مناطق أخرى؛ ليكمل المهمة الموكولة إليه، على ما يبدو.

الهروب من الحجاز

ونترك هنا المجال لكاتب غربي هو «برينت»؛ لسلط بعض الضوء على المهمة الخاصة التي كان «قارتيما» منغمساً فيها، حيث يقول: «لم يكن «قارتيما» من الأشخاص الذين يعودون من الطريق نفسه التي أتوا منها، فهو يريد السفر والترحال إلى الأمام؛ ليرى بلداناً أخرى وعجائب أخرى. ولقد مرّت به فترات تعرّض فيها للخطر، وهي التي جلبت له تلك الفرصة السانحة للتجوال، فقد كُشف أمره، وعُرف أنه أوروبي، وتعرّف عليه أحد المغاربة كمسيحي، والمغاربة معروفون باتساع مدى رحلاتهم إلى البندقية وجنوه. ولذا فقد تدبّر «قارتيما» أمره، وأقنع ذلك المغربي أنه قد اعتنق الدين الإسلامي عن صدق وإيمان، وتظاهر بكراهيته للمسيحيين بصورة عامة وللبرتغاليين بصورة خاصة، وهم الذين حولوا التجارة إلى البحر الأحمر. ومقابل ذلك أقنع رئيس القافلة المملوكي أن يسمح للمغربي بإخراج خمسة عشر جملًا محملاً بالتوابل إلى خارج مكّة، دون دفع

١-١ بلاد العرب القاصية: ٦٢.

٢-٢ موسوعة العتبات المقدسة- ٢: ٢٥٣.

ص: ١٢١

الرسوم المعتادة، عندها قبل ذلك المغربي السماح لقارتيما بالنوم والالتجاء إلى بيته.

بدأ «قارتيما» يصلّي إلى الله. وكانت صلواته كلّها عصبية وخوف، ثمّ سمع أثناء اختبائه في داخل بيت المغربي صوت نافخ البوق في القافلة السورية داغياً الحراس للتجمّع. على حين كان قارتيما مخبئاً بأمان في بيت المغربي، وفي أقصى ركن سرّي من ذلك البيت. وهكذا رحلت القافلة السورية إلى دمشق ومعها المغربي والجمال الخمسة عشر المحملة بالتوابل دون دفع الرسوم (١).

وفي معرض وصفه لهزيمته، يذكر «قارتيما» أنه اختبأ في بيت أحد المسلمين في مكّة إلى حين خروج موكب الحج الشامي منها، لكنه يذكر أنه كان من حسن ظنه أن أحبته إحدى قريبات صاحب البيت فساعدته على التخفّي والهرب (٢) مع إحدى القوافل الذاهبة إلى جدّة، فإلى السفن الراسية هناك تنتظر الحجاج الهنود لإرجاعهم إلى بلادهم.

وفي جدّة كان عليه أن يتظاهر بالمرض والفقر. وكان هنالك جمهور وحشد كبير من الناس قدّروا «قارتيما» بخمسة عشر ألفاً. وكانوا في كرب حقيقي وهو يقول: «لقد كانت الحرارة شديدة هنا، وقد بدا الرجال وكأن أجسادهم قد جفّت بسبب الحرارة، وأصيب الكثيرون بالمرض». ومع ذلك فقد وجد أحد ربابنة السفن الذي وافق، بعد أخذ الثمن، على اصطحابه معه في سفينته إلى بلاد العجم.

ولم يكن قدره أن يترك بلاد العرب بالسهولة التي تصوّرها. ففي عدن شكّوا في أمره وظنّوا أنه جاسوس، وذلك بسبب الحساسية التي ولدتها الحملات البرتغالية إلى بلاد العرب، وهكذا حملوه سجيناً إلى أمير اليمن الذي ألقاه في غياهب السجن.. وعندما طُلب منه، خلال الاستجواب، أن ينطق بالشهادتين، خانت شجاعته لأوّل مرّة في حياته المغامرة. فلم يستطع أن يتفوّه بتلك الكلمات، وهو يعلّق على ذلك بقوله: «لقد كان ذلك بإرادة الله، أو بسبب الخوف الذي اعتراني فلم استطع ان أتفوّه ببيت شفّة».

١-١ بلاد العرب القاصية: ٦٣.

٢-٢ موسوعة العتبات المقدسة- ٢: ٢٥٢.

ص: ١٢٢

وفي السجن تظاهر قارتيما بالجنون، فسمح له أن يخرج إلى الشارع وهو ممزق الثياب، وفي وضع مزرٍ من أوضاع المخبولين المجانين، وليواجه ضحكات الأطفال الذين بدأوا يقذفونه بالحجارة. ولكن ما لبثت إحدى زوجات السلطان الغائب، أن لاحظته ولمحته من إحدى النوافذ المشبكه، ولتكرر الإدعاء أن تلك المرأة وقعت في حب ذلك الشاب الإيطالي الوسيم، كما أحبه الشابة في مكّة من قبل، وعندما عاد السلطان تدخلت السلطانة لمصلحة «قارتيما» ورجت السلطان أن يعفو عنه.. وهو يذكر أن تلك السيدة كانت تقول له: «إذا برهنت أنك رجل جيّد فسوف تصبح أميراً» (١).. ولا ندري كيف يقنعنا «قارتيما» بأن الأميرة تقع في هوى مجنون، فضلاً عن أنّها تراهن عليه أميراً؟!، لعلّها في أحسن الأحوال أشفقت على شبابه وغربته ففسّر ذلك أو حرّفه دسّاً وتشويهاً!..

وأخيراً، وبالتحديد في كانون الأول (ديسمبر) ١٥٠٣ م استطاع قارتيما أن يركب سفينة إلى سقطرة، ومنها إلى الهند، حيث كان «فاسكودي غاما» قد نجح بالدوران حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٩ م.. ومع السفن البرتغالية عاد «قارتيما» إلى لشبونة، ومنها إلى روما، وفي إيطاليا أثابته جامعة البندقية على روايته المدهشة المليئة بالأحداث، وحظي برعاية كولونا وسفورزا، وأسبغ عليه الكاردينال كارفالجا حمايته، وهذا الكاردينال هو الذي مَوَّل ترجمة هذه الرحلة إلى اللاتينية (٢).

وفي عام ١٥١٠ م، أخبر قراءه في المقدّمة أنه بعد أن زار جزءاً من بلدان وجزر الشرق شمالاً وغرباً اعتراه التفكير الجدّي، بعد الاتكال على الله، أن يذهب لزيارة الأقسام الشمالية من الشرق، ويبدو أنه ليس من المحتمل، أن هذا الرجل الشديد العزيمة والتصميم والحيلة، لم يحاول أن يحوّل نيته هذه إلى العمل الفعلي.. إلّا أنه لم يترك أيّة كلمة تشير إلى هذه الرحلة (٣).

وخاتمة حياة «قارتيما» مجهولة كأصله، والأرجح أنه توفي بين ١٥١٢

١-١ بشيء من الاختصار عن كتاب بلاد العرب القاصية: ٦٣-٦٥.

٢-٢ مراجعات حول؛ العروبة والإسلام وأوروبا: ١١٩.

٣-٣ بلاد العرب القاصية: ٦٧.

ص: ١٢٣

و ١٥١٧ م. وميزة قارتيما أنه أوّل من ترك وصفاً، وان كان مقتضباً، للأماكن التي زارها في شبه جزيرة العرب، كما أنه ترك لنا خريطة تظهر فيها شبه جزيرة العرب ممدودة عرضاً في الجهة الجنوبيّة (١). وبعد هذه الجولة مع «قارتيما» أليس من حقنا أن نطرح تساؤلاً مشروعاً؛ هل كان الشرق، وبما يحفل به من سحر وروعة وفتنة وغموض، كافياً لكي يتحمّل المغامرون - ومنهم قارتيما - كل ما صادفوه من متاعب، ومما كابدوه من مشاق، وما جابهوه من أخطار...؟!.

وليس هناك من شك في أن الإيجاب ب «نعم» عن هذا التساؤل، يعدّ تبسيطاً مخلّاً لحالة معقّدة، وقراءة مبتورة أو غير واعية أو ظاهرية لحقيقة غاطسة خفيّة مريية.

المهمّة السريّة: ملاحظات ومؤشرات

وما يدعونا إلى إطلاق هذه الأحكام، بخصوص «قارتيما»، ومن هم على شاكلته، هو الملاحظات التالية:

١- إن مهمّة «قارتيما» التي شرع بها عام ١١٥٠٣ م، جاءت في أعقاب نشوة النصر التي شهدتها أوروبا إثر سقوط الأندلس سنة ١٤٩٢ م، وكان هذا حافزاً قوياً على ملاحقة الضربات الشديدة للطرف الآخر، «المتوحّش»، «المتخلف»، «الشهواني»، «الفظ»، «الكافر».. الخ من الصور النمطية المستقرة في اللاشعور الغربي.

٢- إن إيطاليا - التي انطلق منها قارتيما - تمثّل قلعة البابوية، وهي رأس الرمح في الهجوم الصليبي على المشرق الإسلامي، وحتى هذا اليوم لم تتخلّ عن مهمتها هذه، رغم كل الادعاءات.

وليس اعتباطاً أن يُسبغ على «قارتيما» لقب «نبيل روما»، وكذلك حماية

ص: ١٢٤

الكاردينال لقارتيما وتمويله لترجمة كتابه.

٣- بعد السقوط المدوّى للأندلس (١٤٩٢ م)، واكتشاف كل من أمريكا (١٤٩٢ م) ورأس الرجاء الصالح (١٤٩٧-١٤٩٩ م).. برزت البرتغال قوّة استعمارية غاشمة، ولعلّ تاريخ الاستعمار ما عرف للبرتغال مثيلاً في القسوة، وانعدام الإنسانية، وموت الضمير، كما يقول د. محمود السمرة (١)(٢)(٣).

لقد تبنت أوروبا الصليبية يومئذٍ مخططاً مفاده؛ قضم أطراف العالم الإسلامي تمهيداً لشن الهجوم الكاسح على قلبه «أى المشرق الإسلامي» وانبرت البرتغال لهذا المخطط، واهتمت به كل الاهتمام، وأولته عنايتها، فأرسلت في عام ١٤٨٧ م «بدرودا كوفيلهام» لدراسة المشرق الإسلامي، وكتابة تقرير عن مدى استعدادات المنطقة وقوتها. وقد قام «بدرودا» برحلتين بريتين ماراً بالقاهرة، وبلدان المشرق العربي الرئيسي، وموانئ البحر الأحمر، والموانئ الممتدة على طول شواطئ شبه جزيرة العرب، حتى كلكتا وجوا في الهند. وفي عام ١٤٩٠ م قدّم «بدرودا» تقارير مفصّلة عمّا رأى وشاهد (٤).

وفي تلك الأثناء، كان البرتغاليون يجوبون المحيط الأطلسي بحثاً عن مستعمرات، وبعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح - بأمر من ملك البرتغال مانويل الأول - أخذت السفن البرتغالية تجوب المحيط الهندي والبحار العربية.

وفي عام ١٥٠٢ م اتخذ البرتغاليون قرارهم الخطير بسد البحر الأحمر أمام السفن العربية، وكانت الحملة البحرية بقيادة «فاسكودي غاما».. وتمكّنت من الوصول إلى بحر العرب وسيطرت على مركب تجاري وبأمر من «دي غاما» وتمّ قتل جميع ركابه البالغ عددهم ٤٠٠ شخص، بمن فيهم النساء والأطفال وتمّ أحرق البرتغاليون المركب، فكان هذا الحادث سبباً في اشعال مواجهة بحرية مع البرتغال، استمرت طيلة القرن السادس عشر (٥).

وما يعيننا، في هذا البحث، أن مهمّة «قارتيما» جاءت بعد عام واحد من حملة

١- ١ يُراجع التعريف بكتاب «الصراع بين العرب والبرتغال» المنشور في مجلّة العربي الكويتية ٥٩: ١٣٢ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ - تشرين أول/ أكتوبر ١٩٦٣ م، ومن الملفت أن هذه العبارة قد حُذفت حينما أعيد نشر المقال ضمن كتاب مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا، ص: ١٠٣!!

٢- ١ يُراجع التعريف بكتاب «الصراع بين العرب والبرتغال» المنشور في مجلّة العربي الكويتية ٥٩: ١٣٢ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ - تشرين أول/ أكتوبر ١٩٦٣ م، ومن الملفت أن هذه العبارة قد حُذفت حينما أعيد نشر المقال ضمن كتاب مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا، ص: ١٠٣!!

٣- ١ يُراجع التعريف بكتاب «الصراع بين العرب والبرتغال» المنشور في مجلّة العربي الكويتية ٥٩: ١٣٢ جمادى الأولى ١٣٨٣ هـ - تشرين أول/ أكتوبر ١٩٦٣ م، ومن الملفت أن هذه العبارة قد حُذفت حينما أعيد نشر المقال ضمن كتاب مراجعات حول العروبة والإسلام وأوروبا، ص: ١٠٣!!

٤- ٢ المرجع السابق: ١٣٤.

٥- ٣ د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون: «موسوعة السياسة» ٤: ٤٤٨ مادة فاسكودي غاما وعن الدور الخطير لكل من فاسكودي غاما والسياسة البرتغالية الاستعمارية، يُراجع كتاب «الصراع بين العرب والبرتغال» Cost Arabian South the of Portuguese The - للبروفسور «سارجنت» R. B. Serjeant، وهو من منشورات جامعة أكسفورد، ١٩٦٣ م.

ص: ١٢٥

فاسكودي غاما على بوابات عدن، وهذا ما يفسّر لنا خلفيّة إلقاء القبض عليه هناك بتهمته الجاسوسية، كما ويلقى ضوءاً على أسباب ادعائه الكراهية للمسيحيين بصورة عامّة والبرتغاليين بصورة خاصة، أثناء عقده صفقة مع المغربي في مكّة..

ومن خلال تجميع القرائن الموحية، لا يستبعد أنه كان منخرطاً في مهمّة سرية أوروبية صليبية أو برتغالية، في الأقل، وذلك من خلال المؤشرات التالية:

أولاً: تتسم شخصية «قارتيما» بمواصفات مطلوبة في أيّة مهمّة سرية، وقد ظل على طبيعته في الخداع والاحتيال إلى النهاية، كما يقول «برنت».

ثانياً: أنه سلك الطريق الممتد بين أوروبا والهند، مركزاً على اختراق المناطق الإسلامية، خاصة في الحجاز واليمن، وهي التي كانت بمثابة مجاهيل بالنسبة للغرب، ويهمّه كثيراً أمر استجلائها، كخطوة أولى للتعامل معها، على طريق «اعرف عدوك».

ثالثاً: كان اهتمام الصليبية منصّباً على التعرف على الأماكن المقدّسة بالذات، ومحاولة رصد تحصيناتها، ومعرفة طبائع السكان وتقاليدهم، والتعرّف على المراسيم الدينية، كالحج، ودورها في حياتهم (١). وهذا ما نجده بشكل واضح لدى «قارتيما» خاصة وأنه دشّن مهمّته بزيارة حصن بابلين في مصر، فضلاً عن تلك الإشارات المبتوثة في ثنايا كتابه حول تحصينات مكّة والمدينة وصنعاء وعدن.. الخ. ولا نقتل من أهميّة الغرض الكامن وراء الخريطة التي تركها لشبه جزيرة العرب والتفصيل في مناطق الجهة الجنوبية.

رابعاً: في إشارة «برنت» إلى رحلة قارتيما التي استمرت سبع سنوات، بعد قضاء فترة طويلة في خدمة البرتغاليين، وحتى التحاقه بالأسطول البرتغالي في الهند، وعودته معه في رحلة العودة، تشير الكثير من علامات الاستفهام حول علاقة قارتيما بالبرتغال وخططها السرية.

خامساً: إذا كان البرتغاليون قد استطاعوا أن يسيطروا على شواطئ شبه

ص: ١٢٦

جزيرة العرب، فإنهم قد فشلوا في النفوذ إلى الداخل، وارتدت سفنهم مدحورة من أمام عدن وجدّة. وكانت غايتهم من السيطرة على الداخل أن يؤمّنوا الطريق البرّي إلى الهند أيضاً، كما أنّهم كانوا يحملون بالاستيلاء على جثمان النبي الكريم صلى الله عليه وآله في المدينة؛ ليطلبوا عندها تسليمهم كنيسة القيامة فديّة له (١).

ونظرة متأنية لرحلة «قارتيما»، وبكل مداخلاتها وخلفياتها وظروفها السياسية والدينية والاقتصادية، فضلاً عن وضع قارتيما الشخصي وعلاقاته مع أرباب السلطة والكنيسة.. كل ذلك يثبت لنا أن مهمّة قارتيما كانت تصبّ، وفي العمق، بالمخطط الصليبي عموماً والبرتغالي على وجه الخصوص.

وما تظاهرة باعتناق الإسلام، ومن ثمّ تظاهرة بالجنون في وقت لاحق.. إلّا جزء من مستلزمات المهمّة الخطيرة التي كان يقوم بها.

.. ما بعد «قارتيما»

على أن خطة احتلال المدينة المنورة، وتأمين طريق الهند لم تظل فكرة مجرّدة، أو رغبة جامحة تداعب الخيال الصليبي، بل تحوّلت إلى التنفيذ، وخلال فترة قياسية، ففي عام ١٥١٣ م، أي بعد ثلاث سنوات فقط من عودة «قارتيما» إلى لشبونة، حاول الأميرال البرتغالي «الفونسودي البوكرك» حل تلك المشكلة بضربة فاصلة. ورغم فشل هجومه على عدن، لكنّه أبحر متقدّماً إلى البحر الأحمر، وكان عقله مشحوناً بأفكار جهنمية. فكان تخطيطه أن يحتل المدينة المنورة ومعه جماعة من الغزاة، ويستولي على تابوت النبي محمد صلى الله عليه وآله ويطالب بفديته، ويعلن أن ثمنه هو كنيسة بيت المقدس، ثمّ يهجم هجوماً ساحقاً على ضفاف النيل، وهنالك يبني سدّاً ويحوّل مجرى النيل إلى بلاد الحبشة المسيحية! وهكذا وبضربة معلّم سوف يعمل على جلب الثروة إلى الحبشة وإفقار مصر المسلمة.

ص: ١٢٧

ولكن أخيراً ظهرت الحقيقة، ولم يستطع هذا المغامر أن يعمل شيئاً في البحر الأحمر سوى إثارة بعض الضجّة والوضوء وكتابة بعض الملاحظات، مع أنه هاجم «عدن» مرّة أخرى، في رحلة العودة (١).

وفي الوقت الذي أقدم فيه هذا الأميرال على ارتكاب حماقته، كان قبطان إحدى السفن البرتغالية مسجوناً في عدن، ويسمى «غريغوريو داكوردا» وقد أسر هو وجماعته، حينما جنحت سفينته إلى شواطئ مقديشو، ومن ثم أرسلوه هديّة إلى حاكم عدن، وظل سجيناً هناك حتى عام ١٥١٦ م، حين حدثت ثورة محلية أطاحت بذلك الحاكم الذي ألقاه سجيناً لمدة طويلة.

وقد حدث أن رغب الحاكم الجديد في أداء فريضة الحج. فاستطاع «داكوردا» بعد إعلان إسلامه أن يصاحب الحاكم إلى الحج. وفي المدينة المنورة أصيب فجأة بنوبة من نوبات الحماس المسيحي (هكذا تقول القصة) فأعلن بصوت عال عن أمله وأحلامه بأن يتحوّل المسجد العظيم أمامه إلى كنيسة مسيحية، كما حدث في كنيسة السيدة مريم في لشبونة. وإزاء هذا التصرف المتهور.. أطلق الحجاج سراحه وأعطوه مؤناً ونقوداً، ليلتحق بالقافلة الذاهبة إلى دمشق، التي كانت قد غادرت المدينة قبل بضعة أيام..

ويضل طريقه في الصحراء القاحلة، لتنقذه قافلة عابرة من موت محقق، ولينطلق صوب البصرة، ثم سار على طول الخليج الفارسي إلى مدينة «هرمز» حيث أحد المراكز البرتغالية، وكان أول رحالة أوروبي يعبر الصحارى الوسطى القفراء الواقعة بين المدينة المنورة ووادي دجلة والفرات، ومن هرمز سافر إلى الهند، وبعدها وجد سفينة أخرى أرجعته إلى البرتغال، فوصل إليها عام ١٥٢٠ م، ولكنّه سرعان ما التحق بدير من الأديرة هناك (٢).

ويظل القرن السادس عشر الذي كاد أن يطبع بصبغة برتغالية، شاهداً على محاولات أخرى، على هذا الصعيد. ففي تموز (يوليو) ١٥٦٥ م حجّ إلى مكة المكرمة

١-١ بلاد العرب القاصية: ٦٨.

٢-٢ المرجع نفسه: ٦٩.

ص: ١٢٨

مملوك برتغالي الأصل مجهول الاسم، فكتب وصفاً دقيقاً عنها، برغم اختصاره، واقتضاب ما جاء فيه، وقد اكتشف ما كتبه هذا المملوك في السنوات الأخير «السنيور ديلافيدا» مكتوباً في حاشية كتاب عربي موجود في مكتبة الفاتيكان برقم ٢١٧. وكان هذا البرتغالي قد تحرّك من رابغ إلى مكّة، في آخر يوم من حزيران، وهو يقول: إن الناس يذهبون عراءً إلى مكّة من هناك، مشيراً إلى الإحرام بطبيعته الحال.

وفي حوالى الوقت نفسه، حجّ إلى مكّة كذلك رجل ألماني يسمى «هانس وايلد» كان قد أخذه الأتراك أسيراً في هنغاريا يومذاك، وسيق إلى مكّة، فلم يعد إلى ألمانيا إلّا في سنة ١٦١١ م. وبعده بسنوات قليلة أسرفتيّ بندقي يدعى «ماركو دي لومباردو»، وهو يعبر الأبيض المتوسط بصحبة عمّه القبطان، فبعث به إلى مكّة من مصر مصاحباً لابن سيده. وقد دوّن أشياء طريفة عن سفرته التي نشرها، بعد ذلك بسنين عديدة، المبشر «يوجين روجر» (١).

وفيما يبقى الأخيران استثناءً للحقبة البرتغالية (إذا صحّ التعبير) فإن المراحل اللاحقة، وخاصة في القرون الثلاثة المتأخرة، شهدت تبدلات عميقة لصالح الدول الغربية، خلافاً للبرتغال، وبالذات لكل من بريطانيا، هولندا، النمسا، السويد.. عبر الرحالة المنتمين لهذه الدول، وكلّ منهم كان مكلفاً بمهمة خاصة محدّدة، والشىء الوحيد الذى لم يتبدل هو تلك الصورة الشرقية الشوهاء في المخيلة الغربية، التي أوغل في تعميقها، أكثر فأكثر، الرحالون الغربيون الذين تقاطروا على المنطقة، في وقت لاحق، بأعداد غفيرة ومثيرة، وهو ما سيكون محور البحث القادم، بإذن الله تعالى.

ص: ١٢٩

الهوامش:

الحجّ في الادب العربي مختارات شعريّة

ص: ١٣٢

الحج في الأدب العربي مختارات شعرية

أنشد الإمام على بن الحسين عليه السلام وقد كان متعلقاً بأستار الكعبة:

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت قاطبة وأنت وحدك يا قيوم لم تنم

أدعوك ربّ دعاءً قد أمرت به فارحم بكائي بحق البيت والحرم

ان كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن وجود على العاصين بالنعم ومع ميمية ابن القيم وهو يصور رؤية البيت:

ولمّا رأت أبصارهم بيته الذي قلوب الورى شوقاً إليه تضرّم

ص: ١٣٣

كأنهم لم ينصبوا قط قبله لأن شقاهم قد ترحل عنهم
 فله كم من عبرة مهزلة وأخرى على أثارها لا تقدم
 وقد شرت عين المحب بدمعها فينظر من بين الدموع ويسجم
 إذا عاينته العين زال ظلامها وزال عن القلب الكئيب التألم
 ولا يعرف الطرف المعين حسنه إلى أن يعود الطرف والشوق أعظم
 ولا عجب من ذا فحين أضافه إلى نفسه الرحمن فهو المعظم
 كسائه من الإجلال أعظم حلته عليها طراز بالملاحة معلم
 فمن أجل ذا كل القلوب تخبه وتخضع إجلالاً له وتعلم ولابن القيم أيضاً تصوير آخر لموقف الحج:
 وراحوا إلى التعريف يرجون رحمة ومغفرة ممن وجود ويكرم
 فله ذاك الموقف الأعظم الذي كموقف يوم العرض بل ذاك أعظم
 ويدنو به الجبار جل جلاله يباهى بهم أملاكه فهو أكرم
 يقول عبادى قد أتونى محبة وإنى بهم بر أجود وأرحم فأشهدكم أنى غفرت ذنوبهم وأعطيتهم ما أملوه وأنعم
 فبشراكم يا أهل ذا الموقف الذى به يغفر الله الذنوب ويرحم

ص: ١٣٤

فكم من عتيق فيه كمل عتقه وآخر يستسعى وربك أرحم
وما رؤى الشيطان أغيظ في الورى وأحقر منه عندها وهو الأم
وذاك الأمر قد رأه فغاظه فأقبل يحثو الترب غيظاً ويلطم
وما عاينت عيناه من رحمة أتت ومغفرة من عند ذى العرش تقسم
بنى ما بنى حتى إذا ظن أنه تمكن من بنيانه فهو محكم
أتى الله بنياناً له من أساسه فخر عليه ساقطاً يتهدم
وكم قدر ما يعلو البناء وينتهي إذا كان يبنيه وذو العرش يهدم من شعر أبو زكريا الصرصرى:
وأحرموا ثم لبوا خاشعين لذي ال - جلال كل إلى مولاه مبتهل
وساوت السوقة الأملاك تحسبهم إلى الحساب من الأجدات قد نسلوا
وشارفوا عرفات فاستبان لهم أن الحجيج إلى ما حاولوا وصلوا

ص: ١٣٥

فيا له موقفاً فيه لوافده جوائز الفضل والرضوان تُبتدَلُ
وفاض بالمشعر الإحسان فوقهم وبالْمُنَى في منى من ربهم حصلوا
ثم استقلوا إلى البطحاء حين قضاوا رَمَى الجمار وقد نالوا الذي أملوا
طافوا بذات الستور ازداد معلمها جلاله وبهاءً ليس ينفصل
وأحسنوا السعى بين المروتين وفي المقام بعد الطواف وانتقلوا
شفوا بزمزم داء الصدر واعتمروا وما بدا لهم من صالح عملوا
وودعوا البيت والأحشاء واجفئه وفي القلوب لآلام النوى شُعْلُ للشيخ محمد على كمنه، في وقت كان السفر على ظهور الإبل:
نرى ظعنًا يبغى (منى) فا (لمحصبا) فادنى إليه اليعملات وقربا وقوض من بعد الإقامة راحلاً يلفّ الربى بالبيد والبيد بالربى
وجشمها شرق البلاد وغربها إذ جاز منها سبباً أم سبباً

ص: ١٣٦

ليقضى عليها من (منى) غايه المنى فقد شاقه من (شعبه) ما تشعبا
وقد جنحت (للخيف) حتى كأنما قوائمها نيطت بأجنحة الصبا
وأرسلها وهداً إلى ذلك الحمى ومنه الجناب الرحب حيا ورحبا
وعزس كيما يستريح ركابه بأعطافها مما عراها وأتعبا
ولما حدا الحادي وهاج اهاجها رواقص للادلج هجن تطربا
ووجه تلقاء (المعروف) وجهه ليقضى به فرض (الوقوف) تقربا
ولما قضى (التعريف) والشمس آذنت - وقد أذف الترحال- أن تتحجبا
وحيث (أفاض) الناس أرخى ركابه وألوى به (للمشعرين) ونكبا
وقد رقصت عند (المحسر) من (منى) به وعلى أكوارها ماس مطربا
وضج فضج الناس كل مؤذيا من (الذكر) ما نص الإله وأوجبا
ومال الى جمع (الجمار) و (رميها) ولما رماها ساق (هديا) وقربا

ص: ١٣٧

وطاف (بيت الله) سبعا إنابه إلىه وصلّى في (المقام) وعقبا
وقد أوسع (الأركان) عند (استلامها) دموعاً فخيّل السيل قد بلغ الزبي
وأكثر عند (المستجار) تنصلاً إلى ربّه مما أساء وأذنباً
وساغ إليه الورد من ماء (زمزم) وأعدب بماء ورده ساغ مشرباً
و (للسعى) بين (المروتين) مهرولاً سعى وبجلباب الخضوع تجلبياً
وسارع (للتقصير) غير مقصّرٍ وشرّق (للتشريق) ينحو (المحصباً)
ولما قضى نسكاً (مناسك) حجّه نحا (يثرباً) لا أبعد الله يثرباً (١) من شعر وليد الأعجمي:
طاف «بالبيت» فاستهلت جفونهُ عبراتٍ فاضتْ بهنّ شؤونهُ
واحتواه من الجلاله شوقٌ وبأعماقه استفاق دفينهُ
شاعر عاشق له سُبُحاتٌ بهوى المكتّين بادٍ حينهُ
هائم قلبهُ، وفي كل وادٍ عند «أمّ القرى» تهيج شجونهُ
يتملّي من الجمال فنوناً وجمالُ الإيمان شتّى فنونهُ
ويدارى هواه بالشعر نحوى فيباريه بالنشيد أنينه
وانثنى ضارعاً وللدمع سَمَطٌ لؤلؤيٌّ منتزٌ مكنونهُ

ص: ١٣٨

يشتكى باللوى لواعج شوقٍ وبسَلْعٍ وساكنيه سكوئُهُ
بثَّ شكواه بالقريضِ حزيناً ومن الشعر ما يُريخُ حزينُهُ
وتمنى وهو الذي قد تساوتْ عنده أمنيأته وموئُهُ
هيبهُ «البيت» علمته بياناً بالهوى زاد والتقى تيبهُ
رقَّ باللفظِ شعره، والمعاني حين راقَت يزينها وتزينُهُ
كلُّ أنشودةٍ له حين تُتلى تُبعثُ القلبَ رقَّةً وتلينُهُ
كالغواني الحسانِ مسنَ دلالاً وجنى الروض قد تدلَّتْ غصونُهُ
أيها الشاعر المشوق تمهل «كعبه الله» هذه و «يمينه»
يجفُّ القلبُ خاشعاً في حماها و «أركانها» يطيب ركونُهُ
و «مقام الخليل» فيضُ ونورٌ للبرايا مكانه ومكينُهُ
وصلاةُ «البيت» تعدلُ عمراً بالضلالاتِ قد تقصتْ سنونُهُ
عرَفَ الأنسَ شاعرٌ أرهقته بالخطايا ذنوبُهُ وديونُهُ
ملاً الحبُّ قلبه والحنايا ألقاً من سناه ضاءتْ دجونُهُ واستنارت له سبيل هُداة فتلاشتْ أوهاهُمُ وظنونُهُ
وتسامى بالروح حيث استقرتْ جبهتاه على «الحصى» وجيينُهُ
مطمئنٌ الضمير طلقَ المحيا رصيتَ نفسه وقوتْ عيونُهُ
وله في النهار سنجح طویل تتوخاه في الحياة شؤونُهُ
ويعانى بناشئات الليالي وطأة، ربُّه عليها يعينُهُ
ويناجي الإله بسرِّ خفي عن سوى الخالق العظيم يصونُهُ
حسبُهُ وقفهُ بجنح الدياجي والخلبون هُججٌ ومجونُهُ
حسبُهُ سجدةً ستغدو كتاباً تتلقاه بالحسابِ يمينُهُ
ورحيقٌ من نبع «زمزم» يروى كلَّ صادٍ تسنيمُهُ ومعينُهُ
فجرتْها عناية الله عيناً أين منها أنهارُهُ وعيونُهُ

ص: ١٣٩

ثَرَّةٌ بِالْعَطَاءِ وَبِالْخَيْرَاتِ نَجَّجْ أَجْهًا طَعَامَ طَعْمٍ سَمِيئُهُ
 وَشَفَاءً مِنْ كُلِّ سُقْمٍ وَدَاءٍ يَتَلَوَّى مَبْطُونُهُ وَطَعِيئُهُ
 يَغْمُرُ الْقَلْبَ بِالْمَسْرَاتِ وَادِّ آهَلَاتٍ مِنْهُ الصِّفَا وَحُجُونُهُ
 وَهَدِيرِ الدَّعَاءِ لِلَّهِ حَوْلَ الْبَيْتِ طَابَتْ أَنْغَامُهُ وَلِحُونُهُ
 وَاخْتِلَافِ الْأَلْوَانِ فِي الْحَجِّ وَالْأَلْسِنِ آيَاتٍ بِهِنَّ يَقْوَى يَقِينُهُ
 قَصَدُوا مَوْطِنَ الرَّجَاءِ وَفَوْدًا وَسَحَابَ الرِّضْوَانِ سَخَّ هُتُونُهُ
 يَبْتَغُونَ الرِّضَا وَيَرْجُونَ رَبًّا مَانِحًا فَضْلُهُ لِمَنْ يَسْتَعِينُهُ
 وَعَجَلْنَا إِلَيْكَ رَبِّ لَتَرْضَى يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْقَرِينَ قَرِينُهُ
 وَبِحَوْمِ الْمَضْمَارِ لَنْ يَتَسَاوَى أَعْوَجِيٌّ مُجَرَّدٌ وَهَجِينُهُ
 وَمَضَى رَكْبُهُ إِلَى «عُرْفَاتٍ» وَبَوَادِي نُعْمَانَ حَطَّتْ طُغُونُهُ وَمِنْ الدَّمْعِ هَلَّ بِالسَّفْحِ سَفْحٌ فَوْقَ خَدِيهِ يَشْتَدِرُ سَخِينُهُ
 جَذْوَةُ الْوَجْدِ بَيْنَ جَنْبَيْهِ شَبَّتْ كَشْبَا السَّيْفِ أَرْهَفْتَهُ قُيُونُهُ
 كَلَّمَا حَاوَلَ اصْطِبَارًا عَلَيْهِ يَهْتِكُ الدَّمْعُ صَبْرَهُ وَيُحُونُهُ
 وَطُيُوبِ «الْخِيَامِ» فَاحَتْ فَقَلْنَا عَطَّرَ الرِّوَضَ عَابِقًا نَسْرِينُهُ
 وَرِيَاخِ الْبَشْرِ وَبَيْنَ يَدَيْهَا تَتَهَادَى بِيضُ السَّحَابِ وَجُونُهُ
 وَالْعِمَامَاتُ ظَلَّةٌ تَنْتَرَى بِالرَّبَابِ الرِّطِيبِ إِذْ حَانَ حِينُهُ
 بَرْدُهُ يَطْفِيءُ الْأَوَامَ كَرِيمًا وَيُنْقِي الْفَوَادَ مِمَّا يَرِينُهُ
 وَتَرَى أَوْجُهَ الْعِبَادِ وَضَاءً زَانَهَا نَضْرَةُ النِّعِيمِ وَلِينُهُ
 نَاضِرَاتٍ لِرَبِّهَا نَاطِرَاتٍ أَزْلَقَتْ حُورُهُ إِلَيْهِمْ وَعَيْنُهُ
 وَضَجِيحُ الْحَجِيحِ يَعْلُو وَيَحْلُو بِالْمَنَاجَاةِ وَقَعُهُ وَرَنِينُهُ
 رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ رُشْدًا وَسَبِيلًا إِلَى الْعُلَا نَسْتَبِينُهُ
 نَجِدُ الْأَمْنَ وَالسَّعَادَةَ فِيهِ فَلَقَدْ عَرَّ مِنْ سَبِيلِ أَمِينِهِ
 وَلَقَدْ ذَلَّتْ الرِّجَالُ وَدَانَتْ لِلَّذِي كَانَ قَبْلَ ذَاكَ تُدِينُهُ

ص: ١٤٠

نَقَضَتْ عَهْدَهَا وَخَانَتْ فَهَانَتْ وَاعْتَرَاهَا ذُلُّ الْفَسَادِ وَهَوْنُهُ
وَرَأَيْنَا بِأَعْيُنِ الْعَجْزِ مَنَّا هَجَعَهُ اللَّيْثُ حِينَ دِيسَ عَرِيْنُهُ
عَزَمُهُ مِنْكَ تَبَعْتَ الْعِزْمَ فِينَا صَارِمًا حُدَّهُ وَرِيًّا كَمِيْنُهُ
أَمَلًا يَمَلَأُ النُّفُوسَ فَيَمْضِي يَحْطِمُ الْقَيْدَ بِالْإِبَاءِ رَهِيْنُهُ
كَالرَّبِيْعِ الضَّحْوِكِ يَطْفَحُ بِشِرًّا بِأَزَاهِيْرِهِ زَهَا تَلْوِيْنُهُ
وَعَلَى سَجْعِ طِيْرِهِ وَغِنَاهُ رَفَّ زَيْتُونُهُ وَرَفَّرَفَ تَيْنُهُ
أَجْدَرُ النَّاسِ بِالْكَرَامَةِ عَبْدٌ تَلَقَّتْ نَفْسُهُ لِيَسْلَمَ دِيْنُهُ الْهُوَامِشُ:

رسالة رئيس منظمة الحج والزيارة إلى وزير حج المملكة العربية السعودية

ص: ١٤١

رسالة رئيس منظمة الحج والزيارة إلى وزير حج المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين إلى قيام يوم الدين. سعادة الاخ الدكتور محمود بن محمد سفر- وزير الحج للمملكة العربية السعودية المحترم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حمداً لله سبحانه، وله الشكر أن منّ عليّ وعليكم بتوفيق خدمة حجاج بيت الله الحرام، واستطعنا بفضلته ومنّته أن نطوى موسم حجّ آخر، أدّى فيه عباد الله مناسكهم، وعادوا إلى أوطانهم سالمين غانمين.

نعم، لقد كان لحادث حريق منى- حيث توفى جمع من الحجاج، وأصيب جمع آخر منهم- وقع مؤلم على القلوب، وسيكون من الحوادث المؤلمة التي تذكر في تأريخ الحج، غير أن عزاءنا جميعاً أن هؤلاء لقوا ما لقوا في طريق زيارة بيت الله الحرام وأداء نسك الحج، وأملنا كبير في أن يتغمده الله سبحانه المتوفين برحمته الواسعة،

ص: ١٤٢

ويغدق على المصابين أجر الصابرين المحتسبين. ويلزمني أن أتقدم بالشكر لكل العاملين في البلدين الشقيقين الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والمملكة العربيّة السعوديّة على ما بذلوه من جهود في أرض منى؛ لتجاوز العقبات والنقائص، التي سببها الحريق، ولتوفير الراحة لضيوف الرحمن. شكر الله مساعيهم، فخدمة حجاج بيت الله الحرام من أفضل الأعمال وأجلّها كما ورد في النصوص الإسلاميّة:

سأل رجل الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: إنا إذا قدمنا مكة، ذهب أصحابنا يطوفون، ويتركونني أحفظ متاعهم. قال الإمام: أنت أعظمهم أجراً.

وعن رجلين تزاملا في سفر الحج فلما دخلا، المدينة اعتلّ أحدهما، فكان الآخر يمضي إلى المسجد، ويدع صاحبه وحده، فبلغ ذلك الإمام الصادق عليه السلام، فأرسل إليه، وقال له: فعودك عنده أفضل من صلاتك في المسجد. من هاتين الروايتين يتبين عظم أجر خدمة ضيوف الرحمن. نسأل الله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، ويتقبل منا ومنكم، ويوفقنا لمزيد من هذه الخدمة الجليلة.

من جانب آخر، مثل هذه الخدمة الكبرى لا يمكن أن تخلو من عيب ونقص؛ بسبب حجمها الهائل وضخامة مسؤولياتها، من هنا فلا بد من تظافر الجهود؛ للتغلب على النواقص، وإحدى السبل في ذلك فتح باب النقد الذاتي، وهي سنّة إسلامية أكّدها رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله لجموع المسلمين: «رحم الله امرئاً أهدي إلى عيوبى»، وورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام قولهم: «أحبّ إخوانى إلى من أهدي إلى عيوبى».

ومن الوفاء أن أذكر أولاً أن السنوات الماضية شهدت تطوراً في أداء الخدمات لحجاج بيت الله الحرام مثل: توسعة الحرمين، ومدّ الطرق والجسور، وتوفير احتياجات الحجاج و... لكن هناك الكثير من

ص: ١٤٣

المشاكل، التي يمكن تجاوزها، أو تقليصها إلى أقل حد ممكن عن طريق الاستثمار الأفضل والأصح للإمكانيات الموجودة، ومعرفة طبيعة هذه المشاكل، والتفكير الجاد في الحلول العملية، مما يوفر رضا ضيوف الرحمن، وبالتالي رضا رب العزة والجلال. لقد تلمست من معاليكم خلال سنوات توليكم وزارة الحج رغبة صادقة في تطوير أداء الخدمات، واهتماماً جاداً بتحسين أوضاع الحج، باطّراد. لذلك دأبت بعد انتهاء كل موسم أن أكتب لكم وجهات نظرنا بشأن ما حدث في ذلك الموسم، ووجدنا- والحمد لله- اهتماماً بما كتبناه لكم، ورأينا تنفيذاً لبعض ما قدمناه من اقتراحات، وهذا يشجعنا على مواصلة هذه السنة الحسنة.

والآن وبعد موسم حج سنة ١٤١٧ هـ أتقدم بالشكر لمعاليكم، ولكل العاملين معكم في وزارة الحج، وللذين ساهموا في خدمة الحجاج، آملاً أن يكون تقريرنا هذا مساهمة في هذه الخدمة الكبرى بإذنه تعالى، وأن يكون عاملاً على مزيد من التعاون لما نصبوا إليه جميعاً في الحج.

*** آ- مطار جدة

١- لقد تعامل المسؤولون في مطار جدة هذا العام- مع الأسف- تجاه ما يحمله الحجاج من المصاحف وكتب الأدعية، والمناسك والمكتوبات الشخصية بشكل يتنافى مع ما اتفقنا عليه، ومع أصول الخلق الإسلامي، فقد أخذوا تلك الكتب ورموها جانباً، وأبوا أن يعيدوها إلى أصحابها رغم المطالبة والتوضيح، مما أدى إلى استياء الحجاج الإيرانيين. أليس الحج مكاناً للعبادة والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه؟ أليست تصرون على أن الأماكن المقدسة خاصة بالعبادة؟

فلماذا إذن تحجز المصاحف وكتب الدعاء، وقد ورد في النصوص أن «الدعاء سلاح المؤمن» وأن «الدعاء مع العبادة». ربما يقول قائل: إن

ص: ١٤٤

المصاحف متوفرة في المساجد. هذا صحيح، ولكن الحجاج يحتاجون إلى تلاوة القرآن في منازلهم أيضاً، وعادة الناس عندنا أن يخطبوا القرآن مرة أو مرات خلال أيام حجهم، أو أن يكثروا من تلاوته في تلك الأيام المباركة.

فلماذا يُحرمون من ذلك؟ ولماذا يعود الحجاج من سفرهم التاريخي المقدس هذا، وهم يحملون مشاعر جريئة من جراء هذا التعامل؟ جدير بالذكر أن أكثر الكتب المحتجزة قد سبق أن قدمت نماذج منها إلى المسؤولين السعوديين مما لا يدع أي مبرر لاحتجازها.

٢- الحجاج القادمون إلى موسم الحج ينتمون إلى مذاهب مختلفة منهم الحنبلي والشافعي والحنفي والمالكي والجعفري و.. ومن الضروري أن يشعر هؤلاء جميعاً بأن روح الأخوة الإسلامية هي التي تسود بينهم جميعاً، وأن الفوارق الفقهية بينهم ضئيلة لا تكاد تميز بينهم في موسم الحج. لكن الحجاج في المطار يواجهون كتباً تصرّ على طرح مسائل في الفروع والأصول وفق مذهب معين، وبذلك تخلق نوعاً من الاستفزاز الطائفي الذي لا مبرر له إطلاقاً، والأغرب من ذلك أن الحاج الإيراني يرى أنه ممنوع من اصطحاب كتب المناسك معه، مما يُشعر بأن هناك إصراراً على فرض حالة من الطائفية البعيدة عن روح الأخوة الإسلامية في موسم الحج. نحن على استعداد للتحديث بشأن هذه المسألة قبل موسم الحج القادم؛ لتجاوزها ولإحلال روح الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين.

٣- علماء الدين يحظون عند جميع المسلمين بمنزلة خاصة وحرمة خاصة. من هنا لا بد من التعامل معهم في المطار بما يتناسب ومكانتهم. ولكن الملاحظ أن هؤلاء الأجلاء يخضعون في المطار لحالة مزريّة موهنة من التفتيش، لا تتناسب مع توجهات حكومة خادم الحرمين الشريفين؛ لذلك يلزم الإيعاز برعاية حرمة علماء الدين.

٤- من الأمور الهامة في إدارة الأعمال - كما تعلمون - الانسجام

ص: ١٤٥

الكامل بين الأقسام التنفيذية. لكن المشاهد في مطار جدة هو غياب هذا الانسجام وحضور التعامل الذوقى الفردى مكانه، مما يؤدي الى اختلال الأمور. بعض العاملين فى المطار يجهلون التعليمات بشأن الجوازات، وبعضهم شباب قليلو التجربة، وبعضهم شيوخ بطيئو الحركة، وربما شاهدنا توقف أجهزة الكمبيوتر فى الصالة، مما يؤدي بأجمعه إلى تعب الزائرين وإرهاقهم. وتتركز هذه المشكلة بشأن جوازات الخدمة.

فأصحاب هذه الجوازات لا يجدون أية تسهيلات- كما هو المتعارف بين الدول الصديقة- بل يواجهون مزيداً من التأخير فى بعض الأحيان.

٥- فترة رحلات الطائرات الإيرانية مضغوطة، والصالة لا تستوعب حجاج عدد من الرحلات، مما يؤدي إلى تأخر فى الإجراءات، وقد يؤدي ذلك إلى بقاء الحاج أكثر من ثمانى ساعات فى صالة الانتظار.
من هنا نرى ضرورة عدم الاكتفاء بصالة واحدة للسنوات القادمة.

٦- الأسلوب الجديد فى صدور تذاكر الحافلات عن طريق مكتب الوكلاء الموحد أحدث مشاكل منها:

- انخفاض قدرة الأداء رغم زيادة العاملين.

- عدم توفر التدريب الكافى للعاملين.

- إضافة طابور جديد فى مداخل المطار وازدحام الحجاج. يمكن حل المشاكل المذكورة عن طريق إصدار تذاكر جماعية للقوافل، وتسليمها إلى ممثلى تلك القوافل.

٧- المواقع الخاصة لا تفى بحجم الحجاج الإيرانيين القادمين. ونشير الى أننا اتفقنا مع معاليكم على زيادة مساحة هذه المواقع.

***ب- إسكان الحجاج

مشاكل قسم الإسكان:

١- تعدد مرات التفتيش المختلفة دون تنسيق مسبق، ودخول الأفراد

ص: ١٤٦

إلى منازل الحجاج يؤدي إلى اختلال في إدارة أمور الحجاج. ومن الطبيعي أن هيئة الإسكان ملزمة بالتعاون والتنسيق مع الجهات المعنية رسمياً من قبل المملكة العربية السعودية، وتعتذر عن التعاون مع أية جهات أخرى، وعن السماح لهم بدخول المنازل.

٢- ممثلو وزارة الحج ومؤسسة المطوفين يقومون بتفتيش المنازل بعد إسكان الحجاج، وبعد أن سعت لجنة الإسكان إلى رفع نواقص تلك المنازل.

مما يجعل عملية التفتيش غير مجدية.

ولكى تكون مفيدة، لابد من أن تتزامن مع جهود لجنة الإسكان في إعداد السكن، وأن تكون قبل عشرة أيام على الأقل من ورود أول مجموعة من الحجاج.

٣- عملية إرسال العقد الموقع بين لجنة الإسكان وأصحاب المنازل إلى مؤسسة المطوفين، ثم من المؤسسة إلى وزارة الحج لتأييده، وعودته إلينا، وتسليمه للمالكين تستغرق مدة طويلة مما يؤدي إلى اختلال العمل.

٤- التعليمات تقتضى اجتناب استيجار المنازل الفاقدة للتصريح ما أمكن ذلك. ومن جهة أخرى نرى بعض المنازل لدى الإقدام على استيجارها لم تحصل على التصريح بعد، وتصريحها قيد التنفيذ. من هنا نرى من المناسب الإسراع في إعطاء التصريحات للمنازل، التي تتوفر فيها الشروط خلال شهر رجب.

٥- نظراً لعدم توفر مياه الشرب بالمقدار الكافي لدى ازدحام الحجيج، من المناسب اتخاذ ما يلزم لتعبئة مياه زمزم بشكل صحي وتوزيعها على المنازل.

٦- موسم الحج يتجه إلى الاقتراب من فصل الشتاء، ولا بد من الاهتمام بتوفير الماء الساخن في حمامات المنازل، وأن يدرج موضوع السخانات في التعليمات والتنظيمات، كما أن توفر وسائل التدفئة كالبطانيات ضروري أيضاً.

٧- عملية توزيع اللافتات المنصوبة على المنازل؛ لتوجيه الحجاج

ص: ١٤٧

بواسطة مؤسسة المطوفين كانت في الموسم الماضي ذات نواقص كثيرة.

نقترح أن يتفق الجانبان على شكل معين لهذه اللافتات، وبعد الاتفاق النهائي، يأتي مدراء القوافل بهذه اللافتات الموحد المتفق عليها من إيران، كي تؤمن مسألة التوحيد في هذه اللافتات، ونعفي المؤسسة من هذه المسألة؛ لتنصرف الى أعمالها المكثفة في الموسم.

٨- من المناسب إصدار التعليمات إلى البلدية للاهتمام أكثر بنظافة أطراف المنازل، وخاصة أطراف المجتمعات السكنية، حيث تجتمع أحيانا القاذورات لأيام مسببة تلوث البيئة والأمراض.

٩- يُطلب من المالكين توفير خط تلفون واحد على الأقل لكل ٢٠٠ زائر، قبل إسكان الحجاج، وفي زمان منح التصريح، لراحة الحجاج.

١٠- يُطلب من مسؤولي «النقل الجماعي» زيادة خطوطها في مسير قوافل الحجاج الإيرانيين، كي تتوفر للحجاج إمكانات التردد بين الحرم ومنازلهم البعيدة.

***ج- النقل بين المدن

المشاكل المرتبطة بالنقل:

١- التحسن النسبي في وضع شركات نقابة السيارات تبعث على السرور، لكن عدد الشركات الملتزمة بنقل الحجاج الإيرانيين كثيرة (١٠ شركات)، ومن أجل ضبط السيطرة وتسهيل الارتباط بالشركات، نرجح حصر عدد الشركات في خمسة على أكثر تقدير.

٢- في تقييمنا للحافلات تحوز شركة سابتكو على معدل ٩٨ بالمائة باعتبارها أفضل الشركات المتعاملة معنا، وشركات: المغربي، دله، مكة، والسعوديه على أقل معدل يبلغ ٩٣/٤، ومن المناسب أن تحذف هذه الشركات من قائمة مجموعة شركات نقل الحجاج الإيرانيين.

٣- رغم تحسن وضع الحافلات

ص: ١٤٨

كما ذكرنا، غير أن بعض مواد الاتفاق بيننا وبين النقابة لا- يراعى في كثير من الأحيان مثل نظافة الحافلة، ومهارة السائق، ومعرفته للطرق، وتمكنه من اللغة العربية، وتوفر المياه الباردة وغيرها. وهذا يتطلب المزيد من الأوامر والتأكيدات.

٤- يشاهد مع الأسف أحياناً تصرف سيء بعيد عن الخلق الإسلامي من قبل السواق ومسؤول النقل الجماعي، وكذلك عدم توفر المكان المناسب لعفش الحجاج في المقاعد الخلفية خلافاً لصريح الاتفاق، مما يسبب مشاكل في سفر الحجاج.

٥- مما يسبب في راحة الحجاج وسلامتهم لدى سفرهم زيادة عدد ورشات الصيانة الثابتة والسيارة بواسطة شركات النقل بين المدن، خاصة في مسير جدة- الجحفة- مكة، ومسير جدة- المدينة، والمدينة- مكة وبالعكس، وهكذا طباعة قائمة بعنوان هذه الورشات الثابتة وأرقام هواتفها، أو إعدادها بشكل ملصق يوضع في كل باص.

٦- النقص في علامات المرور على مسير ميقات الجحفة لايزال من مشاكل الحجاج، وقد يؤدي أحياناً إلى تأخر الحجاج عن موعد مناسك عمره التمتع ووقوعهم في مشاكل شرعية. زيادة عدد العلامات يؤدي حتماً إلى تقليل هذه المشاكل.

٧- إدارة شؤون النقل داخل المدن وبين المدن في الظروف العادية، لا يمكن أن تلبى حاجة المسافرين في أيام الحج. من هنا فلا بد من إدارة خاصة لأيام الموسم تتصرف وفق نظام جديد يتناسب مع الحالة الخاصة، التي تواجه النقل خلال ٢٠- ٣٠ يوماً من أيام الموسم.

*** د- المشاعر المقدسة وأيام التشريق

١- الخيام:

١ / ١- حادث حريق منى من الحوادث الهامة في موسم الحج الماضي، وقد أدى إلى وفاة كثيرين

ص: ١٤٩

وإصابة آخرين. وهذا الحريق لو قُمدّر له أن ينشب في اليوم العاشر أو الحادى عشر لأدى إلى مأساة كبرى للعالم الإسلامى. وهذه الحادثة ليست الأولى من نوعها، ولو لم تتخذ الإجراءات الحاسمة للوقاية منها فسوف لا تكون الأخيرة من نوعها لا سمح الله. نحن نقترح عقد اجتماع من العلماء والمتخصصين من جميع أرجاء العالم الإسلامى لدراسة مسألة البناء فى منى. وإذا لم تحسم هذه المسألة، فإن هذه المآسى ستتكرر ويذهب ضحيتها جموع من ضيوف الرحمن.

نشير هنا إلى أن هذه المسألة تحتاج إلى وقت لحسمها، وخلال هذا الوقت يمكن الاستفادة من التقنيات الحديثة للحدّ من وقوع هذه الكوارث. بعض المراكز الصناعية فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية أعربت عن استعدادها لصنع خيام منى وعرفات من مواد مقاومة للاحتراق.

١/٢- مؤسسة مطوفى الحجاج الإيرانيين تخصص كل عام القطع ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥ فى أرض منى للحجاج الإيرانيين، وتوزعها على المكاتب التابعة (١١ مكتباً). وهذا التوزيع يتم بشكل غير منتظم على القطعات مما يؤدى إلى تشتت المكتب الواحد، وكان ذلك نصيب ٧ مكاتب فى موسم الحج الماضى بين المكاتب الأحد عشر. كما أن شارعاً يمرّ بين القطعات الاصلية والقطعات المتممة مما يؤدى الى مشاكل فى الإشراف وتنقل الحجاج.

ومن الضرورى التغلب على هذه الظواهر بدراستها على الواقع ووضع مخطط جديد لها. لذلك نقترح إعادة النظر فى تفكيك القطع الثمان، وتوزيع خدمات المكاتب بشكل يتناسب مع سعة القطع.

١/٣- نقترح الإيعاز إلى مسؤولى مؤسسة المطوفين رسمياً بتخصيص خيام فى المشاعر المقدسة لأولئك الحجاج القادمين من ايران، خارج إطار مؤسسة الحج والزيارة، إيرانيين كانوا أم غير إيرانيين، وعدم

ص: ١٥٠

توزيع هؤلاء بين المكاتب المسؤولة عن الحجاج الإيرانيين دون استشارة مسؤولي الحج والزيارة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، تجنباً للاخلال والإزعاج في أعمال القوافل الإيرانية.

ومن الأفضل تعيين سهم خاص لهؤلاء كي يُريحوا ويستريحوا.

١ / ٤- مساحة الخيام في كثير من الحالات أقل من الحدّ المقرر المتفق عليه. وقد يكون ارتفاع الخيمه قليلاً جداً بحيث يعيق تردد الحجاج، نأمل اتخاذ مايلزم لإزالة هذه النواقص.

٢- النقل داخل المشاعر المقدسة

٢ / ١- عدم الاهتمام الجاد من قبل النقابة لزيادة عدد مقاعد الحافلات.

٢ / ٢- التأخير في إعطاء الاعتمادات وتذاكر الحافلات بحجة استلام مبلغ في المقدمة، رغم أن الاتفاق لا ينص على ذلك.

٢ / ٣- عدم انطباق عدد الركاب المذكور في تذاكر الحافلات مع الحافلة المحوَّلة من قبل شركات: أم القرى، والأندلس، ودله. وعدم التزام النقابة والشركات بتعهداتهم.

٢ / ٤- ضعف خدمات الصيانة خاصة على طول المسير.

٢ / ٥- عدم كفاءة السائق في مهنته، بحيث أن أكثر حالات العطب ناشئة عن عدم وجود الكفاءة.

٢ / ٦- عدم وجود تشابه بين حافلات الإسعاف والحافلات المستأجرة. بحيث أن هذه الحافلات (الإسعاف) ذات مستوى هابط في السعة والكيفية بالنسبة للحافلات المستأجرة.

٢ / ٧- رغم أننا في نقل المشاعر نعتمد نظام الرّد الواحد، ندفع لذلك ضعف سائر البلدان، مع ذلك أغلب الحافلات المخصصة من موديل ٧٧ إلى ٨٨ وذات حالة غير مرضية تماماً.

المتوقع تخصيص حافلات لا تقل عن موديل ٨٦.

٢ / ٨- استناداً الى تقارير مدراء القوافل، المبالغ المدفوعة بسبب الاختلاف بين عدد المقاعد المحوَّلة

ص: ١٥١

وعدد مقاعد الحوالة الصادرة ٣٣ / ٤٨٠ ريالاً سعودياً، وبسبب استيجار حافلات عن طريق مدراء القوافل في مسير المشاعر ٢٥ / ٠٠٠ ريال سعودى. ومثل هذه الخسائر نتحملها سنوياً بسبب عدم وجود مستندات يوافق عليها الجانب السعودى. ومشكلة هذه المستندات هى ضرورة أن تحمل توقيع السائق، وتأييد بقيه المراجع القانونيه مثل مؤسسه المطوفين والأدلاء، أو ممثلى الشركات .. وهذا متعذر غالباً. من هنا نتوقع مساعده معاليكم فى تسوية الحسابات النهائيه، كى نستطيع فى المستقبل - إن شاء الله تعالى - أن نوجه مدراء القوافل بهذا الشأن.

٢ / ٩- فى عرفات والمشعر ومنى فى أيام التشريق، يلزم اتباع نظام فى المرور يتحلى بالسرعة والمرونة، كى يحول دون الازدحام، ويمنع حدوث احتكاك بين مسؤولى المرور والحجاج.

٢ / ١٠- عدم تخصيص تصاريح لسيارات بعثه حج الجمهوريه الإسلاميه الإيرانيه أدى إلى صعوبات وتعويقات فى الأعمال؛ لذا يقتضى ما يلزم لصدور تصاريح لخمس سيارات يستطيع أن يتردد بها مسؤولو بعثتنا ١ بين المشاعر أسوة بقيه البعثات.

٣- سائر مسائل المشاعر المقدسه:

٣ / ١- تعلمون معاليكم أننا استعنا منذ سنوات بالبالون فى منى من أجل توجيه الحجاج إلى محلّ خيامهم، خاصة وأن المسافه بين خيام حجاجنا والجمرات طويله، وكثير منهم طاعنون فى السن، وبعضهم أميون، واستطعنا بذلك أن نتغلب إلى حدّ كبير على ضياعهم. ولكن مُنع تصعيد البالون فى موسم الحج الماضى، ولم تثمر جهودكم فى توضيح الأمر لمسؤولى إطفاء الحريق. مشكلة ضياع الأفراد لو اقتصر على حدود خيام الإيرانيين؛ لأنّ التغلب عليها عن طريق توظيف أفراد لهذا الأمر، ولكن المشكله تتسع لتشمل المسافات

ص: ١٥٢

البعيدة عن الخيام أيضاً، عندئذ يكون استخدام الأفراد لهذا الغرض غير مفيد. لذلك نطلب إعادة النظر في رفع البالون ولو بالون مركزي واحد.

ولإكمال هذه المهمة نطلب السماح لاستعمال الإضاءة الليزرية في الليل، وهي إضاءة غير مضرّة، وقابلة للرؤية من مسافات بعيدة. ٣/٢- بسبب قلّة مساحة أرض منى، وزيادة عدد الحجاج كل عام، نقترح إنشاء مرافق صحيّة ذات طوابق عديدة تخصص السفلية منها للمراحيض والعليا للاستحمام.

٣/٣- بسبب زحمة الحجاج في المشاعر المقدسة، وبطء السير في الطرق بين منى والمشعر وعرفات وبالعكس، من المناسب استخدام الأساليب الحديثة في النقل. ونقترح في هذا المجال أربعة خطوط للقطارات الكهربائية (ترامواي): اثنان منها في الأنفاق الأرضية، واثنان فوق الأرض؛ لنقل الحجاج بين المشاعر، مما سيكون له أكبر الأثر في إزالة تلوث الجو، وتقليل تعب الحجاج الراكبين والراجلين.

٣/٤- لتلطيف الجو في المشاعر وتنظيفه، نقترح شتل أشجار مقاومة للحرارة والجفاف مثل الكاليتوس، وستعمل هذه الأشجار على تطهير الجو أيضاً لما تفرزه من غازات مطهّرة.

٣/٥- قدمنا من قبل اقتراحاً لمسألة الحلق، وما يجزّه من وضع مزر يهدد سلامة الحجاج في منى. وذكرنا ضرورة تخصيص محل خاص بالحلق، ووضع أكياس نايلون تحت تصرّف القوافل لجمع الشعر فيها. ونحن نؤكد هنا هذا الاقتراح.

٣/٦- توقف الحافلات إلى جانب مكاتب منى يحول دون قراءة لافتات الحملات. نرجو الإيعاز إلى الجهات المختصة بمنع وقوف وسائط النقل جوار الخيام.

٣/٧- الجسور المؤدية إلى رمى الجمرات من الطابق الأعلى كانت في اليومين ١١ و ١٢ ذى الحجة مسدودة حتى الظهر، مما أدى إلى ازدحام شديد

ص: ١٥٣

حول الجسور. ومثل هذا العمل قد يؤدي إلى بروز حوادث سيئة بسبب شدة الحرارة وحيرة الحجاج، ويؤدي إلى هجوم مباغت من قبل المتجمعين بعد فتحه مما قد يعرض الحجاج إلى الخطر. نأمل اتخاذ أسلوب أفضل للسنة القادمة.

*** ٥- المسائل العامة

١- مشكلة السرقات في الأماكن المزدحمة وخاصة في الحرمين الشريفين، واختطاف الأفراد وضربهم من أجل سلب أموالهم ظاهرة مشهودة في الموسم الماضي، ويمكننا أن نضعكم في صورة تفاصيل تلك الحوادث. لذلك نرى من الضروري استخدام عدد أكبر من البوليس السرى لصيانة أمن الزائرين بشكل أدق وأكمل.

٢- عدم وجود نظام ودائع صحيح لأموال الحجاج من المشاكل الموجودة في موسم الحج، ولا بد من التفكير في حل لها.

٣- انتشار الأمراض المسرية من المشاكل التي تؤذي الحجاج كل عام، وقد يعود الحجاج وهو مبتلى لأشهر بهذه الأمراض، من هنا لابد- كما ذكرنا سابقاً- من إجراء دراسات تخصصية موسعة في هذا المجال. وأعرب مرة أخرى عن استعداد اللجنة الطبية لحج الجمهورية الإسلامية الإيرانية للتعاون في هذا المجال.

جدير بالذكر أن عدم الاهتمام اللازم بالنظافة في المشاعر والمسجد الحرام، وخاصة في قسم مياه زمزم ومحلات الوضوء والمرافق يوفّر الأرضية المساعدة لانتشار هذه الأمراض، وهذا يستلزم مزيداً من الاهتمام بالتوجيه الصحي للحجاج.

٤- المسائل المرتبطة بوراثة الحجاج المتوفين في المملكة سواء من نقل منهم إلى إيران أو دفن هناك تتطلب في الأجهزة القضائية الإيرانية شهادة وفاة من الشرطة السعودية.

لكن الحصول على هذه الشهادة من

ص: ١٥٤

الشرطة فيه صعوبات جمّة. نرجو الإعاز بتقديم التسهيلات اللازمة.

٥- من الضروري تنظيم توزّع الناس في المسجد الحرام بحيث لا- يزاحم المصلى الطائف، ولا الماشى المصلى، ولا مستلم الحجر حركة الطواف، ولا المارة الساعين بين الصفا والمروة. وهذا يحتاج الى خطة تحول دون التداخل الحالى.

٦- لعل جميع الحجاج القادمين إلى الحرمين الشريفين يودّون أن يقضوا أكثر أوقاتهم في العبادة بالحرمين الشريفين. وهذا الهدف يتحقق في مكة المكرمة حيث المسجد الحرام يستقبل الناس ليل نهار. لكن ذلك متعذر في المدينة المنورة، بسبب الإسراع في غلق المسجد النبوى الشريف بعد صلاة العشاء. ثمّة مطالب كثيرة أحملها من الايرانيين تدعو حكومة المملكة العربية السعودية إلى فتح أبواب المسجد النبوى خلال موسم الحج على الأقل في الليل أيضاً.

٧- في المدينة المنورة وخاصة في البقيع يواجه الحجاج موانع ومشاكل، من ذلك على سبيل المثال منعهم من الذهاب تحت مظلة البقيع، وكون الطرق المؤدية إلى المسجد النبوى ترابية. من المناسب اتخاذ مايلزم لإزالة هذه الظواهر. ومن الطبيعى أن حجاجنا سوف يتعاونون على حفظ الانضباط والنظام في هذه الأماكن الشريفة.

٨- الارتباط عن طريق الهاتف العمومى بإيران من المملكة، وخاصة من المدينة ما كان متيسراً خلال الموسم الماضى. وكان اسم إيران محذوفاً من قائمة «الكود» فى الهواتف العمومية. وهذا يترك انطباعاً سيئاً لدى الحجاج لايتناسب مع العلاقات الودية بين بلدينا؛ لأنهم يشعرون بنوع من التمييز بينهم وبين سائر حجاج البلدان الإسلامية. من المؤمل أن لا يتكرر مثل ذلك فى السنوات القادمة.

٩- بعد طلبنا إقامة عدد من الخطوط الدولية والداخلية، فقد تمّ

ص: ١٥٥

نصب بعض التلغونات المطلوبة، لكن الهواتف الدولية كانت بين الفينة والأخرى تتوقف عن العمل بحيث أدى إلى ارتباك الأمور في البعثة، وما عاد إرسال الفكس إلى إيران مقدوراً.

وأحياناً كان الارتباط الدولي ينقطع تماماً، ويتحول الهاتف إلى داخلي فقط.

وكانت هذه المشكلة تواجهنا حتى في مكاتب الهاتف، فيقولون: إن خط إيران «خربان». بينما كانت مدارات الارتباط بإيران سالمة، وكان من الممكن الارتباط بإيران في المنازل والفنادق. وهذه المشاكل أثارت اعتراض حجاجنا خاصة أولئك الذين اشتروا كارت الاتصال من فئة ١٠٠ ريال أو ٥٠ ريالاً. وهكذا كان من المقرر حسب الاتفاق منحنا تلفونات جوالاً، وكتبنا إلى دائرة الهاتف في المدينة المنورة ومكة المكرمة طالبنهما بخمسة تلفونات جوالاً. ولكن طلبنا بقي دون جواب.

نقترح إيصال نسخة من اتفاقنا إلى الجهات المختصة بسرعة، وأن يتعين ممثل عن دائرة الهاتف في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة للاتصال به عند اللزوم.

١٠- واجه الحجاج هذا العام في المسجد النبوي الشريف مزيداً من العنت والتضييق. فقد كان مأمورو الأمر بالمعروف في الحرم يقتحمون صفوف الحجاج الجالسين بانتظام وهدوء لتلاوة الدعاء، فينتزعون كتاب الدعاء من يد الحاج، مما يؤدي إلى استياء شديد بينهم. نطالب بإصدار التعليمات اللازمة لمنع هذه التصرفات المشينة التي تترك أسوأ الآثار في نفوس الحجاج. طبعاً، نحن نؤيد تمام التأييد أي عمل إرشادي للحجاج خاصة في موسم الحج بمعزل عن الإهانات والإثارات الطائفية.

معالي الأخ الوزير

نحن نؤمن بأن السبيل الوحيد للتغلب على المشاكل والنقائص هو تضافر جهود كل البلدان الإسلامية استجابةً لقوله سبحانه: وتعاونوا على البر والتقوى، دون أن يكون

ص: ١٥٦

للاختلافات السياسية والجغرافية واللغوية والمذهبية دور في عملية بذل الجهود. من هنا فإننا نكرر اقتراحنا بضرورة اشتراك متخصصين من كل البلدان الإسلامية بإشراف المملكة العربية السعودية من أجل إجراء دراسات معمقة لكل المسائل التنفيذية للحج والتوصل إلى أنجع الحلول. إنكم قادرون على بث روح «الاستباق للخيرات» بين المسلمين في هذا المجال، وسيكون لهذا الأمر نتائج ملموسة تعود بالخير والبركة على حجاج بيت الله الحرام، وعلى الجوّ الإسلامي المعنوي للحج. أغتتم الفرصة لأرفع إليكم تحيات أخوية عطرة أحملها من معالي وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى معاليكم، كما أحمل إعلان استعداد الوزارة كاملة للتعاون الأخوي مع حكومة المملكة العربية السعودية وشخصكم الكريم، وكل العاملين في حقل الحج. في الخاتمة أسأل الله سبحانه أن يمنّ علينا بفضله وكرمه لأن نصل إلى ما نصبو إليه جميعاً عن طريق تعاون جاد مخلص بين الحكومتين الإيرانية والسعودية. إن ما تلمسناه فيكم من روح تطوير للحج وتقبل للاقتراحات، وتفهم للمشاكل، وتحرر للنقائص هو الذي شجعنا على الكتابة إليكم، وإننا إذ نطرح هذه المشاكل نعلن ثانياً عن استعدادنا للتعاون معكم في التوصل إلى حلول بشأنها، وأملنا أن نكون قد قطعنا بهذا الكتاب خطوة أخرى على طريق التعاون مثلما تلمسنا أثر مثل هذه الكتابة من قبل. وما توفيقى، إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم محمد حسين رضائي
رئيس منظمة الحج والزيارة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية

الحرم المكي في مرآة الفقه (٢) خصوصيات مكة المكرمة

ص: ١٥٧

الحرم المكي في مرآة الفقه (٢) خصوصيات مكة المكرمة
عبدالكريم آل نجف

في دراستنا السابقة تحدثنا عن الخصوصيات الشرعية للحرم المكي؛ ونحاول الآن في هذه الدراسة تسليط الأضواء على الخصوصيات الشرعية لمدينة مكة، ومن الطبيعي أن لا نتناول الخصوصيات المشتركة بينهما التي مر البحث فيها آنفاً كخصوصية الأمن.

١- كراهة السكنى في مكة

ذكر الفقهاء كراهة المجاورة في مكة: منهم الشيخ المفيد في المقنعة (١) والشيخ الطوسي في النهاية (٢)، والمبسوط (٣)، وابن البراج الطرابلسي في المهذب (٤) والعلامة الحلبي في تبصرة المتعلمين (٥)، وتلخيص المرام (٦)، وقواعد الأحكام (٧)، والمحقق الحلبي في الشرائع (٨)، وعده الشهيد الأول في الدروس الشرعية الرأي المشهور في المسألة (٩)، وفي المدارك للسيد محمد العاملى أنه المعروف بين الأصحاب (١٠) وإن اختار تقييد الكراهة بما إذا كانت الإقامة سنةً تامّة متواصلة مع الخوف من ملابسة

١- ١ مرواريد، على اصغر، الينابيع الفقهية ٧: ٩٥.

٢- ٢ المصدر نفسه: ٢١٩.

٣- ٣ المصدر نفسه ٣٠: ٢٦٠.

٤- ٤ المصدر نفسه ٧: ٣٣٣.

٥- ٥ المصدر نفسه ٣٠: ٢٩٤.

٦- ٦ المصدر نفسه: ٣٤٢.

٧- ٧ المصدر نفسه ٨: ٧٦٣.

٨- ٨ المصدر نفسه ٨: ٦٤٦.

٩- ٩ المصدر نفسه ٣٠: ٤٦٦.

١٠- ١٠ العاملى، محمد بن على، المدارك ٨: ٢٧١.

ص: ١٥٨

الذنب، وفي الدروس الشرعية قيد الشهيد الأول الكراهة بما إذا لم يأمن نفسه من الوقوع في المحذورات فإذا أمن ذلك استجبت له الإقامة في مكة، وفي رياض المسائل أن الأخذ بما هو المشهور - وهو الكراهة مطلقاً - أولى (١)، ومال إليه صاحب الجواهر (٢). ومنشأ الاختلاف في المسألة، النصوص المختلفة، فقد وردت في الوسائل إحدى عشرة رواية تؤيد رأى المشهور: منها روايات صحيحة معتبرة كرواية الحلبي عن الصادق عليه السلام قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (٣) فقال: كل الظلم فيه إلحاد، حتى لو ضربت خادمك ظلماً خشيت أن يكون إلحاداً» فلذلك كان الفقهاء يكرهون سكنى مكة (٤)، ورويت تحليلات أخرى كالتحليل بأن المجاورة فيها تُقسى القلب (٥)، وأن من سارع إلى الخروج منها دام شوقه إليها (٦). وإلى جانب ذلك وردت أخبار أخرى تقيّد الإقامة في مكة بمدّة أقل من سنه كما عن الباقر عليه السلام: «لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكة سنه، قلت: كيف يصنع؟ قال: يتحوّل عنها ..» (٧)، وأخبار أخرى تدل على استحباب الإقامة مطلقاً كالخبر المروي عن علي بن مهزيار «قال: سألت أبا الحسن عليه السلام المقام بمكة أفضل أو الخروج إلى بعض الأمصار؟ فكتب: المقام عند بيت الله أفضل» (٨). وقد ظهر إزاء ذلك اتجاهان فقهيان، اتّجاه يحاول الجمع بين الأخبار بهذا الوجه، وذلك كما في المدارك حيث كتب يقول: «والذي يقتضيه الجمع بين هذه الروايات كراهة المجاورة سنه تامّة حيث لا يخرج فيها إلى غيرها، وكذا ما دونها مع الخوف من ملابسة الذنب، واستحبابها على غير هذين الوجهين، وربما جمع بينهما بحمل أخبار الترغيب على المجاورة للعبادة، وحمل ما تضمن النهي عن المجاورة لغيرها كالتجارة ونحوها، وهو غير واضح» (٩). واحتمل في الجواهر «كون مراد القائل استحباب الجوار من حيث كونه

١- ١ الطباطبائي، السيّد علي، رياض المسائل ٧: ١٥٦.

٢- ٢ النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام ٧: ٢٧٨ - ٢٧٩.

٣- ٣ سورة الحج: ٢٥.

٤- ٤ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة ١٣: ١٣١ - ٢٣٢.

٥- ٥ المصدر نفسه: ٢٣٤ - ٢٣٥.

٦- ٦ المصدر نفسه: ٢٣٤.

٧- ٧ المصدر نفسه: ٢٣٣.

٨- ٨ المصدر نفسه: ٢٣٢.

٩- ٩ العاملي، محمد بن علي، المدارك ٨: ٢٧٢.

ص: ١٥٩

جواراً لا- من حيث العبادات الأخرى من طواف ونحوه، وبذلك يظهر لك عدم التنافي بين النصوص» (١)، وعلى ذلك سار الفاضل الهندي في كشف اللثام (٢) والاتجاه الآخر يرفض الجمع ويتمسك بالكراهة المطلقة. كما في رياض المسائل حيث كتب يقول رداً على كشف اللثام: «ومقتضى الأصول وان كان لزوم تقييد إطلاق ما سبقها بها، إلّا أنّ التعليقات فيها كادت تلحقها بالنص على الكراهة مطلقاً، سيما التعليل بإيراثها قساوة القلب، وأنه أمر غير اختياري، فيكون التعارض بينهما من قبيل تعارض النصين، ولا ريب بأن الأخذ بما هو المشهور أولى... فالكراهة لا معارض لها من قبيله فصاعداً ليتوقف في الفتوى بها مسامحة» (٣).
والشيء الذي يهمنا في هذه الدراسة بيان هذه الخصوصية لمكة المعظمة سواء كانت الكراهة مطلقة أم مقيدة.

٢- حكم البناء أعلى من الكعبة

اشتهر بين الفقهاء كراهة البناء أعلى من الكعبة الشريفة بالنسبة إلى أهل مكة. وهو الظاهر من عبارة الشيخ في المبسوط (٤) و النهاية (٥) و صرح به العلامة في قواعد الأحكام (٦) وإرشاد الأذهان (٧)، وكذلك الشهيد الأول في الدروس (٨)، والمحقق في الشرائع (٩) والمختصر (١٠) ومال إليه الشيخ النجفي في الجواهر (١١). وهناك قول آخر في المسألة وهو الحرمة، وقد نسب هذا القول في المدارك إلى الشيخ وجماعه (١٢). وقد مرّ أن الظاهر من رأى الشيخ في النهاية والمبسوط الكراهة لاستعماله عبارة «لا ينبغي...» الظاهرة في الكراهة. والظاهر من عبارة القاضي ابن البراج الحرمة (١٣) ونص العلامة في تلخيص المرام بقوله: «يحرم الارتفاع على الكعبة بالبناء..» (١٤) ومدرك المسألة عند الجميع صحيحة محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لا ينبغي لأحد أن يرفع بناء فوق الكعبة» (١٥) وهي

- ١- ١ النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام ٧: ٢٧٩.
- ٢- ٢ الفاضل الهندي، كشف اللثام ١: ٣٨٥ س ٤.
- ٣- ٣ الطباطبائي، السيد علي، رياض المسائل ٧: ١٥٥.
- ٤- ٤ مرواريد، علي اصغر، الينابيع الفقهيّة ٣٠: ٢٥٩.
- ٥- ٥ المصدر نفسه ٧: ٢١٨.
- ٦- ٦ المصدر نفسه ٨: ٧٦٣.
- ٧- ٧ المصدر نفسه ٣٠: ٣٢٣.
- ٨- ٨ المصدر نفسه: ٤٦٧.
- ٩- ٩ المصدر نفسه ٨: ٦٤٦.
- ١٠- ١٠ المصدر نفسه ٨: ٦٨٠.
- ١١- ١١ النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام ٧: ٢٦٧.
- ١٢- ١٢ العاملي، محمد بن علي، المدارك ٨: ٢٥٧.
- ١٣- ١٣ مرواريد، علي اصغر، الينابيع الفقهيّة ٧: ٣٢٤.
- ١٤- ١٤ المصدر نفسه ٣٠: ٣٤٢.
- ١٥- ١٥ الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ١٣: ٢٣٣.

ص: ١٦٠

ظاهرة بالكرهه، وروى الشيخ المفيد في المقنعة أن الإمام الصادق عليه السلام «نهى أن يرفع الإنسان في مكة بناء فوق الكعبة» (١). وهذه العبارة تحتمل الحرمة، لكن الرواية مرسله خالية من الإسناد، ولذلك قال في المدارك: إن القول بالتحريم «مناسب للتعظيم إلا أن الأشبه الكراهية لأصالة عدم التحريم، ولقوله عليه السلام في صحيحة محمد ابن مسلم، ولا ينبغي...». ثم إن البناء يشمل الدور وغيرها، ومنه حيطان المسجد الحرام نفسه فيجرب عليها الحكم، والظاهر من رفع البناء أن يكون ارتفاعه أكثر من ارتفاع الكعبة من حيث الأصل، فلا يكره البناء على الجبال المرتفعة بأصلها على بناء الكعبة، واحتمل الفاضل الهندي شمول الكراهة لهذه الحالة أيضاً (٢).

٣- سواء العاكف فيه والباد

ومن خصوصيات مكة أيضاً ما دلّ من النصوص على ما لحجاج المسلمين من الحق في نزول دورها حتى يقضوا حجهم، ونهى أهل مكة عن وضع الأبواب والمصاريح لدورهم، وقد صيغ الحكم في المسألة تارة بصورة حرمة منع الحاج من دور مكة، وأخرى بصورة كراهة ذلك، ونُسب القول بالتحريم إلى الشيخ، وإن كان كلامه في المبسوط (٣) والنهاية (٤) مشعر بالكراهة لاستعماله عبارة «لا ينبغي» الظاهرة في ذلك، وفي المذهب للقاضي ابن البراج «ليس لأحد أن يمنع الحاج موضعاً من دور مكة» (٥) وهو ما يفهم منه القول بالتحريم، وفي تلخيص المرام للعلامة أنه يحرم منع الحاج دور مكة على رأى (٦)، واستدل فخر المحققين في شرح القواعد- كما حكى عنه- بأن مكة كلها مسجد لقوله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام... وكان الإسراء من دار أم هانئ، وإن كانت كذلك فلا يجوز منع أحد منها لقوله تعالى: سواء العاكف فيه والباد (٧).

وعلق صاحب المدارك عليه بأنه استدلال ضعيف، أمّا، أولاً فلأن الإجماع

١- ١ مرواريد، على اصغر، الينابيع ٧: ٩٥.

٢- ٢ الفاضل الهندي، كشف اللثام ١: ٣٨٤ س ١٨.

٣- ٣ مرواريد، على اصغر، الينابيع الفقهية ٣: ٢٥٩.

٤- ٤ المصدر نفسه ٧: ٢١٨.

٥- ٥ المصدر نفسه: ٣٢٤.

٦- ٦ المصدر نفسه ٣٠: ٣٤٢.

٧- ٧ العاملي، محمد بن علي، المدارك ٨: ٢٥٥-٢٥٦.

ص: ١٦١

القطعي منعقد على خلافه، وأمّا ثانياً فلمنع كون الإسراء من بيت أم هاني، ثم لو سلمناه لجاز مروره بالمسجد الحرام؛ ليتحقق منه الإسراء حقيقة إلى المسجد الأقصى (١). وردّ صاحب الجواهر عليه أيضاً بأنه «منافٍ للإجماع بقسميه على عدم كونها مسجداً، مع منع كونه في الدار المزبورة» (٢). ويبدو من «رياض المسائل» أنه فهم من كلام الشيخ القول بالحرمة، وقد مرّ أن كلامه في المبسوط مشعر بالكراهة، ثم ردّ صاحب الرياض على الشيخ بأنّ القول بالحرمة ضعيف «لشدوذ القول به ودعوى الإجماع القطعي في السرائر والمدارك على خلافه، مضافاً إلى الأصل وأظهرية دلالة الصحاح على الكراهة من الحسنه على الحرمة» (٣).

غير أن التدقيق في كلام السرائر والمدارك لا يدل على ادعاء الإجماع بالخلاف، أمّا عبارة المدارك فقد مرّت، والإجماع المدعى فيها ليس على عدم الحرمة، وإنّما على أن مكة ليست مسجداً كما هو الواضح من عبارة الجواهر أيضاً.

وأما عبارة السرائر فهي في سياق بيان ما هو الدليل على أصل الحكم، حيث استدل الشيخ في المبسوط بالآية: سواء العاكف فيه والباد على قوله: «لا ينبغي أن يُمنع الحاج شيئاً من دور مكة» فأراد ابن إدريس أن يرد عليه بأنّ الآية لا تصلح للاستدلال، وإنّما الدليل هو الإجماع حيث كتب يقول معلقاً: «للإجماع على ذلك فأما الاستشهاد بالآية وضعيف، بل إجماع أصحابنا منعقد وأخبارهم متواترة، فإن لم تكن متواترة فهي متلقاة بالقبول لم يدفعها أحد منهم، فالإجماع هو الدليل القاطع على ذلك دون غير، فأما الآية وهو قوله تعالى: سواء العاكف فيه والباد فإنّ الضمير راجع الى ما تقدّم وهو نفس المسجد الحرام دون مكة جميعها، وأيضاً قوله تعالى: لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا فحظر علينا عزّوجلّ دخول غير بيوتنا، فأما من قال: لا يجوز بيع رباع مكة ولا اجارتها، فصحيح إن أراد نفس الأرض؛ لأنّ مكة أخذت عنوة بالسيف فهي لجميع المسلمين لا تُباع ولا توقف ولا تستأجر..» (٤) فسواء كان كلام الشيخ في المبسوط

١-١ المصدر نفسه.

٢-٢ النجفي، محمّد حسن، جواهر الكلام ٧: ٢٦٦.

٣-٣ الطباطبائي، السيّد علي، رياض المسائل ٧: ١٥٧.

٤-٤ مرواريد، علي اصغر، الينابيع ٨: ٥٨٧.

ص: ١٦٢

يدل على التحريم أو الكراهة، فإن تعليق ابن إدريس عليه جاء في سياق تنقيح الدليل ولم يرد لبيان الرأي المختار في المسألة، أي أنه في سياق تأكيد كلام الشيخ لا رده، وقد اعتمد صاحب المدارك وصاحب الجواهر على عبارة «ليس ينبغي» و «لم يكن ينبغي» الواردة في أكثر نصوص المسألة وأدلتها أساساً لاختيار القول بالكراهة، منها صحيحة حفص بن البختري عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«ليس ينبغي لأهل مكة أن يجعلوا على دورهم أبواباً، وذلك أن الحاج يتزلون معهم في ساحة الدار حتى يقضوا حجهم» (١). وفي حسنة الحسين بن أبي العلاء أن الإمام الصادق عليه السلام ذكر آية سواء العاكف فيه والباد وقال: «كانت مكة ليس على شيء منها باب، وكان أول من علّق على بابه المصرعين معاوية بن أبي سفيان، وليس ينبغي لأحد أن يمنع الحاج شيئاً من الدور منازلها» (٢).

ويلاحظ في أكثر نصوص المسألة استشهاد الإمام عليه السلام بآية سواء العاكف فيه والباد والإشارة إلى معاوية بكونه أول من أغلق داره بوجه الحاج، وهو ما يدل على أن المراد بالمسجد الحرام في قوله تعالى: إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد (٣).

ما يعمّ مكة، ويؤيده ما ورد آنفاً من الروايات التي فسرت ذيل الآية وهو قوله تعالى:

ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم بأن المراد بالضمير المجرور في «فيه» هو مكة أيضاً، وهو ما أدى إلى استنباط كراهة المجاورة بمكة، ولذا ردّ في الجواهر على ابن إدريس زعمه بأن الآية غير صالحة للاستدلال، ونصّ على أن الأولى الاستدلال بها وبالروايات التي فسرتها.

وعلى صعيد الفقه السني، لخص سيد قطب في سياق تفسير الآية آراء فقهاء أهل السنة في المسألة فكتب يقول: «وقد اختلفت أقوال الفقهاء في جواز الملكية الفردية لبيوت مكة غير

١- ١ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة ١٣: ٢٦٩.

٢- ٢ المصدر نفسه: ٢٦٩.

٣- ٣ سورة الحج: ٢٥.

ص: ١٦٣

المسكونة بأهلها، وفي جواز كراء هذه البيوت عند من أجاز ملكيتها، فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنها تملك وتورث وتؤجر محتجاً بما ثبت من أن عمر بن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة بأربعة آلاف درهم فجعلها سجنًا، وذهب اسحق بن راهويه إلى أنها لا تورث ولا تؤجر، وقال: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر وما تدعى رباع مكة - جمع ربع - إلا السوائب، من احتاج سكن ومن استغنى اسكن. وقال عبد الرزاق عن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمر أنه قال:

لا يحل بيع دور مكة ولا كروها، وقال أيضاً عن ابن جريج: كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم، وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن تبويب دور مكة؛ لأن ينزل الحاج في عرصاتها.... وتوسط الإمام أحمد فقال: تملك وتورث ولا تؤجر جمعاً بين الأدلة» (١).
٤- السلطة على مكة

ونحن إذا ما تمعنا في الآية أكثر، وجدناها تنطوي على أبعاد هامة وجديرة بالدراسة المستفيضة، فمن الواضح أنها في سياق إبراز خصوصية لمكة، وبيان ما تمتاز به عن سائر المدن والأماكن. وهي خصوصية تساوي جميع المسلمين في العالم من حيث ما لهم من الحق فيها، وإن نسبة الجميع إليها واحدة سواء كان عاكفاً فيها ومن أهلها أو نائياً عنها سواء العاكف فيه والباد، وهذا يعني بالنتيجة أن المسلمين لا يتساوون في المدن والبلدان الأخرى، ففي مدينة كبداد وبلد كالعراق لا بد من التسليم بحق خاص لأهالي هذه المدينة وسكان هذا البلد فيه بحيث لا يتساوى غيرهم معهم فيه، وإن كان الغير مسلماً، وليس ذلك إلّا بحق إدارة المدينة أو البلد المذكور من قبل أهله ضمن قوانين الإسلام وأحكامه، ومن الطبيعي أن هذا الحق محفوظ لهم ما دام الحكم القائم إسلامياً. فإن اخلوا بذلك سقط هذا الحق الذي يعبر عنه بالاصطلاح السياسي الحديث ب «حق تقرير المصير» وأصبح

ص: ١٦٤

بإمكان المسلمين الآخرين القيام بواجب إدارة البلد؛ لأنّ قوانين الإسلام لا تعطل بحال من الأحوال. ومن خلال المقابلة والمقارنة بين مكة وسائر المدن والبلدان من هذه الجهة، نفهم أنّ الحق الذي يتساوى المسلمون جميعاً فيه بالنسبة إلى مدينة مكة المكرمة ليس حقاً عبادياً خاصاً بأداء مراسم الحج، وإنما هو حقّ عبادى واجتماعى وسياسى شامل، وأنهم جميعاً شركاء فى حقّ تقرير مصير هذه المدينة التى جعلها الله عاصمة للتوحيد فى الأرض، والمسلمون هم حملة رايه التوحيد وبالتالي فهم جميعاً أبناء هذه العاصمة، وهم مكثون وان لم يقيموا فيها، ولو أن الحقّ المشترك للمسلمين فى مكة كان حقاً عبادياً فقط لم يعد وجه لاستشهاد الأئمة عليهم السلام بهذه الآية فى النصوص المروية عنهم فى مسألة كراهة منع الحاج شيئاً من دور مكة، فإنّ هذه المسألة تدل على أنّ الحقّ المشترك للمسلمين فى مكة أوسع من الجانب العبادى وأنه يشمل جانباً اجتماعياً.

صحيح أن الآية الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى ... نزلت بشأن مشركى مكة ومحاولاتهم منع المؤمنين من الطواف والعبادة فى المسجد الحرام، لكن ذلك لا يقيد المساواة المجعولة فى الآية الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، فالجعل مطلق يعمّ العبادة وغيرها، وإن كان مورد الآية أمراً عبادياً خاصاً.

وحتى لو قلنا بأنّ المساواة المجعولة خاصة بالعبادة وشؤونها، فإنّ ذلك لا يقلل من شأنها، وذلك نظراً إلى أن مكة مدينة قوامها العبادة وأساس وجودها ذلك بحيث لا تعرف إلّا بها، وليس هناك مدينة تزيد عليها من هذه الجهة، وبالتالي فإنّ الإيمان بحق مشترك لجميع المسلمين بممارسة الشؤون العبادية فى مكة يعنى حقهم المشترك فى تنظيم هذه الشؤون، وإدارة ما يرتبط بها من الأمور التى تبدأ من العبادة، ثمّ تصبح من خلال الحلقات المتصلة بها اجتماعية وسياسية، وهكذا يبدأ

ص: ١٦٥

الحق المشترك للمسلمين في مكة عبادياً، ثم يتطور فيصبح اجتماعياً وسياسياً، وما مسألة كراهة منع الحاج من سكنى دور مكة إلا تعبيراً عن هذا التطور الطبيعي، ومن الناحية العملية توجد صورتان لتجسيد هذا الحق.

١- صورة وجود دولة إسلامية واحدة تحكم العالم الإسلامي مركزياً.

٢- صورة وجود دول متعددة.

والحق الإسلامي المشترك في مكة لا يواجه مشكلة في الصورة الأولى؛ لأن الدولة الواحدة هي تجسيد لإرادة العالم الإسلامي ككل، وبالتالي فإن قيام هذه الدولة بتسيير شؤون مكة يعني أنها تقوم بذلك نيابة عن العالم الإسلامي، وتجسيدا لإرادة الإسلام العامة. بحيث يتحقق معنى سواء العاكف فيه والباد.

ولكن المشكلة تظهر عندما تتعدد الكيانات الإسلامية، ويتجزأ العالم الإسلامي إلى بلدان ودول وحكومات متعددة، وتكون السلطة على مكة جزءاً من كيان دولة معينة وحكومة خاصة، كما هي الحالة القائمة الآن.

وفي مثل هذه الحالة تظهر الحاجة إلى بلورة صيغة معينة من شأنها حماية مركزية العالم الإسلامي من التلاشي والاندثار، والحيلولة دون ضياع الخصوصية المكية، وتجسيد الحق المشترك للمسلمين فيها. والصيغة الوحيدة في ظل الظروف الراهنة هي انتخاب هيئة عليا من علماء المسلمين كافة تقوم بالإشراف على شؤون مكة المكرمة. وهذه الفكرة التي نقولها ليست جديدة ولا الأولى من نوعها في تاريخ مكة. بل إن لها جذوراً تمتد إلى أكثر من سبعين سنة سابقة؛ وهي من جملة الأسس التي قامت عليها الدولة السعودية الحديثة. وذلك حينما قام شريف مكة الشريف حسين بمنع حجاج نجد من أداء مراسم الحج في مكة ضمن صراع عنيف كان يدور آنذاك بين سلطنة نجد بزعامه عبد العزيز آل سعود والحجاز بزعامه الشريف حسين، وفي أثناء الصراع وجه آل سعود خطاباً إلى أهل مكة وجدّه ضمّنه عهداً بأن يكون أمر «الحرمين الشريفين شوري بين المسلمين وإلا يمضي فيهما أمر يضرّ

ص: ١٦٦

بهما أو بشرفهما؟ أو بأهلها إلاما توافق عليه المسلمون وامضته الشريعة» وختم بيانه بالإعلان بأن كل ما جاء فيه شاهد له - أي لآل سعود - أو عليه عند الله وعند جميع المسلمين، وأنه عهد الله وميثاقه (١) ثم دعا إلى عقد مؤتمر في الرياض حضره رجال الدين لمناقشة قضية مكة، فكان قرار المؤتمر الأخير ضرورة اللجوء إلى القوة «لتحرير الحجاز» من سلطة الشريف حسين. وكانت المداوالات تدور حول أن مكة ليست ملكاً لأحد (٢)، وفي شتاء عام ١٩٢٤ بدأت المعركة العسكرية بين الطرفين وسقط الشريف حسين، وحل محله ابنه الأمير علي الذي سرعان ما تنازل لآل سعود، فوجه آل سعود برقية إليه نصّ فيها على أن «الحرمين الشريفين ليسا ملكاً لأحد، ولكن الأشراف وعلى الأخص والدكم قد اعتبر الحجاز ملكاً خاصاً.... نحن لا نريد سوى تحرير الحجاز للمسلمين..» (٣).

وقبل وصوله إلى الحجاز ابرق عبد العزيز إلى الحكومات الإسلامية يطلب منهم إرسال مبعوثين للمشاركة في مؤتمر مكة لدراسة شؤون الحجاز والحرمين الشريفين وذلك في ١٠ / ربيع الأول / ١٣٤٤ هـ إلاً أن أحداً لم يستجب للدعوة سوى جمعية الخلافة في الهند، وفي أثناء ذلك اجتمع علماء جدّة؛ لدراسة مستقبل الحجاز وقرروا مبايعة آل سعود ملكاً عليه، وأن الحجاز للحجازيين، وأمضى آل سعود قرارهم هذا رسمياً في ٢٥ / جمادى الآخرة / ١٣٤٤ هـ (٨ / كانون الثاني / ١٩٢٨ م) (٤) وهذه بداية التنازل عن العهود والمواثيق التي قدّمها للعالم الإسلامي.

ثم وجه دعوة ثانية إلى حكومات العالم الإسلامي لعقد مؤتمر في مكة للتداول في شأن الحجاز، وفي ٢٦ / ذي القعدة / ١٣٤٤ هـ عقد هذا المؤتمر أوّل جلساته، وحضرته وفود من السودان وبيروت وفلسطين ومصر وروسيا وأفغانستان واليمن والهند. وفي أثناء المؤتمر ارتفعت أصوات تطالب بتدويل الحجاز إسلامياً؛ ليتولى المسلمون كافة إدارة شؤون الحجاز تحت إشراف الملك عبد العزيز. لكن

١-١ عسّه، أحمد، معجزة فوق الرمال: ٩٥.

٢-٢ المصدر نفسه: ٨٦.

٣-٣ المصدر نفسه: ٩٦.

٤-٤ المصدر نفسه: ١٠٢.

ص: ١٦٧

الملك عارض التدويل الإسلامي الذي كان قد دعا له، واعتبره عهد الله وميثاقه عليه، وقال: «إن مصير الحجاز قد تقرر من قبل شعب الحجاز نفسه.. وإنه لن يسمح لمنظمات غير رسميه ولا مسؤولة أن تتدخل بشؤون الحجاز الداخلي» (١). وكان المؤتمر قد عقد ١٢ جلسة ولم يصل إلى نتيجة، وعزم البعض على السفر، فقدّم الملك بياناً للمؤتمر يكشف فيه عن بأسه منه، وعدم تحقيقه الغرض المطلوب منه (٢). وهكذا تم التنصل من العهود والمواثيق السابقة، وظل الحجاز يحكم حكماً ذاتياً من قبل الحجازيين بعيداً عن التدويل الإسلامي المنشود زهاء ست سنوات، حتى صدر مرسوم ملكي في ١٨/ أيلول / ١٩٣٢ بتوحيد المقاطعات التي أقامها عبد العزيز فكانت المملكة العربية السعودية، وعاد الحجاز واحدة من تلك المقاطعات الخاضعة للحكم المركزي في الرياض.

إن الخصوصيتين الثالثة والرابعة تجسّدان ضرورة ظهور مكة المكرمة كوطن مشترك لجميع المسلمين، ومدينة تحمل صفة الدولية الإسلامية، وترمز إلى نقطة مركزية في العالم الإسلامي، وتجسّد وحدة المسلمين كأمة وككيان سياسي. وقد تمت استفادة هاتين الخصوصيتين من آية سواء العاكف فيه والباد، بما يوضّح مدى اندكاك الحج بالسياسة، ومدى الحاجة إلى تحريك وتفعيل الفقه السياسي للحج.

٥- آداب الدخول إلى مكة

ومن خصوصيات مكة المكرمة ما ذكره الفقهاء من الآداب والمستحبات عند دخولها، كالغسل ومضع الأذخر والدخول إليها من أعلاها، وأن يكون الداخل حافياً وعلى سكينه ووقار.

أمّا الغسل فمستنده أخبار عديدة منها حسنة الحلبي قال: «أمرنا أبو عبدالله عليه السلام أن نغتسل من فخ قبل أن ندخل إلى مكة» (٣) وقال عليه السلام أيضاً: «إن الله

١-١ المصدر نفسه: ١٠٩.

٢-٢ الخطيب، عبد الحميد، الإمام العادل عبد العزيز آل سعود ١: ١٥٠.

٣-٣ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة ١٣: ٢٠٠ ح ١.

ص: ١٦٨

عزوجل قال في كتابه أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود (١).
، فينبغي للعبد أن لا يدخل مكة إلّا وهو طاهر قد غسل عرقه والأذى وتطهر» (٢).

وهناك أخبار أخرى دلت على استحباب غسل آخر لدخول الحرم وثالث لدخول المسجد. وقد استظهر في المدارك من النصوص أن «مقتضاها استحباب غسل واحد إما قبل دخول الحرم أو بعده من بئر ميمون الحضرمي الذي في الأبطح أو من فح ... أو من المحل الذي ينزل فيه بمكة على سبيل التخيير وغاية ما يستفاد منها أن إيقاع الغسل قبل دخول الحرم أفضل مما ذكره المصنّف - أي المحقق في الشرائع - وغيره - كالشيخ في المبسوط - من استحباب غسل لدخول مكة و آخر لدخول المسجد غير واضح واشكل منه حكم العلامة وجمع من المتأخرين بأستحباب ثلاثة أغسال بزيادة غسل آخر لدخول الحرم» (٣) وردّ عليه في الجواهر «إنّ النصوص المزبورة ظاهرة الدلالة على غسلين أحدهما للحرم والآخر لدخول مكة ... وأمّا الغسل الثالث لدخول المسجد فأنه وإن كنا لم نعثر في النصوص على ما يدل عليه لكن يكفي فيه ما عن الخلاف والغنية من الإجماع عليه» (٤).

والمستند في استحباب مضع شيء من الأذخر، ما رواه الكليني في حسنة ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام: «إذا دخلت الحرم فخذ من الأذخر فامضعه» (٥).

وقد اختلفت كلمات الفقهاء في كون ذلك عند دخول مكة أو عند دخول الحرم، ففي المختصر النافع والوسيلة والمهذب أنه الأول وفي التهذيب والنهاية والمبسوط والسرائر والتحرير والتذكرة والمنتهى والاقتصاد والمصباح ومختصره أنه الثاني. كما حكى ذلك كله في الجواهر (٦) ثم نقول قول الكليني: «سألت بعض أصحابنا عن هذا فقال: يستحب ذلك؛ ليطيب به الفم لتقريب الحجر». وعلق صاحب الجواهر عليه بأنه: «يؤيد استحبابه لدخول مكة بل المسجد وكونه من سنن الطواف» ثم استظهر قائلاً: «ولعل الأولى الحكم باستحباب الجميع». ومنشأ

١- ١ سورة البقرة: ١٢٥.

٢- ٢ المصدر نفسه: ٢٠١.

٣- ٣ العاملی، محمّد بن علی، المدارک ٨: ١-٧.

٤- ٤ النجفی، محمّد حسن، الجواهر ٧: ١٥٣.

٥- ٥ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، الوسائل ١٣: ١٩٨.

٦- ٦ النجفی، محمّد حسن، الجواهر ٧: ١٥٣.

ص: ١٦٩

الخلافة قوله عليه السلام: «إذا دخلت الحرم ..» فإنه يحتمل الخصوصية للحرم ولمكة، كما أن التعليل بطيب الفم يدل على أن الخصوصية للمسجد الحرام.

وأما الدخول من أعلاها فمستنده صحيحة معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام في صفة حج رسول الله أنه صلى الله عليه وآله «دخل من أعلى مكة من عقبه المدنيين، وخرج من أسفل مكة من ذى طوى» وموثقه يونس بن يعقوب الدالة عليه أيضاً (١).
وجرى بحث بين الفقهاء في كون الحكم خاصاً بمن أراد المجيء إليها من المدينة أم أنه عام للجهات الأخرى. فحكى في الجواهر عن المقنعة والتهديب والمراسم والوسيلة والسراير أنه خاص واستدل به بأنه مقتضى التأسي بالرسول صلى الله عليه وآله والوارد في موثقه يونس بن يعقوب. ورد في الجواهر أن التأسي يقتضى الأعم، وأن التقييد الوارد في موثقه يونس مذكور في كلام السائل (٢) فمن الطبيعي أن يأتيه الجواب مقيداً بجهة المدينة، مؤيداً بذلك المحقق في الشرائع والشهيد في الدروس والروضه من عمومية الحكم للمدني وغيره.

وأما الدخول حافياً على سكينه ووقار فدليله حسنة معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من دخلها بسكينه غفر له ذنبه، قلت: كيف يدخلها بسكينه؟ قال: يدخلها غير متكبر ولا متجبر» (٣) وفي خبر اسحق عن الصادق عليه السلام: «لا يدخل رجل مكة بسكينه إلا غفر له، قلت: وما السكينه؟ قال: بتواضع» (٤).

وهذان النصان وغيرهما ممياً ورد في المقام لم يرد فيها ذكر الحفاء، الذي نص عليه المحقق في الشرائع والنافع ومحكى القواعد والمبسوط والوسيلة، وظاهر الجمل والعقود والاقتصاد والمهذب والسراير والجامع، ولذا فسّر صاحب الجواهر ذلك بأن الحفاء من التواضع المذكور؛ ولذا رد على كشف اللثام بأن توقفه فيه في غير محله (٥).
وورد في نص آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا هبط الرجل منكم وادي مكة، فالبسوا خلقان ثيابكم أو سمل ثيابكم، فإنه لم يهبط وادي مكة أحد ليس في قلبه من الكبر إلا غفر له» (٦).

١-١ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، الوسائل ١٣: ١٩٩، الحديث الأول والثاني.

٢-٢ النجفي، محمّد حسن، الجواهر ٧: ١٥٤.

٣-٣ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، الوسائل ١٣: ٢٠٢.

٤-٤ المصدر نفسه: ٢٠٣.

٥-٥ النجفي، محمّد حسن، الجواهر ٧: ١٥٤.

٦-٦ الحر العاملي، محمّد بن الحسن ١٣: ٢٠٣.

ص: ١٧٠

٦- وجوب الإحرام لدخولها

فإنه يجب على كل من دخل مكة أن يكون محرماً بحج أو عمرة. وادّعى المدارك الإجماع عليه، وفي محكي الخلاف كذلك، وفي الجواهر أنه لم يجد خلافاً فيه.

ونقل عن المقنع للشيخ الصدوق أن الوجوب ثابت حتى لو دخل مرتين أو ثلاثاً في السنة، وقد دلت على ذلك أخبار عديدة منها صحيحة محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام «سألت أبا جعفر عليه السلام: هل يدخل الرجل مكة بغير إحرام؟ قال: لا إلا مريضاً أو من به بطن» (١) وفي صحيحة أخرى له عنه عليه السلام «سألته: هل يدخل الرجل الحرم بغير إحرام؟ قال: لا إلا أن يكون مريضاً أو من به بطن» (٢) والنص الثاني يوسع الدائرة إلى الحرم، ولكن حيث دلّ الدليل على عدم وجوب الإحرام لمن لم يرد النسك، وأراد حاجه خارج مكة؛ لذا فإنه يحمل على من دخل الحرم بقصد الدخول إلى مكة. ولعلّ أشد النصوص لهجة حسنة معاوية بن عمار قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة: إنّ الله حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، وهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدى، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار» (٣).

وحكى في المدارك عن الشيخ وجماعه استثناء العبيد من هذا الحكم، ونقل عن المنتهى الاستدلال عليه بأنّ السيد لم يأذن لهم بالتشاغل بالنسك عن خدمته، فإذا لم تجب عليهم حجة الإسلام لهذا المعنى، فعدم وجوب الإحرام لذلك أولى، ثم وصف صاحب المدارك هذا الاستدلال بأنّه لا بأس به (٤)، وفي الجواهر أن هذا الاستثناء مناف لإطلاق الأدلة وعمومها (٥).

والمعروف استثناء المريض والمتكرر بالدخول إلى مكة كالحطاب والحشاش لدلالة النصوص على ذلك.

وحيث اتضح ثبوت الإحرام على من دخل مكة وكونه من خصوصيات هذه المدينة المكرمة، ولذا فمن الطبيعي أن نرجع خصوصيات الإحرام إلى مكة أيضاً،

١- ١ الحر العاملي، محمد بن الحسن، الجواهر ١٢: ٤٠٣.

٢- ٢ المصدر نفسه.

٣- ٣ الحر العاملي، محمد بن الحسن ١٢: ٤٠٤.

٤- ٤ العاملي، محمد بن علي، المدارك ٧: ٣٨٢.

٥- ٥ النجفي، محمد حسن، الجواهر ٦: ٦٦٨.

ص: ١٧١

فمحرمات الإحرام التي تُمنع منها المحرم، وعوقب على ارتكابها بالكفارة ونحوها بإمكاننا أن نعدّها من خصوصيات مكة أيضاً؛ لأنّ الفرع يعود إلى الأصل هو وما يتفرع عليه.

٧- استحباب الإتمام فيها

والخصوصية الأخيرة لمكة استحباب الإتمام فيها لمن سافر إليها. ويشترك مع مكة في هذه الخصوصية المدينة المنورة ومسجد الكوفة والحائر الحسيني. والظاهر أن هذه الخصوصية من حيث الأصل لمكة، ثمّ ألحقت المواطن الأخرى بها كما هو الأمر في جملة من خصوصيات هذه المدينة المكرمة.

وقد جرى البحث بين الفقهاء وحول نقطتين من هذه المسألة: أولاهما: أصل الحكم بالإتمام أو القصر، والثانية: هل الحكم يشمل كل مكة أم أنه خاص بالمسجد الحرام منها. وفي النقطة الأولى ظهرت أربعة آراء هي:

أ- التخيير والإتمام أفضل. وفي الجواهر أنه المنسوب إلى مشهور الأصحاب والمنقول عن المختلف والمصابيح، والمحكى عن التذكرة والذكري، والصريح من السرائر، ونقل عن الخلاف الإجماع عليه (١).

ب- وجوب الإتمام، نقل في الجواهر حكاية ذلك عن المرتضى وابن الجنيد (٢).

ج- وجوب التقصير. حكاها في الجواهر عن العلامة الطباطبائي تبعاً للمحكي عن الفاضل البهبهاني، بل ادّعى أنه المشهور بين متقدمي الأصحاب. ثمّ احتمل أن يكون الطباطبائي قد أخذه عن محكي بن قولويه في كامل الزيارات (٣). وهو المعروف عن الصدوق حيث اختار وجوب التقصير إذا لم تكن تيّباً للإقامة.

د- التخيير والأحوط القصر، كما هو مختار الجواهر (٤).

١- ١ النجفي، محمّد حسن، الجواهر ٥: ٤٠٢-٤٠٧.

٢- ٢ المصدر نفسه.

٣- ٣ المصدر نفسه.

٤- ٤ المصدر نفسه.

ص: ١٧٢

ومنشأ ذلك الأخبار والنصوص المختلفة، حيث دلّ بعضها على الإتمام كما في خبر زياد بن مروان قال: «سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن إتمام الصلاة في الحرمين؟ فقال:

أحبّ لك ما أحبّ لنفسى أتم الصلاة» (١) وهو ظاهر في استحباب الإتمام، وهناك ما يظهر منه وجوب القصر كالمروى عن الإمام الرضا عليه السلام: «قصر ما لم تعزم على مقام عشرة أيام» (٢).

وهكذا النصوص الأخرى تساعد على آراء أخرى كالتخيير أو وجوب الإتمام. وربما أمكننا الاستظهار بأن جواز الإتمام أو استحبابه أو وجوبه في مكة منسجم تماماً مع الخصوصية الثالثة الدالة على مساواة المكي مع غيره في الحق بأرض مكة ودورها بنحو يشعر بأن مكة وطن للجميع، وحينئذ فكأن المسافر إذا وصلها قد وصل وطنه الطبيعي الذي يتم الصلاة فيه. ولكن أحداً من القائلين بالإتمام وجوباً أو استحباباً لم يذكر ذلك دليلاً عليه.

وبخصوص النقطة الثانية ظهر رأيان:

أ- إن الحكم أياً كان خاص بالمسجدين، المسجد الحرام والمسجد النبوي دون المدينتين، وهو مختار ابن إدريس في السرائر (٣) وتابعه صاحب الجواهر عليه (٤)، وكذلك السيد اليزدي في العروة.

ب- إن الحكم يشمل المدينتين معاً مكة والمدينة، وعلى ذلك الشيخ (٥) والمحقق، واختاره صاحب المدارك ونسبه إلى أكثر الأصحاب (٦)، واعتمده السيد الحكيم في المستمسك (٧).

ومنشأ الاختلاف في المسألة اختلاف النصوص. حيث ذكر بعضها عنوان الحرمين والقدر المتيقن منهما المسجدان: الحرام والنبوي، فيما ذكر بعضها الآخر اسم مكة والمدينة (٨).

١- ١ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، الوسائل ٨: ٥٣٠.

٢- ٢ المصدر نفسه: ٥٣٣.

٣- ٣ ابن إدريس، السرائر: ٧٦.

٤- ٤ النجفي، محمّد حسن، الجواهر ٥: ٤٠٨.

٥- ٥ الطوسي، محمّد بن الحسن، النهاية: ١٢٤.

٦- ٦ الحر العاملي، محمّد بن علي، المدارك ٤: ٤٦٩.

٧- ٧ الحكيم، السيد محسن، المستمسك ٨: ١٨٥.

٨- ٨ الحر العاملي، محمّد بن الحسن، الوسائل ٨: ٥٢٤-٥٣٤.

ص: ١٧٣

الهوامش:

امن الحرم

ص: ١٧٦

أمن الحرم

محسن الأسدى

الدعاء كان السمء البارزة فى حركة جميع الأنبياء وبالذات فى حركة نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام وهو يخطو خطواته المتقنة فى مسيرته المباركة؛ لتنفيذ أوامر السماء فى جوف تلك الصحراء النائبة، وفى ذلك الوادى المقفر الأجرد الذى تظله الجبال ذات الصخور الصماء وتحف به التلال، وهو بين لحظة وأخرى يرمق السماء رافعاً يديه متوسلاً بالله تعالى أن يسدّد خطواته، وأن يعينه على ما أمره به. فكان من دعائه عليه السلام: ربّ اجعل هذا بلداً آمناً ..

صفة الأمن ما أعظمها وما أروعها وما أوقعها فى النفوس! فبدونها تفقد الحياء كلّ معانيها الجميلة، وكل ما فيها من خير وعطاء. فالأمن ضرورة لكلّ تقدم وحضارة وبناء. خاصّة لذلك الوادى الذى يُراد له أن يكون مكاناً تنبعث منه رسالة السماء إلى الناس كافة. وتؤدى فيه أدقّ عبادة وأشقّها .. وبغير أمان وطمأنينة قد لا يستطيع أحد أداء مناسكها على ما هو مرسوم لها، ولا يتمكن أحد من أن يعمر ذلك الوادى وإلّا، قل لى: كيف تؤدى مثل هذه الفريضة ذات المناسك

ص: ١٧٧

المتعددة والشاقة والدقيقة؟ وكيف تبنى بذلك الوادى حضارة يراد لها أن تكون مشعل نور للأجيال وقبله لها إذا كان ساكنه يتنون تحت أجواء الخوف وقسوة الجوع!؟..

لم تشغل شيخ الأنبياء تلك المحنة المتمثلة بترك زوجته وابنه، وكم هى عظيمة وخطرة أن يترك الزوج زوجته والأب ابنه فى مثل ذلك المكان وفى مثل تلك الظروف! لم تشغله تلك المحنة التى تنوء بالعصبه أولى القوة عن طلب الأمان إلى جبال هذا الوادى وإلى رماله وتلاله وإلى ساكنيه، فلقد قدر لكل صخرة فيه ولكل ذرة رمل ولكل تل صغيراً كان أو كبيراً، ولكل ساكن فيه رجلاً كان أو امرأة، شاباً كان أو شيخاً، قوياً كان أو ضعيفاً، سيداً كان أو عبداً، شريفاً كان أو ضيعاً .. دور فى حياة هذا الوادى وفى أحداثه. ويمكننا القول بقوة: إن شيخ الأنبياء كأنه انكشف له ما سيؤول إليه واقع هذا الوادى من اقتتال وتنازع وتخاصم من جهة، ومن جهة أخرى أنه سيتحول إلى بقعة من أقدس بقاع الدنيا وأعظمها، وما يستتبع ذلك من خير وبركة وعطاء وسيصبح مهبطاً لوحى السماء، ومنبعاً للنور الإلهى بعد أن يغرق بالظلام والجهالة، وأنه سيتحول من وادٍ رملى خال من أى عود أخضر إلى ربيع زاه تخفق فيه طيور المودة والمحبة، وتردد فى جنباته ونواحيه أصوات التلبية والتسبيح وآيات القرآن. فتهوى إليه الأفئدة أفئدة الناس من كل ناحية وصوب واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم من أجل هذا وغيره كان لابد لإبراهيم من أن يطلب الأمان والأمان لهذه الأرض وحتى يأنسوا به ويعرفوا قيمة الأمان، ثم يميزوا بينه وبين الخوف، وبالتالي بين السلام وثماره والحرب وآثارها، وبين الاستقرار من جهة والنزاع والتشرد من جهة أخرى. بين المعانى الجميلة والعظيمة للخير والمعانى القبيحة والوضيعة للشر وما يترتب عليه من تناحر وتشتت وتفرق ..

لقد أراد شيخ الأنبياء من دعائه أن تكون مكة بعيدة عن الغدر والكراهية والبغضاء والاحتيال .. وأن تبقى أرضاً مقدسة مباركة لا مكان فيها لسياط

ص: ١٧٨

الجلادين الظلمة، التي تلهب ظهور العبيد والمظلومين، وأن لا تكون مقبرة للنبات، التي تُقتل حال ولادتها خوفاً من العار المزعوم، لم يرد هذا ولا غيره، بل أَرادها أن تكون مكاناً وأرضاً نابضة بالحياة يلوذ بها المظلومون، ويأوى إليها الضعفاء والمشردون؛ ليجدوا فيها حقوقهم التي سحقت، وكراماتهم التي سلبت، وأموالهم التي نهبت.

يقول سيد قطب: هذا البيت الحرام الذي قام سدنته من قريش فروّعوا المؤمنين، وأذوهم وفتنوه عن دينهم حتى هاجروا من جواره.. لقد أَراده الله مثابةً يثوب إليه الناس جميعاً، فلا يروّعهم أحد، بل يأمنون فيه على أرواحهم وأموالهم. فهو ذاته أمن وطمأنينة وسلام (١).

لقد أَراد لها أن تكون أرضاً تسير فيها قوافل الإيمان، وتزداد أعدادها وتتضاعف، ويشع نورها ويتسع؛ ليتعدى الجزيرة وما حولها إلى كل الدنيا وما فيها، وبالتالي يعم نموذج الأمن وتجربته كل البقاع وكل الأمم الأخرى.

يقول صاحب التفسير المنير: ومن نعمه تعالى على العرب التي أمر الله نبيه أن يذكرهم بها: دعاء إبراهيم عليه السلام: أن يجعل هذا البلد في أمن وطمأنينة، فلا يتسلط عليه الجبارون، ولا يعكر صفوه المجرمون الآثمون (٢).

فهل تحقق كل هذا ولم تعبت بهذا الوادي الأيدي القذرة والنفوس السيئة؟

لئن مرّت على هذا البيت الكريم سنوات خير وأمان وطمأنينة، فقد تعرّض طيلة سنوات عديدة لحوادث سلب ونهب، وضرب بالمنجنيق، وقتل فيه الأبرياء والأمنون، وتسلط عليه الجبارون، وعكر صفوه المجرمون الطغاة، كالقرامطة الذين قاموا بفعالتهم القذرة، من قتل الحجاج الأبرياء الذين جاءوا يطلبون رحمة الله ومغفرته ورضوانه، وقاموا بسرقة الحجر الأسود والاحتفاظ به بعيداً عن مكانه لأكثر من عشرين سنة إلى غيرها من الأعمال المشينة قديماً وحديثاً آلمت قلوب المسلمين جميعاً وواجهوها باستنكار بالغ، ومازالت مرارتها في نفوسنا جميعاً.

١-١ في ظلال القرآن ١: ١١٣.

٢-٢ التفسير المنير ١: ٣٠٥.

ص: ١٧٩

هذه الأيدي لم ترع للبيت حرمة ولا كرامته، وتغافلت عن تكريم الله تعالى له بجعل نعمه الأمان آية من آياته، وهبه من مواهبه لعباده، أن جعل قطعه من الأرض تشعر فيها النفوس بحلاوة الأمان والطمأنينة بعد أن عانت من فقدان الأمان، وهي تعيش بعيداً عنه تحت سوط الطغاة والجلادين والغزو والقتال أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم (١).

فالأمن إذن لم يعد بعد تلك الجرائم والاعتداءات صفة للبيت، ممّا جعلنا نتساءل هل حوادث الاعتداء هذه على بيت الله الحرام، وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح البريئة على أرضه المقدسة وعلى ترابه الطاهر تتعارض مع نصوص الأمان القرآنية، وبالتالي تززع صفة البيت الآمن الذي حدّدته الآيات الكريمة؟

إن ظاهر هذا كله يفيد أنّ هناك تناقضاً بين ما حدث وبين ما قاله الله تعالى في كتابه العزيز: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً وهذا البلد الأمين، فالبيت وُصفَ بالأمن في الوقت الذي دخله القتل، وأثاروا فيه الرعب والفرع والقتل، وتركت هذه الجرائم آثارها على الناس الآخرين الذين يقصدون البيت ولكنهم خائفون وجلون ممّا قد يتكرّر، وممّا قد يقع.

وقبل التعرض إلى ذلك لابدّ من ذكر الأمن لغه وآياته والأقوال المتعددة في مسألة أمن الحرم؛ لنصل إلى حلّ ما قد يُرى من تناقض بين النصوص والواقع التاريخي لأمن الحرم.

الأمن لغه: من أمن يَأْمُنُ أَمْناً وأماناً وأماناً وأماناً وأمانةً وأمانةً: اطمأنَّ وَلَمْ يَخَفْ، فهو آمِنٌ وأَمِينٌ وأَمِينٌ يُقال: لك الأمانُ: أى قد آمنتك أى جعلتك فى أمن بعيداً عمّا يخيفك ويقلقك: وأمن يَأْمِنُ اطمأنَّ فيه أهله .. والأمن: ضد الخوف.

فالبلد الأمين أى بلد الأمان أو البلد المأمون فيه، يأمن فيه من دخله.

وآمنهم من خوف أى آمنهم من خوف وقد نكر لبيان شدّته، فجعلهم فى أمن وسلامه وطمأنينه على أنفسهم وأموالهم و ...

ص: ١٨٠

يقول السيد السبزواري: ومادة (أَمَنَ) تأتي بمعنى الطمأنينة، وزوال الخوف، وسكون النفس، وقد استعملت جملة من مشتقاتها بالنسبة إلى الحرم الأقدس الإلهي، قال تعالى: وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً وقال تعالى: وهذا البلد الأمين .. الآيات:

وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا بلداً آمناً ... (١). فيه آيات بينات ... ومن دخله كان آمناً (٢). وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمناً (٣). أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كلّ شيء (٤). أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ... (٥). وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً (٦). وهذا البلد الأمين (٧). الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٨).

الروايات ومنها:

١- فعن جابر، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «لا يحل لأحد أن يحمل بمكة السلاح».

٢- وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لا- يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلّ ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلّ آمن عرفها، ولا يختلي خلالها (أى لا يجز ولا يقلع كلؤها). فقال العباس: يا رسول الله إلّ الإذخر

١-١ البقرة: ١٢٦.

٢-٢ آل عمران: ٩٧.

٣-٣ إبراهيم: ٣٥.

٤-٤ القصص: ٥٧.

٥-٥ العنكبوت: ٦٧.

٦-٦ البقرة: ١٢٥.

٧-٧ التين: ٣.

٨-٨ التين: ٤.

ص: ١٨١

فإنه لقينهم وليوتهم. فقال: إلاً الإذخر».

٣- وأخرج مسلم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً، وإنى حرمت المدينة، حراماً ما بين مأزميها أن لا يهراق فيها دم، ولا يحمل فيها سلاح لقتال، ولا تخطب فيها شجرة إلالعلف، ...».

٤- قال الإمام الصادق عليه السلام: من دخل الحرم مستنجراً به فهو آمن من سخط الله عزوجل، ومن دخله من الوحش والطيور كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.
الأقوال فى أمن الحرم:

إن الحديث عن أمن البيت الحرام مما اختلفت فيه الأقوال، وتشعبت فيه الآراء وذهبت مذاهب شتى فى المراد منه ..
ففریق ذهب إلى أن الأمن المقصود فى الآيات أمن من عذاب الله تعالى، فالذى يدخل الحرم وهو معظم له، عارف به وبمنزلته ومكاته الدينية والذى يقصده للأجر والثواب، فهو يخرج من ذنوبه، وقد يعبد الله عنه عذاب الآخرة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

فى حين ذهب فريق ثانٍ إلى أن أمن الحرم هو أن الجانى يأمن من أن يقام الحدّ عليه، فلا يقتل به الكافر، ولا يقتص فيه من القاتل، ولا يقام الحد على المحصن والسارق، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة.

بينما ذهب فريق ثالث إلى أن المقصود هو أن الله نهى المؤمنين عن قتال أعدائهم من مشركين وغيرهم داخل الحرم حتى يبدأوا بقتالهم انطلاقاً من قوله تعالى: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين.

أو أنه إخبار عن عدم وقوع القتل فى الحرم، وهذا مردود، لأن القتل الحرام

ص: ١٨٢

وقع فيه، والقتل المباح قد يوجد فيه بدليل الآية: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام .. وقد ذهب فريق رابع إلى أنه مكان آمن يلوذ به الناس؛ ليعبدوا أنفسهم عن التشفى والانتقام، فلا تنتقم العرب ممن دخل البيت، فكان الشخص يرى قاتل أبيه أو أخيه .. داخل الحرم فلا يتعرض له بسوء حتى يخرج منه، مع أن الثأر كان متجذراً فى نفوسهم، بل العربى الذى لا يأخذ بثأره يكون موضع سخريه وعار ومع هذا لا يثار لمقتوله داخل الحرم.

كما أن هناك فريقاً خامساً ذهب إلى أن الله تعالى جعل الحرم آمناً وأيضاً آمناً من القحط والجذب على ما قاله تعالى: أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجيبى إليه ثمرات كل شىء فإن إبراهيم أسكن أهله فى واد تحيط به المخاوف وهو غير ذى زرع ولا ضرع؛ ولهذا رفع يديه بالدعاء سائلاً الله تعالى: رب اجعل هذا البلد آمناً أى آمناً من كل ما يخيف ثم عقبه بقوله: وارزق أهله من الثمرات من آمن زمنهم ... فإبراهيم رأى أن يطلب هذين الأمرين: الأمن والرزق .. أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف فبدونهما لا تدب حياة فى هذا الوادى ولا يدوم بقاء وخير.

بينما ذهب فريق سادس إلى أن المقصود بالأمن هو الأمن من القحط والجذب فقد ذكر صاحب التفسير الكبير أن (أبو بكر الرازى) ذكر وجوهاً للأمن المسئول فى الآية: ومن تلك الوجوه أنه سأله الأمن من القحط .. واحتج عليه بأنه عليه السلام سأله الأمن أولاً، ثم سأله الرزق ثانياً، ولو كان الأمن المطلوب هو الأمن من القحط لكان سؤال الرزق بعده تكراراً فقال فى هذه الآية: رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات.

... ثم يقول: واعلم أن هذه الحجج ضعيفة فإن لقائل أن يقول: لعل الأمن المسئول هو الأمن من الخسف والمسوخ، أو لعل الأمن من القحط، ثم الأمن من

ص: ١٨٣

القحط قد يكون بحصول ما يحتاج إليه من الأغذية، وقد يكون بالتوسعة فيها فهو بالسؤال الأول طلب إزالة القحط، والسؤال الثانى طلب التوسعة العظيمة (١).

وهناك فريقٌ سابع يقول: إن المقصود بالأمن هو أن الله تعالى آمن هذا البلد وأهله من الخسف والمسخ وكما يقول الزحيلي: ويحميه سبحانه وتعالى من الخسف والزلال والغرق والهدم، ونحو ذلك من مظاهر سخط الله على بلادٍ أخرى (٢).

أقول: نعم قد تكون مكة بعيدة عن الحوادث والظواهر الطبيعية، التى تأتى تعبيراً عن سخطه تعالى وعقوبة منه كما حدث لبعض الأقوام حينما سخط عليهم، وكان سخطه هذا عذاباً حلّ بهم، وعقوبة جماعية نزلت عليهم؛ بسبب كفرهم وطغيانهم وتكذيبهم الرسول والأنبياء، وقد حدّثنا القرآن عن:

قوم لوط ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين (٣).

قوم شعيب فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلّة .. (٤).

فرعون وقومه فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليمّ .. (٥).

قوم ثمود .. فأخذتهم الصاعقة .. (٦).

قوم عاد فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ... (٧)

فهذه تكون مكة بمنجاة ومأمن منها؛ لأنه تعالى لا يخلف وعده لمكة بالأمن ولا ينقضه ...

أما الظواهر الطبيعية كالسيول والعواصف وغيرها التى تأتى بأسبابها الطبيعية وليست تعبيراً عن سخط الله وغضبه، فهى تصيب مكة وبالتالي تخلّ بالأمن التكويني على فرض صحته وحتى إن كانت لا تعدّ شراً إذا عرفنا أنها حالات يستوجبها النظام الكونى العام، وهى جزء من ديمومته واستقراره، وليست حالات شاذة عنه ومخالفة للحكمة الإلهية ونظامها ودقتها، وإذا ما نظرنا إليها نظرة عامة فى إطار ذلك النظام الكونى، وليست نظرة انعزاليه عنه أو ضيقة .. ولكنها مع

١-١ التفسير الكبير للفخر الرازى ٣: ٥٩-٦٠.

٢-٢ التفسير المنير ١: ٣٠٥.

٣-٣ الشعراء: ١٧٢-١٧٣.

٤-٤ الشعراء: ١٨٩.

٥-٥ الذاريات: ٤٠.

٦-٦ هود: ٨٢.

٧-٧ الأحقاف: ٢٤.

ص: ١٨٤

هذا كله تعدد خرقاً لنظام الأمن؛ لأنها تسبب الخوف والهلع اللذين هما ضد الأمن.

ويستطيع الإنسان بما آتاه الله من القدرات أن يستثمرها في تعمير هذه المنطقة ويبني ويؤسس ما يقيها العواصف ويمنع عنها السيول وبالتالي يحفظ مكة منها أو على الأقل يخفف آثارها.

وأما السيد السبزواري فبعد أن يذكر بعض آيات الأمن (١)، يقول قولاً متيناً وكلاماً واضحاً: والمراد منها ما ورد عن نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله في قوله يوم فتح مكة: «إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولا تحل لي إلا ساعة من النهار» وأمثال ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تدل على أصل الحرمة والاحترام التي كانت قبل الخلق، ودعاء إبراهيم عليه السلام إنما كان تأكيداً لما سبق وترغيباً للناس، لا أن تكون دعوة مستأنفة.

ثم راح السيد يقول: والأمن المستعمل في القرآن إما أخروي، أو دنيوي، أو هما معاً. والأول كقوله تعالى: ادخلوها بسلام آمين (٢) وقوله تعالى: إن المتقين في مقام أمين (٣)

. وللثاني موارد كثيرة، منها الآيات المباركة الواردة في المقام.

ثم واصل حديثه بقوله: والمراد بالأمن، إما للإرشاد إلى أن المحل محل لا ينبغي أن يقع الظلم فيه مطلقاً، فيكون تنبيهاً للعقل والعقلاء إلى عظمة المحل، كما ورد في تعظيم القرآن، والوالدين، والمؤمن، فترتب على المخالفة المفسدة لا محالة، أو أنه أمر تكليفي فعلي، لجعل المحل آمناً مما حذر ارتكابه في غيره.

ثم يقول بعد ذلك: وكل منهما صحيح، ولا منافاة بينهما، كما أنه يصح أن يكون الأمن فيه من القسم الأخير، أي أمن الدنيا والآخرة. وفي الآية المباركة امتنان عظيم على أهل الحرم ورواده، من جعل البلد آمناً في نفسه، ومأمناً لأهله وغيرهم. وعندما تعرض الطبرسي لتفسير وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً قال

١-١ تفسير مواهب الرحمن للسيد السبزواري ٢: ٢٨-٢٩.

٢-٢ الحجر: ٤٦.

٣-٣ الدخان: ٥١.

ص: ١٨٥

في (أمناً): أراد مأمناً أى موضع أمن، وإنما جعله الله أمناً بأن حكم أن من عاذ به والتجأ إليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه، وبما جعله في نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا- يتعرضون إلى من فيه فهو آمن على نفسه وماله، وإن كانوا يتخطفون الناس من حوله، ولعظم حرمة لا يقام في الشرع الحدّ على من جنى جنايته فالتجأ إليه وإلى حرمة، لكن يضيق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشراء حتى يخرج منه فيقام عليه الحد، فإن أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحدّ فيه؛ لأنه هتك حرمة الحرم، فهو آمن من هذه الوجوه، وكان قبل الإسلام يرى الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له، وهذا شيء كانوا قد توارثوه من دين إسماعيل فبقوا عليه إلى أيام نبينا صلى الله عليه وآله (١) ..

كما أن رأى الشافعي فيمن دخل البيت من الذين تجب عليهم الحدود، هو أن الإمام يأمر بالتضييق عليه بما يؤدي إلى خروجه من الحرم، فإذا خرج أقيم عليه الحد في الحل، فإن لم يخرج حتى قتل في الحرم جاز، وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه، واحتج الشافعي بأنه صلى الله عليه وآله أمر عندما قتل عاصم بن ثابت بن الأقلح وخبيب بقتل أبي سفيان في داره بمكة غيلة إن قدر عليه. قال الشافعي: وهذا في الوقت الذي كانت مكة فيه محرمة، فدلّ على أنّها لا تمنع أحداً من شيء وجب عليه، وأنها تمنع من أن ينصب الحرب عليها كما ينصب على غيرها.

أما أبو حنيفة فقال: لا يجوز، واحتج بهذه الآية: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً.

وأما صاحب المنار الذي أخذ المراعى منه فيقول في تفسيره وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً: واذكر أيها الرسول- أو أيها الناس- إذ جعلنا البيت الحرام مثابة للناس وأمناً أى ذا أمن بأن خلقنا بما لنا من القدرة في قلوب الناس من الميل إلى حجه والرحلة إليه المرة بعد المرة من كل فتح وصب ما كان به مثابة لهم، ومن احترامه وتعظيمه وعدم سفك دم فيه ما كان به أمناً ...

ص: ١٨٦

ثم واصل حديثه بقوله: يذكر الله تعالى العرب بهذه النعمة أو النعم العظيمة وهي جعل البيت الحرام مرجعاً للناس يقصدونه ثم يثوبون إليه، ومأمناً لهم في تلك البلاد بلاد المخاوف التي يتخطف الناس فيها من كل جانب ... وكونه- أى البيت- مثابة للناس أمر معروف فى الجاهلية والإسلام، وهو يصدق برجوع بعض زائريه إليه، وحين غيرهم وتمنيهم له عند عجزهم عنه، وكذلك جعله أمناً معروف عندهم، فقد كان الرجل يرى قاتل أبيه فى الحرم فلا يزعه على ما هو معروف عندهم من حب الانتقام والتفاخر بأخذ الثأر (١).

ثم راح يذكر سؤالاً قد سأل به الشيخ محمد عبده والجواب عنه فيقول:

(الاستاذ الإمام) قد يقال: ما وجه المنة على العرب عامة بكون البيت أمناً للناس والفائدة فيه إنما هي للجنة والضعفاء، الذين لا يقدرّون على المدافعة عن أنفسهم؟ والجواب عن هذا: أنه ما من قوى إلا ويوشك أن يضطر في يوم من الأيام الى مفرع يلجأ إليه لدفع عدو أقوى منه، أو لهدنة يصطّح فى غضونها مع خصم يرى سلمه خيراً من حربته، وولائه أولى من عدائه، فبلاد كلها أخطار ومخاوف لا راحة فيها لأحد، وقد بين الله المنّة على العرب إذ جعل لهم مكاناً آمناً بقوله فى سورة العنكبوت (٢٩: ٦٧) أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم أفيالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون (٢).

أقول: فالمكان الذى اختار الله تعالى لعباده ليكون لهم مثابة أى ملجأ يلجأون إليه، ومأوى يأوون إليه ويلوذون به، ومرجعاً يثوبون إليه زواراً وغيرهم للشهدوا منافع لهم .. (٣)

، لا بد من أن يتوفر فيه عنصرا الحياة والاستقرار:

الأمن والرّزق .. ربّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات ...

وإلّا كيف يقصد الناس شيئاً، أو مكاناً يخيفهم ويكون سبباً فى هلاكهم؟

وكيف يثوبون إلى هكذا مكان فقد فيه الأمن والرّزق؟

وأين تلك المنافع التى يرجونها والمخاوف تحيطهم!؟..

١- ١ تفسير المنار ١: ٤٦٠.

٢- ٢ تفسير المنار ١: ٤٦١، وتفسير المراغى - أحمد مصطفى المراغى ١: ٢١٠-٢١١.

٣- ٣ سورة الحج: ٢٨.

ص: ١٨٧

يقول سعيد حوى فى تفسيره:

وقال كثيرون من أئمة التفسير: إن المثابة: المجمع، وعلى هذا القول يكون المعنى: أن الله عزَّوجلَّ أراد أن يكون هذا البيت ملتقىً للشعوب كلها، وللأجناس كلها، يجتمعون فيه فيتعارفون ويتفنون، قائمين بأمر الله، عابدين له، مؤّحين معظمين شعائره (١).

وأما بخصوص طلب الرزق فيجيب الرازى عن السؤال الثانى الذى يذكره فى تفسيره وهو: المطلوب من الله تعالى هو أن يجعل البلد آمناً كثير الخصب، وهذا ما يتعلق بمنافع الدنيا، فكيف يليق بالرسول المعظم طلبها؟

والجواب عنه من وجوه: أحدها: أن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها على الدين، كان ذلك من أعظم أركان الدين، فإذا كان البلد آمناً وحصل فيه الخصب: تفرغ أهله لطاعة الله تعالى، وإذا كان البلد على ضد ذلك كانوا على ضد ذلك.

وثانيها: أنه تعالى جعله مثابة للناس، والناس إنما يمكنهم الذهاب إليه إذا كانت الطرق آمنة والأقوات هناك رخيصة. وثالثها: لا يبعد أن يكون الأمن والخصب مميّاً يدعو الإنسان إلى الذهاب إلى تلك البلدة، فحينئذ يشاهد المشاعر المعظمة، والمواقف المكرمة، فيكون الأمن والخصب سبب اتصاله فى تلك الطاعة (٢).

وقد رأيت أن ابن العربى فى أحكام القرآن (٣) يذهب إلى أن المراد بالأمن هو أن من دخل الحرم كان آمناً من التشفى والانتقام، كما كانت العرب تفعله فيمن أناب إليه من تركها لحق يكون لها عليه، وهذا هو القول الثانى من الأقوال الأربعة التى يذكرها ابن العربى فى أحكام القرآن حول المراد من الأمن. حيث يقول بعد سرده لتلك الأقوال: والصحيح فيه القول الثانى، ثم واصل حديثه بقوله: وهذا إخبار من الله تعالى عن منته على عباده، حيث قرّر فى قلوب العرب تعظيم هذا البيت، وتأمين من لجأ إليه؛ إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حين أنزل به أهله وولده، فتوقع عليهم الاستطالة، فدعا أن يكون آمناً لهم فاستجيب دعاؤه.

١- ١ الأساس فى التفسير ١: ٢٦٧.

٢- ٢ التفسير الكبير ٣: ٥٩.

٣- ٣ أحكام القرآن ١: ٥٨-٥٩.

ص: ١٨٨

ثم ردّ الأقوال الثلاثة التي ذكرها فقال: وأمّا من قال: إنّه آمنٌ من عذاب الله تعالى، فإن الله تعالى تبه بجعله مثاباً للناس وأمناً على حُجّته على خلقه، والأمنُ في الآخرة لا تقام به حجّة.

وأما بخصوص عدم إقامة الحد على الجاني فيقول: وأمّا امتناع الحد فيه فقول ساقط؛ لأن الإسلام الذي هو الأصل، وبه اعتصم الحرم، لا يمنع من إقامة الحدود والقصاص، وأمر لا يقتضيه الأصل أحرى ألا يقتضيه الفرع.

أقول: وهذا مردود بأن الإسلام نفسه الذي أمر بالقصاص والحدود له أن يمنع من إقامتها في مكان معين كالحرم، أو يمنع عنها في زمن معين وهذا حقّ له، وهو ما يقتضيه الأصل دون الفرع ولهذا أمر بالتضييق على الجاني في المأكل وأن لا يبيع .. حتى يضطره للخروج، وعند ذاك يقام عليه الحدّ أما الذي يرتكب جنايته داخل الحرم فيقام الحد عليه داخله.

فالإسلام لم يجعله آمناً فقط بل ذكر أحكاماً لحفظ هذا الأمن، ورعايته حرمة .. ومن تلك الأحكام- وحتى لا يتمادى المجرم في إجرامه، والسارق في فعله وضلاله، وحتى لا يكون بمنأى عن العقوبة- ترى الشارع المقدّس أمر بالتضييق عليه حتى يخرج منه- بعد أن دخله ليستفيد من نعمة الأمان المتوفرة فيه، التي استغلها- ليقيم الحد عليه.

ثمّ واصل ابن العربي حديثه قائلاً: وأمّا الأمن عن القتل والقتال فقول لا يصح؛ لأنه قد كان فيه القتل والقتال بعد ذلك ويكون إلى يوم القيامة، وإنّما أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن التحليل للقتال، فلا جرم لم يكن فيها تحليل قبل ذلك اليوم، ولا يكون لعدم النبوة إلى يوم القيامة، وإنّما أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن امتناع تحليل القتال شرعاً لا عن منعه وجوده حساً.

أقول: إن حصر المراد من الأمن بأن من دخله كان آمناً من التشفى والانتقام أو بأن لا يُقام الحدّ فيه على الجاني أمر لا يتناسب مع آيات الأمن وتأكيداتها، وهو

ص: ١٨٩

تفريغ للأمن من محتواه الأوسع والأعظم والأمن للناس جميعاً. والصحيح أن الأمن يراد منه كل ما هو يدفع الخوف عن ساكني الحرم سواء أكان خوفاً من الانتقام أو خوفاً من القتل والقتال أو من الحد أو من السرقة أو من الجوع أو من أى شىء آخر يدعو لعدم الاستقرار والطمأنينة ويشير الرعب والهلع فى النفوس .. فحينما نقول هذه منطقتنا آمنة يفهم منها الناس أو العرف أنها بعيدة عما يثير الخوف والرعب ..

كما أن التواجد فى هذه المنطقة ورعايتها أحكامها وأداء مناسكها بإخلاص وصدق قد يكون ذلك نجاة للإنسان من عذاب الآخرة، وأماناً له من عقابها.

وموضعاً للتزود من أجر الآخرة وثوابها، فهى إذن يمكن أن تكون أيضاً أماناً من العذاب. منطقة هياها الله تعالى لعباده؛ ليستجلبوا فيها منافع الدنيا والآخرة وليتذوقوا فيها طعم الأمان والاستقرار وكذلك حلاوة الإيمان والطاعة، وبالتالي أجر ذلك فى الآخرة وهو أجر عظيم وثواب جليل.

فالحرم منطقة آمنة ومثابة للناس تتوفر بها كل مقومات الأمن والسلامة، ويشعر فيها الإنسان بكامل حريته وبنعمة الأمان والإيمان شريطة محافظته ورعايته لقوانينها وأحكامها، وإذا ما أساء إليها وانتهك حرمتها يعاقب بما يناسب مخالفته ومعصيته فى الدنيا وفى الآخرة. فهو أمن وأمان ومأمن ينبغى على الناس بل يجب عليهم حفظه ورعايته لتحصل آثاره، ويجنوا ثماره.

أما حصرها بهذا المراد (المنع من التشفى والانتقام أو من إقامة الحد فقط) يعنى وكأنها شرعت للقتل وللجناة دون غيرهم! وقال القرطبي (١) فى تفسير هذه الآية: وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً...:

وفيه ثلاث مسائل، ونحن نذكر منها مسألتين يخصان المقام.

الأولى: قوله تعالى: بلداً آمناً يعنى مكة، فدعا لذريته وغيرهم بالأمن

ص: ١٩٠

ورغد العيش .. وكانت مكّة وما يليها حين ذلك قفراً لا ماء ولا نبات، فبارك الله فيها .. وأنبت فيها أنواع الثمرات ..

الثانية: اختلف العلماء في مكّة هل صارت حرماً آمناً بسؤال إبراهيم أو كانت قبله كذلك؟ على قولين:

أحدهما- أنها لم تزل حرماً من الجبابرة المسلّطين، ومن الخسوف والزلازل، وسائر المثالات التي تحل بالبلاد، وجعل في النفوس المتمرّدة من تعظيمها والهيبة لها ما صار به أهلها متميزين بالأمن من غيرهم من أهل القرى، ولقد جعل فيها سبحانه من العلامة العظيمة على توحيده ما شوهد من أمر الصيد فيها، فيجتمع فيها الكلب والصيد فلا يهيج الكلب الصيد ولا ينفر منه، حتى إذا خرجا من الحرم عدا الكلب عليه وعاد إلى النفور والهرب.

وإنما سأل إبراهيم ربّه أن يجعلها آمناً من القحط والجذب والغارات، وأن يرزق أهله من الثمرات؛ لا على ما ظنه بعض الناس أنه المنع من سفك الدم في حق من لزمه القتل، فإن ذلك يبعد كونه مقصوداً لإبراهيم صلى الله عليه وآله حتى يقال: طلب من الله أن يكون في شرعه تحريم قتل من التجأ إلى الحرم؛ هذا بعيد جداً.

ثانيهما: أن مكّة كانت حلالاً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد، وأن بدعوته صارت حرماً آمناً، كما صارت المدينة بتحريم رسول الله صلى الله عليه وآله آمناً بعد أن كانت حلالاً.

وراح القرطبي يذكر أدلتهم بقوله:

احتج أهل المقالة الأولى بحديث ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكّة: «إن هذا البلد حرّمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة، وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لى إلّا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد (١) شوكة، ولا يُنفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يُختلى خلاها (٢). فقال العباس: يا

١- لا يعضد: لا يقطع.

٢- الخلى مقصور: النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً؛ واختلاؤه: قطعه.

ص: ١٩١

رسول الله إله الأذخر (١) فإنه لقينهم وليوتهم؛ فقال: لا، إله الأذخر». ونحوه حديث أبي شريح، أخرجهما مسلم وغيره. ثم قال أيضاً: وفي صحيح مسلم أيضاً عن عبد الله بن زيد بن عاصم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإنى حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإنى دعوت في صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة». قال ابن عطية: «ولا تعارض بين الحديثين؛ لأن الأول إخبار سابق علم الله فيها وقضائه، وكون الحرمه مدّه آدم وأوقات عمارة القطر بإيمان. والثاني إخبار بتجديد إبراهيم لحرمتها وإظهاره ذلك بعد الدثور. وكان القول الأول من النبي صلى الله عليه وآله ثاني يوم الفتح إخباراً بتعظيم حرمه مكة على المؤمنين بإسناد التحريم إلى الله تعالى، وذكر إبراهيم عند تحريم المدينة مثلاً لنفسه، ولا محالة أن تحريم المدينة هو أيضاً من قبل الله تعالى ومن نافذ قضائه وسابق علمه». ثم نقل القرطبي قولاً للطبري: كانت مكة حراماً فلم يتعبد الله الخلق بذلك حتى سأله إبراهيم فحرمها. أقول: إن من الأدلة على أنها كانت حراماً قبل دعاء إبراهيم هو الآية القرآنية ربنا إنى أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم لاحظ بيتك المحرم فهذا خير دليل قرآني على أن البيت محرم قبل دعاء إبراهيم. ويبدو أن هذه الحرمه ملازمه لأصل البيت منذ لحظته الأولى.

والدليل الآخر الروايات التي منها قول الرسول صلى الله عليه وآله: إن الله حرم مكة قبل خلق السموات والأرض .. وهنا نورد ما ذكره الشيخ الطبرسي في تفسيره فيقول في تفسير هذه الآية: إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً يعنى مكة أى اجعله ذا أمن كما يقال: بلد أهل أى ذو أهل. قيل: معناه يأمنون فيه كما يقال: ليل نائم أى ينام فيه. قال ابن

١-١ الإذخر بكسر الهمزة والخاء: حشيشه طيبة الرائحة يسقف بها البيوت فوق الخشب، ويحرق بدل الخشب والفحم. والقين: الحداد.

ص: ١٩٢

عباس: يريد حراماً محرماً لا يصاد طيره، ولا يقطع شجره، ولا يختلى خلاؤه، وإلى هذا المعنى يؤول ماروى عن الصادق عليه السلام من قوله: «من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن من سخط الله عزوجل، ومن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم». وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة: «إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدى، ولم تحل لى إلساعة من النهار» فهذا الخبر وأمثاله فى روايات أصحابنا تدل على أن الحرم كان آمناً قبل دعوة إبراهيم عليه السلام وإنما تأكدت حرمة بدعائه عليه السلام. وقيل: إنما صار حرماً بدعائه عليه السلام وقبل ذلك كسائر البلاد، واستدل عليه بقول النبي صلى الله عليه وآله: إن إبراهيم حرم مكة، وإنى حرمت المدينة. وقيل: كانت مكة حراماً قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذى صارت به حراماً بعد الدعوة: فالأول: بمنع الله إياها من الاصطدام والائتفاك (١) كما لحق ذلك غيرها من البلاد، وبما جعل ذلك فى النفوس من تعظيمها والهيبة لها.

والثانى: بالأمر بتعظيمه على ألسنة الرسل، فأجابه الله تعالى إلى ما سأل، وإنما سأل أن يجعلها آمنة من الجذب والقحط؛ لأنه أسكن أهله بوادٍ غير ذى زرع ولا- ضرع، ولم يسأله أمنها من الإئتفاك والخسف الذى كان حاصلًا لها، وقيل: إنه عليه السلام سأله الأمرين على أن يديمهما وإن كان أحدهما مستأنفاً والآخر قد كان قبل ... ثم سأل لهم الثمرات ليجمع لهم الأمن والخصب فيكونوا فى رغد من العيش (٢).

وقد تقدم قول السيد السبزواري بهذا الخصوص.

أمّا الفخر الرازى فقد ميز بين شيئين بين كون الآية جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً خيراً وهو ما يراه، وبين أنها أمر فى حالة صرفها عن ظاهرها، ويترتب على كل من القولين مراد، فيقول:

١- ١ ائتفاك البلد بأهله: انقلب.

٢- ٢ مجمع البيان، الطبرسى ١: ٣٨٧، التبيان للطوسى ١: ٣٥٦-٣٥٧.

ص: ١٩٣

لا شك في أن قوله جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً خبر. فتارة نتركه على ظاهره ونقول: إنه خبر. وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول: إنه أمر. أما القول الأول: فهو أن يكون المراد أنه تعالى جعل أهل الحرم آمنين من القحط والجذب، على ما قال: أو لم يروا أنا جعلنا حرمنا آمناً وقوله: أولم نمكن لهم حرمنا آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء، ولا- يمكن أن يراد منه الإخبار عن عدم وقوع القتل في الحرم؛ لأننا نشاهد أن القتل الحرام قد يقع فيه وأيضاً فالقتل المباح قد يوجد فيه، قال الله تعالى: ولا تقتلواهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم .. فأخبر عن وقوع القتل فيه.

القول الثاني: أن نحمله على الأمر على سبيل التأويل، والمعنى أن الله تعالى أمر الناس بأن يجعلوا ذلك الموضع آمناً من الغارة والقتل، فكان البيت محترماً بحكم الله تعالى، وكانت الجاهلية متمسكين بتحريمه، لا يهيجون على أحد التجأ إليه، وكانوا يسمون قريشاً: أهل الله تعظيماً له، ثم اعتبر فيه أمر الصيد، حتى أن الكلب ليهمم بالظبي خارج الحرم، فيفر الظبي منه، فيتبعه الكلب، فإذا دخل الظبي الحرم لم يتبعه الكلب. ورويت الأخبار في تحريم مكة، قال عليه الصلاة والسلام:

«إن الله حرم مكة وأنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت».

وقد رجح الفخر الرازي ما ذهب إليه الشافعي حيث قال: .. إن قوله تعالى (وأمناً) ليس فيه بيان أنه جعله آمناً فيماذا، فيمكن أن يكون آمناً من القحط، وأن يكون آمناً من نصب الحروب، وأن يكون آمناً من إقامة الحدود، وليس اللفظ من باب العموم حتى يحمل على الكل، بل حمله على الأمن من القحط والآفات أولى؛ لأننا على هذا التفسير لا نحتاج إلى حمل لفظ الخبر على معنى الأمر، وفي سائر الوجوه نحتاج إلى ذلك، فكان قول الشافعي أولى (١).

أقول: حصر مقصودها بالقحط والجذب سواء كان خبراً إذا ما حملناه على

ص: ١٩٤

ظاهره أم كان أمراً في حاله صرفه عن الظاهر فهو أمرٌ لا يتفق مع أهمية الأمن كما قلنا ومع الآية الأخرى التي تبين أن هناك شيئين قد منحتهما السماء لمكة وأهلها وليس شيئاً واحداً، قال تعالى: الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف منحتهما الإطعام والأمن وإن كان الثاني أعم من الأول حيث آمنهم من كل ما يكون سبباً للخوف سواء أكان جوعاً وحرماناً أم قتلًا وسلباً ونهباً. فالأمن في الآية مطلق وله مصاديق كثيرة كما نلاحظ ذلك في كلام الشيخ البلاغى فهو كلام نافع ومتين فقد عدّ أمن البيت من آياته، فعند تفسيره للآية وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً.. (وأمناً) يأمن من حل في حماه من الناس مع وحشية الأعراب وتعاديهم وعداوتهم، وعدّ البلاغى هذا من آيات البيت، حيث واصل حديثه عن أمن البيت في تفسيره للآية الأخرى وفيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً أى من دخل بلده وحرمه المعروف. والجملة من أقسام البدل التفصيلي من الآيات معطوفة على مقام إبراهيم أى وآمن من دخل فيه، ولعل «من» جىء بها لتغليب من يعقل على ما لا- يعقل، وفي الأمن آيات ظاهرة، فإن العرب على فوضويتهم ووحشيتهم وتهوّرهم فى العدوان والنخوة الجاهلية وغلظتهم فى ذلك، بحيث لا- يمنعهم من ذلك، ولا- يردعهم شريعته ولا- وازع روحى ولا سيطرة، ولا استقامه أخلاق، قد كانوا خاضعين لاحترام من دخل الحرم، منقادة نفوسهم لذلك فى القرون العديدة فى تلاطم أمواج الجاهلية فضلاً عن الإسلام. وليس ذلك من طبع التربة والهواء، ولا بنحو الجبر السالب للاختيار، بل لأن العناية الإلهية ألهمت الناس إكراماً للبيت الحرام أن يحترموا الحرم ومن فيه. نعم وقع التمرد من جيش يزيد والحجاج، ولعل الحكمة فى ذلك أن يعرف الناس أن هذا الاحترام ليس من قسم الطبيعة والإلجاء وإنما هو توفيق من الله شمل المشركين ولم يشمل من تمرد على الله وحاده وعاداه. وفى الصحيح أو الحسن كالصحيح عن الحلبي عن الصادق عليه السلام قال: سألته عن قول الله ومن دخله كان آمناً قال عليه السلام: إذا أحدث

ص: ١٩٥

العبد جنائيه في غير الحرم، ثم فرّ إلى الحرم لم ينبغ لأحد أن يأخذه من الحرم، ولكن يمنع من السوق ولا يبيع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلم، فإذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ، وإذا جنى في الحرم جنائيه أقيم عليه؛ لأنه لم يرع للحرم حرمةً، ونحوها معتبرة حفص ورواية على بن أبي حمزة عنه عليه السلام في السارق والجاني، ونحوها صحيحة معاوية بن عمار عنه عليه السلام في القاتل وفيها لا يأوى. وفي الدر المنثور أن جماعة أخرجوا من طرق سعيد وطاوس ومجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس في الآية مثل ذلك. ولا ينافي ذلك ما روى من طرق الفريقين من أنه أمن من سخط الله، أو في الآخرة، أو من النار، فإن ذلك يكون بياناً لبعض المصاديق المندرجة في عموم الأمن. وبمقتضى الروايات المتقدمة قال علماء الإمامية من دون خلاف يعرف، وأبو حنيفة وصاحبه.. واللؤلؤى وافقوا الإمامية في قصاص النفس واحتجوا بالآية. ويرد عليهم أن الأمن فيها مطلق، فإذا قدم على دليل القصاص قدم على سائر أدلة القصاص والحدود لذلك الوجه حتى لو حملنا الخبر في الآية على الأمر، مع أن الآية لا تحمل على ذلك ولا يتوقف عليه، بل الآية تدل على جعل الأمن بنحو وضعى عام، وجعله من الله من حيث الشريعة هو أظهر الأفراد وأولها، فإن الذهن لا يدعن بأن الله تبارك اسمه يمجّد البيت بأن من آياته أن الناس يحترمونه بإلهام وتوفيق منه، وهو جل شأنه لا يشرع احترامه في حقوقهم وحقوقه. نعم إن الجاني في الحرم قد هتك حرمة فيؤخذ بجنائيه في ذلك لقول الله تعالى: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه (١) والحرمان قصاص (٢)

... وأيضاً إن طعام العرب ممّا يصطادونه من أحناش الأرض وحيواناتها، ولهم في الصيد ولع وعادة، ومع ذلك يحترمون صيد الحرم ومكة، ومن المستفيض نقله أن الحيوانات لا يقتل بعضها بعضاً فيه، ولا تصطاد الكلاب والسباع فيه، ومن آيات البيت ما استفاض نقله من أن الطير لا يعلو عليه في طيرانه بل يحيد عنه يميناً وشمالاً (٣).

١-١ سورة البقرة ١٩١.

٢-٢ سورة البقرة ١٩٤.

٣-٣ آلاء الرحمن، البلاغى ١: ١٢٤ و ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦.

ص: ١٩٦

بعد هذا الاستعراض لأقوال هذه النخبة المختارة من المفسرين والعلماء في خصوص المراد من أمن الحرم وتأريخه وحكم الجاني .. أقول: إن أمن الحرم سواء أكان قبل دعاء إبراهيم عليه السلام وأنه تأكد بدعائه عليه السلام، أو أنه صار آمناً بعد استجابة الله تعالى لدعائه عليه السلام وسواء أكانت مصاديقه ضيقه أو كانت واسعة لكل ما يترك ضرراً أو يسبب خوفاً أو تلفاً للأموال والأنفس ومصادرة للحقوق والحريات، فإن المهم هو حل ما يرى من بعد أو تناقض بين نصوص الأمن وما تعرّض له هذا المكان من اعتداءات على ضوء ما يستظهر مما ذكرناه من آيات وروايات وأقوال وآراء .. فلماذا نقول: إن مثل ذلك التناقض الذي يبدو للبعض منا بين النصّ الوارد بالأمن والواقع الخارجي للبيت الذي اخترق أمنه مرّات عديدة كما حدّثنا بذلك التأريخ .. يعزى إلى عدم تفریقنا بين أمرين مهمين وردا في الخطاب القرآني:

الأول: يتعلّق بأشياء ثابتة لا تتغير ولا تبدل يُراد به أمور تكوينية ليس للإنسان القدرة في تغييرها أو تبديلها .. ومثل هذا في القرآن الكريم الكثير، منه:

وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه .. (١)

يخلف كلّ منهما الآخر فيتعاقبان.

ومثل: الشمس تجرى لمستقرّها لها .. حركة الشمس دائبة متواصلة منذ أن خلقها الله تعالى .. فهذه وغيرها أمور ثابتة ليس لنا قدرة على تغيير مسيرتها أو إيقافها.

الثاني: يتعلّق بأمور تشريعية من قبيل الأحكام العبادية والمعاملاتية .. من قبيل ما أحلّ الله فعله وما حرّم فعله، من قبيل أوامر الله تعالى ونواهيه، افعل ولا- تفعل، مع أنّه سبحانه وتعالى ترك لنا في ذلك الاختيار، فكما أمرني أن أفعل جعلني في الوقت نفسه قادراً أيضاً على أن لا أفعل، وحينما قال لي ناهياً، لا تفعل الشيء الفلاني، جعلني في الوقت نفسه قادراً على الفعل بدليل قوله لي لا تفعل .. ويبيّن لنا ثواب ذلك أو عقابه، ثواب إلتزامنا وطاعتنا، وعقاب تخلفنا وعصياننا أوامرهم ..

فآية: ومن دخله كان آمناً وآيات الأمن الأخرى تبين أن جعل البيت

ص: ١٩٧

آمناً ليس من قبيل تعاقب الليل والنهار، أو مسيرة الشمس، وليس من قبيل:

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (١)

حتى يقع التناقض، وإنما تدخل ضمن الأمر الثاني، ضمن التشريع، أى يكون تقديره ومن دخله فأمنوه؛ لأنه استجار بيت الله تعالى، ومن استجار به فعليكم أن تؤمنوه ولا تفزعوه فيه وتخيفوه، وإلا فإنكم استهنتم بيت الله تعالى ولم تحترموا جواره، وخالفتم ما أمركم به الله تعالى من توفير الأمن والاستقرار والأمان لداخل هذا البيت ولمن استجار به، وأن لا يؤذى ولا يضايق إلا بالقدر الذى يخرج من البيت إن كان مطلوباً للقضاء والعدل وكما سمحت به الشريعة؛ ليقيم عليه الحد، وإلا فإنه خلاف الأمن والأمان أن يبقى المجرم داخل البيت آمناً يعيش بعيداً عن العدل وإقامة الحد عليه، وبالتالي سيتحول البيت إلى ملاذ آمن للخونة والمجرمين ..

ويكون مشجعاً والعياذ بالله - لهم على التماذى بجرائمهم.

وقد وردت فى هذا الأمر الروايات التى منها صحيحة هشام بن الحكم عن أبى عبد الله عليه السلام فى الرجل يجنى فى غير الحرم ثم يلجأ إلى الحرم؟ قال: «لا يُقام عليه الحد، ولا يُطعم ولا يُسقى ولا يُعلم ولا يبايع، فإذا فعل به ذلك يوشك أن يخرج فيقيم عليه الحد، وإن جنى فى الحرم جناية أقيم عليه الحد فى الحرم، فإنه لم ير للحرم حرمة فقد قال صلى الله عليه وآله: «إن أعتى الناس على الله القاتل غير قاتله والقاتل فى الحرم» فالروايات تبين إمكان وقوع القتل فى الحرم وحكم الجناة الذين يلجأون إليه ..

إذن أمرنا الله تعالى بأن نرعى للبيت حرمة وأمنه، وهى طاعة نستحقّ عليها أجراً وثواباً، وإن خالفنا وعصينا وأسئنا لأمنه، فإن العقاب جزاؤنا إزاء ما اقترفناه، ويبقى كلام الله تعالى لا يمسه شىء وبعيداً عن التناقض، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال: من دخله كان آمناً ... أى من دخل بيتى فاجعلوه آمناً، فإذا لم نجعله آمناً فالمخالفة منّا والذنب ذنبنا، بدليل الآية الأخرى: ولا تقتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتلوهكم فيه فإن قتلوهكم فقتلوهكم كذلك

ص: ١٩٨

جزاء الكافرين، نهى المؤمنين عن قتال المشركين لعلمه بأن نفوس المؤمنين قد حدّتهم بقتال المشركين في مكان أمر الله تعالى بحفظ أمنه ورعاية أحكامه.

فنهاهم عن ذلك، عن قتالهم المشركين حتّى يبدأ المشركون بقتالهم فشرع لها حكماً آخر: فإن قاتلوكم فاقتلوهم .. وهذا أيضاً يدل على أن أمن البيت بعيد عن التكوين، قريب من التشريع، فإذا دخل البيت قوم، يصرون على المعصية، وعلى سفك الدماء داخل بيت الله، وعلى الإساءة له وعدم تقدير لحرمة - كالذى يرتكب جريمة داخله فإنه لم ير للحرم حرمة - وعلى ترويع الآمنين .. فإن بدأوا بأفعالهم القذرة هذه، فليس عليكم إلتقالهم وإلا إقامة القصاص عليهم. فلو كان الأمن تكوينياً لما نهانا الله تعالى عن القتال، ولما توعد من يعزم على الشر بعذاب مؤلم شديد .. ومن يرد فيه بالحد بظلم نذقه من عذاب أليم وكيف ينهانا عن أمر يخالف التكوين والثبات، أو يصح أن ينهانا عن تغيير مسيرة الشمس أو القمر بقوله: لا تغيروا مسيرة الشمس ولا القمر وهى أمور خارجة عن قدرتنا واختيارنا؟ ولو كان أمن الحرم يتعدى كونه تشريعاً إلى أنه أمر تكويني وأمن تكويني لما وقع مثل هذا القتال، ولما استطاع المجرمون من انتهاك حرمة وتقويض أمنه وكما فى الرواية ... وإذا جنى فى الحرم جناية أقيم عليه الحد فى الحرم لأنه لم يرع للحرم حرمة. فى رواية أخرى حول من يسرق ويلتجأ إلى الحرم: ... وإن أحدث فى الحرم ذلك الحدث أخذ فيه (١). فحفظ أمن الحرم ورعايته أمر شرعه الله تعالى وأوكله إلبنا، وخصص لمن يحفظه ويرعاه أجراً عظيماً يتناسب وعظمة البيت وأمنه، وأعد لمن خالف ذلك وانتهك حرمة وأمنه عذاباً عظيماً كما قلنا سابقاً؛ لأنه إثم عظيم وكفرٌ بالنعمة. فالثواب والعقاب يتناسبان مع عظمة البيت وقداسته وطهارته، وأن بمراعاة أحكام الشريعة المختصة بأمن البيت من قبل الناس يتحقق الأمن والأمان وهم يعيشون على ترابه، ويتفيئون ظلّاله.

١- ١ انظر زبدة البيان فى أحكام القرآن عن الكافى ٤: ٢٢٦ و ٢٢٧.

ص: ١٩٩

يقول سيد قطب: فنعمة الأمن نعمة ماسة بالإنسان، عظيمة الوقع في حسه، متعلقة بحرصه على نفسه، والسياق يذكرها هنا ليذكر بها سكان ذلك البلد، الذين يستطيون بالنعمة ولا يشكرونها، وقد استجاب الله دعاء إبراهيم فجعل البلد آمناً، ولكنهم هم سلكوا غير طريق إبراهيم، فكفروا بالنعمة .. (١) يقول السيد الطباطبائي في تفسير الميزان: فالحق أن قوله: ومن دخله كان آمناً مسوق لبيان حكم تشريعي لا خاصه تكويني، غير أن الظاهر أن تكون الجملة إخباريه يخبر بها عن تشريع سابق للأمن، كما ربما استفيد ذلك من دعوة إبراهيم المذكورة في سورتى إبراهيم والبقره، وقد كان هذا الحق محفوظاً للبيت قبل البعثه بين عرب الجاهليه ويتصل بزمن إبراهيم عليه السلام.

وأما كون المراد من حديث الأمن هو الإخبار بأن الفتن والحوادث العظام لا تقع ولا ينسحب ذيلها إلى الحرم فيدفعه وقوع ما وقع من الحروب والمقاتلات واختلال الأمن فيه؛ وخاصيه ما وقع منها قبل نزول هذه الآيه، وقوله تعالى: أو لم يروا أننا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم، لا يدل على مزيد من استقرار الأمن واستمراره في الحرم، وليس ذلك إلّالما يراه الناس من حرمة هذا البيت ووجوب تعظيمه الثابت في شريعه إبراهيم عليه السلام وينتهي بالآخرة إلى جعله سبحانه وتشريعه.

وراح السيد الطباطبائي يقول:

وكذا ما وقع في دعاء إبراهيم المحكى في قوله تعالى: ربّ اجعل هذا البلد آمناً وقوله: ربّ اجعل هذا بلداً آمناً، حيث سأل الأمن لبلد مكّه فأجابه الله بتشريع الأمن وسوق الناس سوقاً قليلاً إلى تسليم ذلك وقوله زماناً بعد زمان (٢).

وفي مكان آخر من تفسيره لسورة إبراهيم الآيه ٣٥ يقول السيد الطباطبائي:

والمراد بالأمن الذي سأله عليه السلام الأمن التشريعي دون التكويني .. فهو يسأل ربّه

١-١ في ظلال القرآن ٤: ٢١٠٩.

٢-٢ الميزان في تفسير القرآن ٣: ٣٩٠-٣٩١.

ص: ٢٠٠

أن يشرع لأرض مكة حكم الحرم والأمن، وهو- على خلاف ما ربّما يتوهم- من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده، فإننا لو تأملنا هذا الحكم الإلهي الذي شرعه إبراهيم عليه السلام بإذن ربه أعنى حكم الحرم والأمن وأمعنا فيما يعتقدونه الناس من تقدير هذا البيت العتيق وما أحاط به من حرم الله الآمن، وقد ركز ذلك في نفوسهم منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم وجدنا ما لا يحصى من الخيرات والبركات الدينية والدنيوية عائدة إليها وإلى سائر أهل الحق ممن يحنّ إليهم ويتعلق قلبه بهم، وقد ضبط التاريخ من ذلك شيئاً كثيراً وما لم يضبط أكثر، فجعل تعالى مكة بلداً آمناً وهي من النعم العظيمة التي أنعم الله بها على عباده (١).

أقول: وهذا الفهم للأمن مما تعارف عليه الناس قديماً وكان مركزاً في أذهانهم فقد حدّثنا المصادر التاريخية أن (أبو طاهر القرمطي) ضرب الحجر الأسود بفأس كانت بيده في محاولة منه لقلعه، فانكسر الحجر، ثم التفت إلى جموع الناس قائلاً لهم: أيها الجهلة! أنتم تقولون: إن كل من يرد البيت فهو آمن، وقد رأيت ما فعلت أنا إلى الآن، فتقدم إليه رجل من الحاضرين ممن كان قد هتأ نفسه للموت، فأمسك بلجام حصان أبو طاهر وأجابه قائلاً: إن معنى ذلك ليس كما قلت بل إن المعنى هو أن من يدخل هذا البيت فعليكم منحه الأمان على نفسه وماله وعرضه حتى يخرج منه، فامتعض القرمطي وتحرك بحصانه دون أن ينبس ببنت شفه (٢).

هذا وقد اعترض بعض على نظرية الأمن للسيد الطباطبائي قائلاً: إن الاقتطاف أمر تكويني ولذا فإن الأمن مقابل ذلك يعدّ أمناً تكوينياً .. وجاء بأدلته التي لا أظنها تنهض لتأييد مدعاه مؤجلاً مناقشتها إلى كتابنا حول نظرية أمن الحرم إن شاء الله تعالى. وإن تعجب فعجب قول القائل: .. ولا بدّ من الالتفات إلى هذه النقطة، وهي أن استجابة الله لدعاء إبراهيم بخصوص أمن مكة له جهتان: فمن جهة منحها أمناً

١-١ تفسير الميزان ١٢: ٦٩.

٢-٢ المنتظم لابن الجوزي ٦: ٤٣.

ص: ٢٠١

تكوينياً، ولذلك لم تشهد في تاريخها إلا النزر القليل من إخلال الأمن، ومن جهة ثانية منحها الأمن التشريعي ... (١) أقول: النزر لغه القليل التافه، فهل ما مرّ على هذه الأرض المقدسه من سلب ونهب وتخريب وسفك للدماء وإزهاق للأرواح البريئه .. كل هذا من القليل التافه، وبالتالي لا يقدر ولا يخل بالأمن التكويني؟! والرازي في جواب عن سؤال يفترضه:

أليس أن الحجاج حارب ابن الزبير وخرّب الكعبه وقصد أهلها بكل سوء وتم له ذلك؟
لم يكن مقصوده تخريب الكعبه لذاتها، بل كان مقصوده شيئاً آخر (٢).

فالأول يريد أن يبرر وجود الأمن التكويني فجعل ما أصاب الكعبه من النزر القليل! والثاني يريد أن يبرر عدم نزول العذاب على الحجاج وجنده وعدم إرسال الطير الأبايل بأن الحجاج لم يكن قاصداً الكعبه بسوء بل كان يقصد رأس ابن الزبير! الهوامش:

جعفر الطيار

١-١ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٧: ٤٦١.

٢-٢ التفسير الكبير ٤: ٥٩.

ص: ٢٠٤

جعفر الطيار

حسن محمد

لست زاعماً أن الصحابة كلهم فى الفضل سواء، أو يكون هذا وقد فضل الله الرسل - وهم أكرم الخلق وأقربهم إليه تعالى - بعضهم على بعض فقال:

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (١)

والتفضيل حالة توافق طبيعة الأشياء؟

فإن كان هذا الزعم ليس من حقى بل ليس من حق الجميع - كما هو الحق - إلا أنى استطيع وبقوة أن أقول: إن الصحابة - بعضهم - صناعة خاصة أعدت لهم السماء وتفضلت بهم علينا جميعاً؛ ليصوغوا لنا تاريخاً مليئاً بالخير، وليصنعوا حاضراً كله عطاء، وبينوا مستقبلاً زاهراً بالأمل مشرقاً بالحب، بعيداً عن العداوة والبغضاء فكانوا جيلاً لا نظير له فيما مضى من تاريخ الرسالات.

فقد نجح هؤلاء وهم النخبة الطاهرة من الأصحاب فى تبليغ أعظم رسالة سماوية استطاعت أن تغير أمة جاهلية بل أمماً أخرى فغيرت بذلك وجه التاريخ، فاستحقوا بذلك الفوز فى الدنيا والآخرة.

كانوا من ورثة جنه النعيم، يتبوأون منها غرفاً، وينعمون بها، ويمرحون فى

ص: ٢٠٥

بحجوة منها.

ولا غرابة في ذلك بعد أن أحبوا الله ورسوله، وطلبوا رضوانه تعالى وملئوا شوقاً إلى لقائه، فقد كانوا يطلبون الموت ويتحاثون عليه. كم كانت تربيتك يا رسول الله لهذه الزمرة الطيبة مجدية نافعة خالدة! وكم كان حبهم لك عظيماً صادقاً شهد بها أبو سفيان وهو يعيش العدا كلة لرسول الله ولدينه ولمن معه: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كما يحب أصحاب محمد محمداً! وجعفر من هذه النخبة الطيبة الصادقة. كان صحابياً متميزاً في دينه وولائه وفي فصاحته وبيانه وحلمه، كما كان مثلاً رائعاً للشجاعة والفداء، أبا إلا أن تكون ساحات الوغى أرضاً له، وإلا لظلال السيوف سقفاً له حتى كان شهيداً، ولكن متى؟! بعد أن قطعت يداه وبعد أن تحمل جسمه وضمم بدنه أكثر من سبعين طعنة رمح وضربة سيف ورمية سهم. نسبه ولقبه وكناه

كان جعفر من سلالة تلك العائلة الكريمة في خصالها، الرفيعة في شرفها، المتميزة في سيادتها وزعامتها ورجالها، فهم سادة قريش بل سادة الدنيا على الإطلاق، هذه العشيرة التي ضمت أكرم خلق الله محمداً وآله الطاهرين.. فأبوه: شيبه الحمد، شيبه بنى هاشم أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي... واسمه عبد مناف، وقد كنى بأكبر أولاده (طالب)، وقد كان الكافل الحامي المدافع عن النبي صلى الله عليه وآله، الذي أحاط رسول الله صلى الله عليه وآله بعناية عظيمة قلّ مثيلها، خاصة إذا نظرنا إلى مكانته في مجتمع قريش وبين زعمائها وما يسببه ذلك الدفاع من إحراج أممهم. وكانت هذه الحماية من الأهمية لرسول الله ولدعوته إلى الدرجة التي لم تطمع

ص: ٢٠٦

قريش في رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت كاعه عنه حتى توفي عمه أبو طالب، ولم يهاجر إلى المدينة إلا بعد وفاته رضوان الله عليه.

وأمه: كانت أم جعفر الطيار من تلك النساء القلة الطاهرات اللاتي امتازت حياتهن بمواقف جليله في مسيره الأنبياء. وهي إحدى تلك النساء اللواتي نلن ذكراً جميلاً على لسان خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله. تقول الروايه: لما ماتت فاطمه بنت أسد أم عليّ - وكانت قد أوصت لرسول الله صلى الله عليه وآله وقبل وصيتها- ألبسها النبي صلى الله عليه وآله قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك يا رسول الله صنعت هذا!

فقال: «إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُلل الجنه، واضطجعت معها ليُهون عليها». وفي دعاء خاص لها قال: اللهم اغفر لأمي فاطمه بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها. وخرج من قبرها وعيناه تذرّفان. لقد كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الأم بكل ما تعنيه هذه الكلمه من معنى، فقد ربه في حجرها وكان شاكراً لبرها، وكان يسميها ويناديها بأمي، وقد كانت تفضله على جميع أولادها في البر والرعايه، تقول بعض الروايات: كان أولادها يصبحون شعثاً رمصاً ويصبح رسول الله صلى الله عليه وآله كحياً دهنياً.

أمّا إيمانها فهي بدرجه عظيمه، وقد سبقت إلى الإسلام، وكانت من المهاجرات الأول إلى المدينة، وهي بدرية. فذاك أبوه وهذه أمه فاطمه بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أول هاشميه تزوّجت من هاشمي، فهو وليد هذه الأسرة المباركه.

أمّا لقبه: فكان يلقب بجعفر الطيار كما لقبه رسول الله ب (ذى الجناحين).

أمّا كنيته: فقد كناه رسول الله صلى الله عليه وآله ب (أبي المساكين) وله كنيه أخرى (أبو عبد الله).

ص: ٢٠٧

إخوته

كان جعفر الثالث في إخوته، فقد كان طالب أكبر ولد أبي طالب سناً ثم يليه عقيل ثم يلي عقيلاً جعفر ويلى جعفرأ علي عليه السلام، والشىء الملفت للنظر إن لم نقل للعجب أن كل واحد منهم أكبر من صاحبه بعشر سنين، وكان علي أصغرهم سناً (١).

زوجته وأولاده

بنى جعفر بأسماء بنت عميس الخثعمية المرأة الصالحة، فولدت له ثلاثة أولاد وهم محمد وعبدالله وعوف، وقد ولدوا جميعاً في الحبشة في الفترة التي أمضاها جعفر وزوجته مهاجرين هناك في كنف ملك الحبشة المعروف بالعدل إسلامه

كان جعفر الثاني من الرجال الذين أعلنوا إسلامهم، وهناك رواية تقول: إنه الثالث بعد علي عليه السلام وزيد بن حارثة (٢). كما وردت في كيفية إسلامه روايتان تصرحان بأنه ممن أسلم باكراً، والدعوة لا تزال في مهدها، وكان إسلامه بأمر من أبيه أبي طالب، حيث كان جعفر برفقة أبيه حينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يؤدي صلاته وإلى جنبه ابن عمه علي بن أبي طالب، فلما رأهما يصليان التفت إلى جعفر قائلاً: انزل يا جعفر فصل جناح ابن عمك، أو أى بنى، صل جناح ابن عمك. وقد وفق جعفر لأن ينال ثواب أول جماعة عقدت في الإسلام، وكانت تأريخاً لبداية إسلامه.

وفي هذا عشرت علي روايتين تبيينان إسلام جعفر، ودفعا أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وعمما هو عليه من أمر الدعوة الجديدة. كانت الرواية الأولى عن علي عليه السلام يقول فيها:

١-١ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧، وطبقات ابن سعد ١: ٧٧.

٢-٢ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٦: ٦٦.

ص: ٢٠٨

بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وآله في حَيْر (١) لأبى طالب أصلى، أشرف علينا أبو طالب، فنظر إليه النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا عم ألا تنزل فتصلى معنا؟ فقال: يا بن أخى، إنى لأعلم أنك على الحق،... لكن انزل يا جعفر فصل جناح ابن عمك.

قال: فنزل فضلى عن يسارى. فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله صلاته، التفت إلى جعفر فقال: أما إن الله تعالى وقد وصلك بجناحين تطير بهما فى الجنة، كما وصلت ابن عمك (٢).

وفى رواية ثانية يذكرها أيضاً صاحب مختصر تاريخ دمشق عن صلصال بن الدهمى يقول فيها:.. فكان الذى بينهما- بين أبى الدهمى وأبى طالب- فى الجاهلية عظيم (عظيماً)، فكان أبى يعنى إلى مكة لأنصر النبي صلى الله عليه وآله مع أبى طالب قبل إسلامى، فكننت أقيم الليالى عند أبى طالب لحراسة النبي صلى الله عليه وآله من قومه، فإنى يوم من الأيام جالس بالقرب من منزل أبى طالب فى الظهرية وشدة الحر، إذ خرج أبو طالب شبيهاً بالملهوف فقال لى: يا أبا العصيفر، هل رأيت هذين الغلامين فقد ارتبت بإبطائهما على؟

فقلت: ما حسست لهما خبراً منذ جلست، فقال: انهض بنا فنهضت، وإذا جعفر بن أبى طالب يتلو أبا طالب، قال: فاقتصنا الأثر حتى خرج بنا من أبيات مكة، قال: ثم علونا جبلاً من جبالها، فأشرفنا منه على أكمة دون ذلك التل، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وعلياً قائماً عن يمينه، ورأيتهما يركعان ويسجدان قبل أن أعرف الركوع والسجود، ثم انتصبا قائمين، فقال أبو طالب لجعفر: أى بنى، صل جناح ابن عمك، قال: فمضى جعفر مسرعاً حتى وقف بجنب على، فلما أحس به النبي صلى الله عليه وآله أخرهما وتقدم، وأقمنا موضعنا حتى انقضى ما كانوا فيه من صلاتهم، ثم التفت إلينا النبي صلى الله عليه وآله فرآنا بالموضع الذى كنا فيه، فنهض ونهضنا معه مقبلين، فرأينا السرور يتردد فى وجه أبى طالب، ثم انبعث يقول:

إنَّ علياً وجعفرأ ثقتى عندَّ مهمِّ الأمورِ والكربِ

١- الحَيْرُ: بالفتح شبه الحظيرة أو الحمى. انظر اللسان: حَيْر.

٢- ٢ مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٦.

ص: ٢٠٩

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما وابن أمي من بينهم وأبي

والله لا أخذل النبي ولا يخذله من بيني ذو حسب قال: فلما آمنت به ودخلت في الإسلام، سألت النبي صلى الله عليه وآله عن تيك الصلاة، فقال: نعم، يا صلصال هي أول جماعة كانت في الإسلام (١).

صفاته:

لقد اجتمعت في جعفر خصال كثيرة قلما تجتمع في غيره، فقد اتفقت مصادر ترجمته عليها، إضافة إلى شبابه وحيوته وفتوته وشجاعته كان حليماً بارزاً متواضعاً، وكان يخشى الله خشية عظيمة، حتى إنه قبل إسلامه كانت نفسه وكأنها قد جبلت على كره المحرمات.

يقول ابن عباس في روايته له: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر بن أبي طالب: إن الله تعالى أوحى إلي أنه شكرك على أربع خصال، كنت عليهن مقيماً قبل أن يعثني الله، فما هن؟

قال له جعفر: بأبي أنت وأمي، لولا أن الله أنبأك بهن ما أنبأتك عن نفسى كراهية التركية: إني كرهت عبادة الأوثان؛ لأنى رأيتها لا تضر ولا تنفع. وكرهت الزنا... وكرهت شرب الخمر؛ لأنى رأيتها منقصة للعقل، وكنت إلى أن أزيد فى عقلى أحب إلى من أن انقصه. وكرهت الكذب؛ لأنى رأيت دناءة (٢).

ما أعظمك يا جعفر فى الجاهلية كما ما أعظمك فى إسلامك!

كان جعفر جواداً كريماً سخياً سمحاً، فقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: أسمع أمتى جعفر.

ولطيب نفسه ومراعاته لضعفاء الناس ومساكينهم كان رسول الله يكنيه أبا المساكين.

فعن أبى هريرة قال: كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم

١-١ المصدر نفسه.

٢-٢ المصدر نفسه ٦: ٦٧.

ص: ٢١٠

ويحدثهم ويحدثونه (١).

وعنه أيضاً: كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، وإن كان ليخرج إلينا العكّة فنشقها فنلحق ما فيها.

الهجرة:

إن من أعظم ما ناله المسلمون الأوائل هو وسام الهجرة، هذه التي من الله تعالى بها عليهم، لتكون نقطة انطلاقه كبرى وانفتاح على العالم الآخر بعيداً عن الحجاز وعبث الظالمين فيه، وأذاهم وتعذيبهم للصفوة المؤمنة. فالدعوة في بدايتها وقد حفت بالمخاطر، والمؤمنون بها قلّة قليلة ضعيفة لا حول لها ولا قوة.. ترقبها عيون قريش هنا وهناك، تترصد بهم ليسوموهم سوء العذاب لا لذنب اقترفوه أو جريمة تلبسوا بها سوى أنهم فتية آمنوا برّبهم وزدناهم هدى (٢)

. وهجروا دين آبائهم وكبرائهم...

تقول رواية أم سلمة:

لما ضاقت على النبي صلى الله عليه وآله مكة، وأوذى أصحابه، وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في منعة من قومه ومن عمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه.

فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمنا على ديننا، ولم نخش ظملاً.

فلما رأّت قريش أننا قد أصبنا داراً وأمناً، اجتمعوا على أن يبعثوا إليه فينا؛ ليخرجنا من بلاده، وليردنا عليهم. فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقتة، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا بعثوا له هدية على

١- ١ رواه البخارى ٧: ٧٧، حلية الأولياء ١: ١١٧.

٢- ٢ سورة الكهف: ١٣.

ص: ٢١١

حَدَّة، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعنا أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا.

أقول: كانت تخشى قريش أن ينطلق الحق من لسانهم ووقع الذي كانت تخشاه.

فقدما علينا، فلم يبق بطريق من بطارقتة إلّا قدّموا إليه هديته، فكلموه، فقالوا له: إنّنا قدّمنا على هذا الملك في سفهاءنا، فارقوا أقوامهم في دينهم، ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل، ثم قدّموا إلى النجاشي هداياه، فكان من أحب ما يهدى إليه من مكّة الأدم. فلما أدخلوا عليه هداياه، فقالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم، آبائهم وأعمامهم وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم (١) عيناً.

فقال بطارقتة: صدقوا أيها الملك، لو رددتهم عليهم وكانوا هم أعلى بهم، فإنهم لم يدخلوا في دينك فيمنعهم أم لك. فغضب، ثم قال: لا، لعمر الله، لا أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادى، واختاروا جوارى على جوار غيرى، فإن كانوا كما تقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم، ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عيناً فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم - ولم يكن شىء أبغض إلى عمرو بن العاص وعبدة الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم - فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقال: ماذا تقولون؟

فقالوا: ماذا نقول؟! نقول والله ما نعرف وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا صلى الله عليه وآله كائن من ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبى طالب، فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذى أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم، ولم تدخلوا فى يهودية ولا

١- .. وأعلى بهم عيناً أى أبصر بهم، وأعلم بحالهم. اللسان: علا.

ص: ٢١٢

نصرانيه، فما هذا الدين؟

فراح جعفر رضوان الله عليه يبين له حيث قال:

.. أيها الملك كنا قوماً على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسئ الجوار، ونستحل المحارم.. وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقته وأمانته، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي لله تعالى، ونصوم له، ولا نعبد غيره، فقال:

هل معك شيء مما جاء به؟ وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله، فقال له جعفر: نعم، فقال: هلّم فاتل علي ما جاء به. فقرأ عليه صدرًا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم. ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى؛ انطلقوا راشدين، لا، والله لا أردهم عليهم، ولا أنعمكم عيناً، فخرجنا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبدالله بن أبي ربيعة، فقال عمرو بن العاص: والله لأثنيه غداً بما أستأصل به خضراءهم (١). فلاخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى بن مريم عبد.

فقال له عبدالله بن أبي ربيعة: لا تفعل.. فإنهم إن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: والله لأفعلن، فلما كان الغد دخل عليه، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها. فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟

فقالوا: نقول والله الذي قاله الله تعالى، والذي أمرنا به نبينا صلى الله عليه وآله أن نقول فيه: فدخلوا عليه وعنده بطارقه، فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

وهنا أيضاً كان جعفر رضوان الله عليه هو المحاور فقال له: نقول: هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فدل النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ عوداً بين أصبعيه، فقال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا

١- ١ خضراءهم: شجرتهم التي منها تفرعوا.

ص: ٢١٣

العويد (١)، فتناخرت بطارقتة، فقال: وإن تناخرتم واللّه، اذهبوا، فأنتم شيوم في أرضى - والشيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ثم من سبكم غرم، فأنا ما أحب أن لى دبراً وأنى آذيت رجلاً منكم - والدبر بلسانهم: الذهب - فواللّه ما أخذ اللّه تعالى منى الرشوة حين ردّ على ملكى فأخذ الرشوة منه، ولا أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه، ردوا عليهما هدايها، فلا حاجة إلى بها، وأخرجا من بلادى. فرجعا مقبوخين مردوداً عليهما ما جاء به. فأقمنا مع خير جار، وفى خير دار. فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه، فواللّه ما علمنا حزناً قط كان أشدّ منه فرقاً من أن يظهر ذلك الملك عليه، فيأتى ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرفه، فجعلنا ندعو اللّه ونستنصره للنجاشى، فخرج إليه سائراً... فهزم اللّه ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشى عليه... فواللّه ما علمنا فرحنا بشىء قط فرحنا بظهور النجاشى، ثم أقمنا عنده حتى خرج منا راجعاً إلى مكة، وأقام من أقم... (٢) وفى رواية ثانية ذكرها أبو نعيم فى حليته عن برده عن أبيه:

قال: لما أمرنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن ننطلق مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض النجاشى، فبلغ ذلك قريشاً، فبعثوا عمرو بن العاص، وعماراً بن الوليد، فجمعوا للنجاشى هديء، فقدمنا وقدمنا على النجاشى، فأتيه بالهدية فقبلها، وسجدا له. ثم قال له عمرو بن العاص: إن أناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم فى أرضك.

قال لهم النجاشى: فى أرضى؟ قالوا: نعم، فبعث إلينا.

فقال لنا جعفر: لا يتكلم منكم أحد، أنا خطيبكم اليوم، فانتبهينا إلى النجاشى وهو جالس فى مجلس وعمرو بن العاص عن يمينه، وعماراً عن يساره، والقسيسون والرهبان جلوس سماطين سماطين، وقد قال لهم عمرو وعماراً: إنهم لا يسجدون لك، فلما انتبهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان:

١-١ العويد: أى مقدار هذا العود الصغير.

٢-٢ مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٣، ٦٤، ٦٥.

ص: ٢١٤

اسجدوا للملك. فقال جعفر: لا نسجد إلا لله عز وجل.

قال له النجاشي: وما ذاك؟ قال: إن الله تعالى بعث فينا رسولا وهو الرسول الذي بشر به عيسى عليه السلام.

قال: من بعدى اسمه أحمد. فأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئا، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر.

فأعجب النجاشي قوله. فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، قال: أصلح الله الملك إنهم يخالفونك في ابن مريم.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبكم في ابن مريم؟

قال: يقول فيه قول الله عز وجل: هو روح الله وكلمته، أخرجه من البتول العذراء التي لم يقربها بشر، ولم يفترضها ولد.

فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه. ثم

قال: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده.

وأنا أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى عليه السلام ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعله. امكثوا في أرضي ما

شئتم. وأمر لنا بطعام وكسوة وقال: ردوا على هذين هديتهما (١).

وفي حلية الأولياء أيضاً كان جواب جعفر: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع

الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف. وكنا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته

وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث،

وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف

المحصنة. وأمرنا أن نعبد الله

ص: ٢١٥

وحده لا نشرك به شيئاً. وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قال:- فعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله عزوجل، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عزوجل، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، فاخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك...

ولما أرسلت قريش مبعوثيها إلى الحبشة، يقول ابن هشام في سيرته (١):

فقال (ابو طالب) حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه، أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفرٌ وعمرو وأعداء العدو الأقاربُ

وهل نالت أفعالُ النجاشي جعفرًا وأصحابه أو عاق ذلك شاغب

تعلم، أبيت اللعن، أنك ماجدٌ كريمٌ فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بأن الله زادك بسطةً وأسبابَ خيرٍ كلها بك لازب

وأنتك فيضٌ ذو سجالٍ غزيرٍ ينال الأعدى نفعها والأقارب أما لماذا جعفر؟!

لقد كان جعفر ومعه زوجته أسماء الوحيد من بنى هاشم ممن قد خرج إلى أرض الحبشة مهاجراً، والذي أعتقده أن جعفر لم يكن من الذين اضطهدوا من قبل قريش، ولم يتعرض إلى ما تعرض له بقيه المسلمين لما يتمتع به من منعة عشيرته ومكانتها- وإن كان هناك غيره لم تستطع قريش من اضطهاده- إلا أن لجعفر قدرات ذاتية اكتشفها رسول الله صلى الله عليه وآله فيه ستجعل له دوراً رسالياً مهماً في الحبشة. وإذا ما تعرض المهاجرون- الذين كان عددهم أكثر من ٨٠ مهاجراً- إلى

ص: ٢١٦

مواقف خطيرة وفي الذب والدفاع عنهم وعن الدين الجديد. وهذا ما حدث بالفعل، فقد نقلنا تلك الروايات لنلقى الضوء كاملاً على دور هذا الرجل في إقناع النجاشي وبطارقته بمظلومية المهاجرين وليس هذا فقط بل في عرض الإسلام بشكل واضح وجلي، مبيناً خصائص النبي صلى الله عليه وآله ودوره في دعوة قومه إلى هذا الدين ونبذ عبادة الأصنام.. وكل هذا يحتاج إلى شجاعه وجرأة وقدره على البيان والمحاورة، وهذه الصفات جمعت في جعفر بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، فجعلت رسول الله صلى الله عليه وآله يأذن له بالهجرة بل ويأذن له بالبقاء طيلة خمس عشرة سنة تقريباً فقد هاجر سنة خمس من مبعث النبي صلى الله عليه وآله وقدم إلى المدينة سنة سبع من الهجرة، فنال بذلك وسام الهجرتين.

لقد كان بحق رجل الإسلام الأول ورجل الحوار الأول في تلك البلاد، فمن محاوراته الجميلة التي أخرجت عمرو وصاحبه أمام النجاشي.. ما ذكره صاحب تفسير مجمع البيان:.. قال جعفر: يا أيها الملك سلهم أنحن عبيد لهم؟ فقال: لا، بل أحرار. قال: فسلمهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ قال: لا، ما لنا عليكم ديون.

قال: فلکم فی أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟ قال عمرو: لا. قال: فما تريدون منا؟

آذيتونا فخرجنا من دياركم. ولم يكتف جعفر بهذا بل عقبه بذكر النبي وأحكام الإسلام.

أيها الملك بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة والعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، ونهاننا عن الفحشاء والمنكر والبغى... (١) فرسول الله صلى الله عليه وآله لم يأذن لهم بالهجرة للخلاص بأنفسهم وأهليهم فحسب، وإن كان هذا هدفاً سليماً طالما لم يستطع الدفاع عنهم من ظلم قريش وتعسفها وهو بعد في أول أمره ولم يؤمر بالجهاد، إلا أنه كان يريد منهم أيضاً أن يحملوا هذه الرسالة التي جاءت إلى الناس كافة، وأن يكونوا له دعاءً في غير مكة وبلاد

ص: ٢١٧

الجزيرة العربية، وأن يزيحوا العوائق التي قد تستفيد منها قريش مستقبلاً.. أراد رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر وللمهاجرين أن يكونوا دعاء رسالة ورجال حضارة وبناء تأريخ ومستقبل زاهر بالإسلام ومبادئه. وأن يستوعبوا الزمن كله والمكان كله والناس كلهم، وهذا ما حدث فعند عودة جعفر إلى المدينة كان معهم سبعون رجلاً منهم اثنان وستون من بلاد الحبشة وثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله سورة يس إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأنزل الله فيهم.. وإذا سمعوا ما أنزل الله إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فآتينا مع الشاهدين.. (١)

أما لماذا الحبشة؟!

لابد لمن يريد أن ينجو من الاضطهاد والعذاب أن يختار مكاناً آمناً يلوذ به وإلا فسيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. لهذا فقد تم اختيار هذه البلاد وكما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله حينما أمر المسلمين بالهجرة: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه (٢).

إذن فهي بلاد صدق وفيها حاكم عادل فتجد الدعوة ويجد المهاجرون ساحة بلا موانع يستطيعون التحرك عليها بحرية وأمان. كما أنها أرض كانت متجراً لقريش، يقول الطبري:.. وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغاً من الرزق، وأمناً ومتجراً حسناً (٣).

وكانت - أيضاً بلاداً مفتوحة على كثير من البلدان، فهي بالتالي تشكل ساحة مناسبة لنشر الدعوة الجديدة وبثها في تلك البلاد وفي غيرها، كما تشكل ساحة ضغط على قريش وتجارها..

١- ١ سورة المائدة: ٨٢-٨٤، انظر مجمع البيان ٣: ٣٦١.

٢- ٢ سيرة ابن هشام ١٢: ٣٢١.

٣- ٣ تاريخ الطبري ١: ٥٤٦، رفاغاً: سعة.

ص: ٢١٨

وهذا ما حصل بالفعل، فقد وصل تأثير المهاجرين - بدءاً بالملك الذي أعلن موقفه من الإسلام ومن المهاجرين وحميتهم بقوله: أنا أشهد أنه رسول الله... إلى غير الملك من أشرف القوم وأبناء البلاد الآخرين.. وكما يذكر الطبري: ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرفهم (١).

شجاعته واستشهاده:

بعد عودته رضوان الله عليه إلى المدينة من الحبشة - كان رسول الله صلى الله عليه وآله بخير سنة ٥٧هـ - بعد أن قضى فيها سنين عدداً مهاجراً، وكان بصحبته زوجته أسماء وأولاده الثلاثة محمد وعبدالله وعوف، تقول الرواية المنقولة عن الشعبي... قال: لما فتح النبي صلى الله عليه وآله خيبر قدم جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه من الحبشة، فالتزمه رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعل يقبل بين عينيه ويقول: «ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً بقدم جعفر أم بفتح خيبر؟!» (٢) وقد آخى بينه وبين معاذ بن جبل. فأقام بالمدينة شهراً ثم جعله رسول الله صلى الله عليه وآله أحد الأمراء الثلاثة على جيش غزوة مؤتة بناحية الكرك بالبلقاء. فتوجه إلى هناك حيث خاض معركة لم يخض المسلمون معركة مثلها، كما وصفت، وكان أعداء المسلمين من المشركين الروم قد أدرعوا بالعتاد والأعداء ما يملأ السهل والجبل، وما لا طاقة للعرب ولا للمسلمين به، وكان جعفر أحد قواد الجيش الثلاثة الذين عينهم رسول الله صلى الله عليه وآله فعن عروة بن الزبير: أنه بعث ذلك البعث (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الجيش إلى مؤتة) في جمادى..

لسنة ثمان من الهجرة، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فبعد الله بن رواحة على الناس (٣).

وقد ذكر الدكتور الجميلي صاحب كتاب صحابة النبي صلى الله عليه وآله وصفاً للمعركة ولاستشهاد جعفر: واشتبت الأسنان، واشتجر الوغى، وعلا رهج الحرب،

١- ١ تاريخ الطبري ١: ٥٤٦.

٢- ٢ انظر مقاتل الطالبين: ٣٠، عن ابن سعد ٤: ٢٣ وابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧، والبداية والنهاية ٤: ٢٥٦، والاستيعاب ١: ٨١.

٣- ٣ انظر مقاتل الطالبين: ٣٠، عن ابن سعد ٢: ٩٣، و ٤: ٢٢، وابن هشام ٤: ١٥، والبداية والنهاية ١: ٢٤١، والسيرة الحلبية ٣: ٧٧.

ص: ٢١٩

وأدرك الروم أنهم إزاء فارس لا- ضريب له، لا تتلم له ضربه، ولا يغل له سنان، ولا تنبو له ضريبة، فاعتوره الأعداء من كل صوب وجهه، وهو يرميهم ذات اليمين وذات الشمال، يستأصل شأفتهم، ويبيد خضراءهم، وهو ممسك بالراية بيده اليمنى، فقطعها له، فالتقطها بيده اليسرى، ولا يزال صامداً متماسكاً، إلّا أن الروم ظلوا يتدافعون إليه، واحتوشوه حتى قطعت يده اليسرى، فاحتضن الراية بعصديه شهامةً حتى الموت، واندفعت الأمور لنهاياتها الحتمية، فقتل جعفر رضى الله عنه وسقط شهيداً مضرراً بدمائه مشخناً بجراحه، مزماً في ثيابه، مدثراً ببطولة لا مثل لها.

يقول عبد الله بن عمر: كنت مع جعفر في غزوة مؤتة، فالتمسناه، فوجدناه وبه بضع وتسعون ما بين طعنه ورمية.

وقال الزركلى في أعلامه: وحضر موقعة مؤتة بالبقاء من أرض الشام، فنزل عن فرسه وقاتل ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين، فطعنت يمينه فحمل الراية باليسرى فطعنت أيضاً، فاحتضن الراية إلى صدره، وصبر حتى وقع شهيداً وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقيل: إن الله عوضه عن يديه جناحين في الجنة، وقال حسان:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر وقد روى عكرمة عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: دخلت الجنة فرأيت جعفر الطيار مع الملائكة وجناحه مضرجان بالدم.

يقول بن عوف- وهو ممن حضر معركة مؤتة- عن شجاعه جعفر: لكأنى أنظر إلى جعفر بن أبى طالب يوم مؤتة حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم تقدم فقاتل حتى قتل، قال بن اسحق: فهو أول من عقر في الإسلام وهو يرتجز:

يا حبذا الجنة واقترابها طيباً وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها على إن لاقيتها ضرابها وفيما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله عن إيمان جعفر الثابت وشجاعته... ولما أخذ جعفر ابن أبى طالب الراية، جاءه الشيطان فمناه، وكره إليه الموت، فقال: الآن حين استحکم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا، ثم مضى قدماً حتى استشهد.

فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا له، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «استغفروا لأخيكم جعفر فقد استشهد ودخل الجنة، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة».

ولما ورد خبر استشهاد زيد وجعفر وعبدالله بكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهم حوله فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: ما لنا لا نبكى وقد ذهب خيارنا وأشرفنا وأهل الفضل منا. فقال: لا تبكوا، فإنما مثل أمى كمثل حديقه قام عليها صاحبها فأصلح رواكيها وهتياً مساكبها، وحلق سعفها، فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها فنواناً، وأطولها شمراخاً. والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمى خلفاً من حواريه (١).

ولما استشهد جعفر وأصحابه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بيت جعفر، تقول أسماء بنت عميس زوجة جعفر: لما أصيب جعفر وأصحابه أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد هيأت أربعين مناً (٢) من آدم، وعجنت عجيني، وأخذت بنى فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء، أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه، فضمهم إليه وشمهم، ثم ذرفت عيناه فبكى، فقلت: أى رسول الله لعله بلغك عن جعفر شىء، فقال: نعم، قتل اليوم. فقالت: فقامت أصيح، واجتمع إلى النساء، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا أسماء: لا تقولى هُجرًا، ولا تضربى صدراً.

قالت: فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخل على ابنته فاطمة، وهى تقول:

واعماه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: على مثل جعفر فلتبكي الباكية، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

اصنعوا لآل جعفر طعاماً، فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم... ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن جعفر بن أبى طالب مّر مع جبريل وميكائيل

١-١ مقاتل الطالبين: ٣١-٣٢.

٢-٢ في الأصل: «منياً» تحريف. والمنا: الكيل أو الوزن الذي يوزن به، وهو أفصح من المنّ، لغه تميم. اللسان: منن، منى.

ص: ٢٢١

له جناحان، عوضه الله من يديه فسلم علي.. وأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا... فقال: لقيت المشركين فأصبت في جسدی من مقادیمی ثلاث وسبعین طعنة وضربة، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت، ثم أخذته بيدي اليسرى فقطعت فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل، أنزل من الجنة حيث شئت... فلذلك سمى الطيار في الجنة.

عمره

وقع الخلاف في عمره الشريف حينما استشهد في معركة مؤتة، فقد ذهب الواقدي وغيره إلى أن قتله كان سنة ثمان من الهجرة.. وعمر جعفر ثلاثاً و ثلاثين سنة، وقيل: قتل وهو ابن خمس وعشرين سنة.

في حين ذهب بعض إلى أن عمره رضوان الله عليه وقت استشهاده كان ثلاثاً أو أربعاً وثلاثين سنة، وقد نسب هذا إلى أحد أحفاد جعفر وهو علي بن عبد الله ابن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حيث قال: قتل جعفر وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة.

هذه هي خلاصة بعض الأقوال في عمره، وكلها مردودة، فقد رفض أبو الفرج الأصفهاني صاحب مقاتل الطالبين هذا حيث قال: وهذا عندي شبيه بالوهم؛ لأنه قتل في سنة ثمان من الهجرة، وبين ذلك الوقت وبين مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إحدى وعشرون سنة، وهو أسن من أخيه أمير المؤمنين علي عليه السلام بعشر سنين، كان لعلي حين أسلم سنون مختلفة في عددها، فالمكثر يقول: كانت خمس عشرة، والمقل يقول: سبع سنين.

وكان إسلامه في السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وآله لا خلاف في ذلك. وعلى أي الروايات قيس أمره علم أنه كان عند مقتله قد تجاوز هذا المقدار من السنين.

وذكر أبو الفرج في الهامش بأن ابن عبد البر جزم بأن سنة كانت إحدى

ص: ٢٢٢

وأربعين سنة (١).

وهذا القول الأخير مبنى على كون عمر جعفر حين إسلامه كان عشرين سنة.

وما ورد في الرواية أعلاه من كون عمره ٣٣، ٣٤ فهو خطأ؛ لأن الأخذ بها يجعل عمر جعفر حين إسلامه ١٢ سنة أو ١٣ سنة، وبالتالي فهو يساوي عمر الإمام على عليه السلام أو يقاربه إن لم يكن أصغر سنًا من الإمام إذا ما أخذنا بروايته المكثرتين من كون عمر الإمام كان ١٥ سنة وقت إسلامه، وهذا يخالف كل المصادر التاريخية التي أجمعت على كون جعفر أكبر سنًا من الإمام على عليه السلام بعشر سنين.

فعمر جعفر وقت استشهاده قد لا يمكن القطع به بل يمكننا أن نقول: إنه بعد تجاوزه الأربعين سنة بقليل، أما تحديده ب ٤١، أو ٤٢ على وجه الجزم أمر قد لا يخلو من مجازفة، وهو ترجيح لرواية السن على أخرى بلا مرجح قوى. وأما كون عمره خمساً وعشرين سنة فهو أمر لا يستحق الوقوف عنده.

صلاة جعفر

ومما علمه رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة خاصة تسمى بصلاة الحبوّة والتسييح.

فقد روى أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر بن أبي طالب: يا جعفر ألا أمنحك، ألا أعطيك، ألا أحبوك (٢)، ألا أعلمك صلاة إذا أنت صليت لها لو كنت فررت من الزحف وكان عليك مثل رمل عالج (٣) وزبد البحر ذنوباً غفرت لك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: تصلى أربع ركعات إذا شئت إن شئت كل ليلة، وإن شئت كل يوم، وإن شئت فمن جمعه إلى جمعه، وإن شئت فمن شهر إلى شهر، وإن شئت فمن سنة إلى سنة، تفتح الصلاة ثم تكبر خمس عشرة مرة، تقول: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، ثم تقرأ الفاتحة وسورة، وتركع فتقولهنّ في ركوعك عشر مرّات، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر

١-١ مقاتل الطالبين، انظر شرح المواهب ٢: ٢٧١.

٢-٢ أمنحك وأعطيك وأحبوك متقاربة المعاني، والمنحة: العطيّة. والحباء: العطاء ومنه الحبوّة باعتبار اعطاء النبي صلى الله عليه وآله لجعفر عليه السلام.

٣-٣ الرمل العالج أى المتراكم، وعوالج الرمل هو ما تراكم منه.

ص: ٢٢٣

مَرَات، وتخرّ ساجداً وتقولهنّ عشر مَرَات في سجودك، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ تخرّ ساجداً وتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ تنهض فتقولهنّ خمس عشرة مرّة، ثمّ تقرأ فاتحة الكتاب وسورة، ثمّ ترقع فتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ ترفع رأسك من الركوع فتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ تخرّ ساجداً فتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ تسجد فتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ ترفع رأسك من السجود فتقولهنّ عشر مَرَات، ثمّ تتشهد وتسلم؛ ثمّ تقوم وتصلّي ركعتين أخراوين تصنع فيهما مثل ذلك ثمّ تسلم. قال أبو جعفر عليه السلام: فذلك خمس وسبعون مرّة في كلّ ركعة ثلاثمائة تسبيحة تكون ثلاثمائة مرّة في الأربع ركعات ألف ومائتا تسبيحة يضاعفها الله عزّوجلّ ويكتب لك بها اثنتي عشرة ألف حسنة، الحسنه منها مثل جبل أحد وأعظم» (١) وعن أجر من صلاها، سئل الإمام أبو عبد الله عليه السلام «عمّن صلّى صلاة جعفر، هل يكتب له من الأجر مثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر؟ قال: إي والله» (٢).

قالوا فيه

إذا ما نظرنا في الذي ورد في جعفر من أقوال وروايات.. يمكننا أن نتصور من خلال ذلك شخصيته ومكانته وما يملكه من قدرات، فمن أقوال الرسول صلى الله عليه وآله فيه:

«خير الناس حمزة، وجعفر وعلي» (٣).

«رأيت جعفرًا ملكًا يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين» (٤).

وقال صلى الله عليه وآله مخاطباً جعفرًا: «أنت أشبهت خلقي وخلقي» (٥).

«نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة: رسول الله، وحمزة سيد الشهداء، وجعفر ذو الجناحين، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين» (٦).

وفي رواية أخرى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله:

١- ١ من لا يحضره الفقيه ١: ٣٧٠.

٢- ٢ المصدر نفسه ١: ٣٧١.

٣- ٣ شرح ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧.

٤- ٤ طبقات ابن سعد ٤: ٢٦، وأسد الغابة ١: ٢٨٧، الإصابة ١: ٢٤٩.

٥- ٥ ابن أبي الحديد ٣: ٤٠٧، الإصابة ١: ٢٤٨.

٦- ٦ مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٨.

ص: ٢٢٤

«نحن سبعة» (بنو عبد المطلب) سادات أهل الجنة، أنا، وعلى أخى، وعمى حمزة، وجعفر، والحسن والحسين، والمهدى» (١).
 أما ما قاله صاحب حلية الأولياء أبو نعيم الأصفهاني في مقدمته ترجمه جعفر:
 ومنهم الخطيب المقدام، السخى المطعام، خطيب العارفين، ومضيف المساكين، ومهاجر الهجرتين، ومصلى القبلتين، البطل الشجاع،
 الجواد الشعشاع، جعفر بن أبى طالب عليه السلام، فارق الخلق ورامق الحق،...
 وأما ما قاله فيه صاحب سير أعلام النبلاء..
 السيد الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبدالله، ابن عم رسول الله.

ومن شعر حسان بن ثابت في بنى هاشم ومنهم جعفر (٢):

رأيت خيار المؤمنين توأدوا شعوب وقد خُلفت فيمن يؤخر
 فلا يُبعدن الله قتلى تتابعوا جميعاً ونيران الحروب تسعّر

غداة غدا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمون التقيبه أزهّر

وكنا نرى في جعفر من محمد وقاراً وأمرأ حازماً حين يأمر

وما زال للإسلام من آل هاشم دعائم عز لا تزال ومفخر

بهائل منهم جعفر وابن أمه علي ومنهم أحمد المتخير

وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وماء العود من حيث يعصر

بهم تُفرج اللاواء في كل مازق عماس (٣) إذا ما ضاق بالأمر مضر

وهم أولياء الله نزل حكمه عليهم وفيهم والكتاب المطهر

وفي رثاء جعفر قال كعب بن مالك:

هدت العيون ودمع عينك يهمل سحاً كما وكف الضباب المخصل (٤) وكأنما بين الجوانح والحشا مما تأو بنبى شهاب مدخل (٥) (٧)

١- ١ مختصر تاريخ دمشق ٦: ٦٨.

٢- ٢ الديوان: ٢٣٥، باختلاف في الرواية، وانظر مقاتل الطالبين: ٣٢-٣٣.

٣- ٣ أمر عماس: شديد مظلم، لا يدرى من أين يؤتى له. اللسان: عمس.

٤- ٤ الشعر في ابن هشام ٤: ٢٧ ابن أبى الحديد ٣: ٤٠٤ والبداية والنهاية ٤: ٢٦١. همل الدمع: سال، وسحا: صبا، ووكف: قطر، ويروى

«كما وكف الطباب» وهو جمع طبابة، وهى سير بين خرزتين فى المزادة فإن كان غير محكم كف منه الماء، والمخصل: السائل الندى.

وفى ابن أبى الحديد ٣: ٤٠٤ «وكف الرباب» وفى سيرة ابن هشام بعد هذا البيت: فى ليلة وردت على همومها طوراً أحن وتارة أتململ

واعتادنى حزن فبت كائنى بينات نعش والسماك موكل

٥- ٥ المدخل: النافذ: إلى الداخل.

ص: ٢٢٥

وَجَدًا عَلَى النَّفَرِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمًا بِمُؤْتَهُ أُسْنِدُوا لَمْ يُنْقَلُوا صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْغَمَامُ الْمُسْبِلَ (١) صَبَرُوا بِمُؤْتَهُ لِلإِلهِ
نَفْسُهُمْ عِنْدَ الْحِمَامِ حَفِيزَةً أَنْ يَنْكَلُوا (٢) إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَالِيهِ قُدَّامٌ أَوْلِيَهُمْ وَنِعْمَ الْأَوَّلُ (٣) حَتَّى تَفَرَّقَتِ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرٌ حَيْثُ التَّقَى
وَعَثَ الصُّفُوفِ مُجَدَّلٌ (٤) فَتَغَيَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ لِفَقْدِهِ وَالشَّمْسُ قَدْ كَسَفَتْ وَكَادَتْ تَأْفُلُ (٥) [قَوْمٌ بِهِمْ نَصَرَ إِلَهُ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ
الْمُنَزَّلَ (٦)]

وَبَهْدِيهِمْ رَضَى إِلَهُ لِحَلْقِهِ وَحَدَّاهُمْ نَصَرَ النَّبَى الْمُرْسَلِ (٧) بِيضُ الْوَجْهِ تَرَى بُطُونَ أَكْفُهُمْ تَنْدَى إِذَا اعْتَدَرَ الزَّمَانُ الْمُمَجَّلَ (٨) وَمِنْ
أَبْيَاتِ لِحْسَانٍ وَهُوَ يَرِثِي جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ:

لَقَدْ جَزَعْتُ وَقَلْتُ حِينَ نُعِيَتْ لِي مَنْ لِلْجَلَادِ لَدَى الْعُقَابِ وَظَلَّهَا (٩)

بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرَ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلَّهَا

*** فِسْلَامٌ عَلَيْكَ يَا جَعْفَرَ فِي الْخَالِدِينَ

الهُوَامِشُ:

بَحْثًا عَنِ النُّورِ

١-١ المسبيل: الممطر.

٢-٢ الحمام: الموت. وينكلوا: يرجعوا هائنين لعدوهم.

٣-٣ بعد هذا البيت في سيرة ابن هشام: فمضوا أمام المسلمين كأنهم فتح عليهم الحديد المرفل

٤-٤ في سيرة ابن هشام «حتى تفرجت» والوعث الرمل الذي تغيب فيه الأرجل، ومجدل: مطروح على الجدال، وهي الأرض. وفي ابن
أبي الحديد «... التقى جمع الغواة».

٥-٥ تأفل: تغيب، وفي القرآن «فلما أفلت قال إني لا أحب الآفلين» وفي سيرة ابن هشام بعد هذا البيت: قرم علا بنيانه من هاشم فرعاً
أشم وسؤدداً ما ينقل

٦-٦ الزيادة من النسخة الخطية وفي سيرة ابن هشام «عصم الإله» وفيها بعد البيت: فضلوا المعاشر عشرة وتكرماً وتنهدت أحلامهم من
يجهل لا يطلقون إلى السفاه حباهم ويرى خطيبهم بحق يفصل

٧-٧ ويروى «بجدهم» قال أبوذر: «من رواه بالحاء المهملة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم؛ ومن رواه بالجيم المكسورة فهو معلوم».

٨-٨ الممحل: الشديد القحط وفي أ، ب: «قوم بهم نظر الإله لخلفه».

٩-٩ العقاب: اسم لرأية الرسول.

ص: ٢٢٨

بمّثا عن النور

على الكوراني

في طريقنا إلى البقيع سألني رفيقي مرتضى:

- ما لي أراك ساكتاً متفكراً كأنك في عالم آخر ... هل حدث لك شيء؟!!

- لم يحدث لي شيء، وكأني لست أهلاً لأن يحدث لي شيء .. أو أجد ريح يوسف ...

هل نسيت أننا في مدينة الرسول، وأنها مسكن صاحب الأمر، أرواحنا فداه؟!!

لقد شغل فكري حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «لابد لصاحب هذا الأمر من غيبه، ولا بد له في غيبته من عزله، ونعم

المنزل طيبه، وما بثلاثين من وحشه».

مسألة بهذه الضخامة، كيف لا تشغل الفكر والحواس؟!!

نور الله في أرضه وحجته على عباده .. يسكن في هذا البلد الذي نحن فيه، ولا نبحت عنه، أو عن آثاره منه

أما قرأت قوله تعالى: الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري

ص: ٢٢٩

يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة...؟ (١).

يعنى أن لنوره- عزوجل- مركزاً في الأرض، وأنه مثل المشكاة، وأنه- تعالى- يضرب هذا المثل للناس الساكنين على هذه الأرض!!
فأين هو هذا النور الإلهي، والمشكاة والمصباح المتوقد؟ ..

كيف يمكننا أن نقبل أقوال المفسرين بأن الآية التي بعدها: في بيوت أذن الله أن ترفع لا علاقة لها بآية النور، ونغمض عيوننا عن الحديث النبوي الذي نرويهِ عن أهل البيت عليهم السلام، ويرويهِ السيوطي والثعلبي بأن هذا النور الإلهي موجود في هذه البيوت، وأنها بيوت الأنبياء والأئمة؟!!

يقول السيوطي في الدر المنثور: (٢) «وأخرج ابن مردويه عن أنس ابن مالك وبريدة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية في بيوت أذن الله أن ترفع فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟

قال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها- لبيت علي وفاطمة-؟ قال: نعم من أفاضلها!»!

وكيف نقنع بتفسير المفسرين لهذه البيوت بأنها المساجد، وبأن مشكاة نور الله في الأرض هي قناديل المساجد التي يضيؤها الناس بالشمع، والنفط، والكهرباء؟!!

ألا ترى أن مطلع الآية الله نور السماوات والأرض يمهّد للمسألة ويلخصها كلها.. فهو- عزوجل- نور خلق السماوات والأرض.. ونور استمرار وجودها وحياتها.. ونور كل شيء فيها.. وله في كل عصر نور في

١-١ النور: ٣٥-٣٧.

٢-٢ الدر المنثور ٥: ٥٠.

ص: ٢٣٠

الأرض أشبه ما يكون بالمصباح في المشكاة، يهدى إليه من يشاء ..

وهذا هو مضمون الحديث المتواتر: «إنّ الله - تعالى - لا يخلى أرضه من حجّة، إمّا ظاهراً مشهوداً، أو خائفاً مغموراً».

*** وبعد الزيارة، اقترح صاحبي أن نجلس عند جدار البقيع، ونكمل حديثنا عن الإمام المهدي عليه السلام، فجلسنا، وقال:

- أتعنى: أنّ الإمام المهدي عليه السلام هو في عصرنا مركز النور الإلهي في آية النور؟

- يا صاحبي إنّ مقتضى قوله مثل نوره كمشكاة أن هذه المشكاة موجودة دائماً في الأرض، لأنّه كلام مطلق من حيث الوقت وليس مقيداً بزمان، والحديث النبوي الذي رواه السيوطي صريح في ذلك.

- أقول: إنّ الأفعال الإلهية في الأرض والناس تتمّ بواسطة الإمام المهدي عليه السلام!؟

- بل أقول: إنّ لله مصباحاً في أرضه هو مركز نوره، ولا شكّ في أنّه كان متمثلاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وكان له دوره في إشعاع النور الإلهي، ودوره في فيض العطاء الإلهي أكثر من تصوّرنا العادي ..

ثمّ لا شكّ في أنّ هذا المصباح تمثل من بعده بعليّ والأئمّة من ولده عليهم السلام ضمن الحدود التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله ..

أما فهمت من سؤال أبي بكر للنبي أنه أراد أن يعرف أن بيت عليّ وفاطمة - الذي يؤكد الرسول دائماً أنّه بيته، وأنّ أهله هم أهل بيته - هل هو من بيوت الأنبياء ومراكز النور الإلهي؟ فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله: بأنه ليس فقط جزءاً منها بل هو من البيوت المميّزة فيها!!

أما قرأت سورة القدر وملائكتها المنتزلة في كلّ عام بكلّ أمر ..؟

أما تأملت في هذا التعميم!؟

إنّ مقام نبينا ومقام أوصيائه يا

ص: ٢٣١

صاحبى أعظم مما نتصوّر، وأنواع الأفعال الإلهية أكثر مما نتصوّر، فمنها ما يفعلهُ اللهُ - تعالى - مباشرة، ومنها ما يفعله بواسطة ملائكته وأنبيائه، أو بواسطة من يشاء من خلقه!

ولعلنا نستطيع أن نجد أضواء على أنواع الفعل الإلهى وقوانينه من القرآن، من نسبة الفعل إلى الله - تعالى - بصيغة المفرد المتكلم، أو بصيغة الجمع، أو بصيغة الغائب ..

إنّ دراسة الأفعال المسندة إلى الله - تعالى - فى القرآن، عن طريق إحصائها وتقسيمها وتحليلها، سيعطينا أضواء هامة على أنواع الفعل الإلهى ووسائله .. إنك تشعر أن فى صيغ الفعل الإلهى فى القرآن هدفاً، وأن وراءها قاعدة ..

مثلاً بعض الأفعال أسندها - عز وجل - إلى نفسه بصيغة المفرد المتكلم، وبصيغة جمع المتكلم، وبصيغة المفرد الغائب، مثل: أوحيت، أوحينا، نوحى، أوحى ..

وبعضها أسندها بصيغة جمع المتكلم والغائب فقط، ولم يسندها بصيغة المفرد مثل: بشرنا، أرسلنا، صوّرنا، رزقنا، بيّننا .. الخ. ولم يقل بشرت أو رزقت .. الخ.

أشعر بأنّ فى الأمر قاعدة، فإنّ كلمات القرآن وحروفه موضوعة فى مواضعها بموجب حسابات وقواعد دقيقة، كما وضعت النجوم فى مواضعها ومداراتها فى الكون فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم إنّه لقرآن كريم (١).

ولكن استكشافنا للقاعدة فى استعمال الفعل سيبقى ظنياً وتخمينياً؛ لأننا محرومون من الذى عنده علم الكتاب روحى فداه! روى فى الاحتجاج أن شخصاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له:

لولا ما فى القرآن من الاختلاف والتناقض؛ لدخلت فى دينكم! فقال له عليه السلام: وما هو؟ فقال:

(... أجد الله يقول: قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم، وفى موضع يقول: الله يتوفى الأنفس

ص: ٢٣٢

حين موتها، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين، وما أشبه ذلك، فمرّة يجعل الفعل لنفسه، ومرّة لملك الموت، ومرّة للملائكة.... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: سبح قدوس ربّ الملائكة والروح، تبارك وتعالى، هو الحيّ الدائم، القائم على كلّ نفس بما كسبت، هات أيضاً ما شككت فيه:

قال: حسبي ما ذكرت

قال عليه السلام: فأما قوله: الله يتوفى الأنفس حين موتها، وقوله:

يتوفاكم ملك الموت، وتوفته رسلنا، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين، والذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ... فهو - تبارك وتعالى - أعظم وأجلّ من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى - جلّ ذكره - من الملائكة رسلاً وسيفراً بينه وبين خلقه وهم الذين قال فيهم: الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس .. فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتون به منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله؛ لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء، ويعطى ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإنّ فعل أمنائه فعله).

*** قال صاحبي:

- أعتقد بأنّ الأنبياء والأئمة مضافاً إلى دورهم في التبليغ والهداية، لهم دور في الفعل الإلهي في الطبيعة والأشخاص والمجتمعات؟
- لا بدّ لنا من الاعتقاد بذلك، لأنّ الآيات تدلّ عليه، والأحاديث والسيره صريحة فيه .. أما حدود هذا الدور وتفصيله فلا نعرفها، والظاهر أنها من أسرار الله - تعالى - فقد

ص: ٢٣٣

بنى - سبحانه - أكثر أفعاله على الاسرار، حتى إنه قال لنبىه موسى عن الآخرة: إن الساعة آتية أكاد أخفيها لئجزى كل نفس بما تسعى (١)!

- وعلى هذا يحق للآخرين أن يتهمونا بأننا نجعل الأنبياء والأئمة شركاء لله تعالى!
- تعالى الله عن ذلك .. لا يحزنك يا صاحبي الذين يتهمون المسلمين بالشرك، واسألهم:
إذا ثبت بآية أو بحديث صحيح أن الله - تعالى - يجرى قسماً من أفعاله بواسطة ملائكته ورسله وأوليائه، فقبلنا ذلك وآمنا به، هل نكون مشركين؟!

أما قرأت قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢)؟
يعنى: أيها النبى، قل أنا تابع لما يأتينى من ربى، فإذا أخبرنى أن له ولداً، وأمرنى بعبادته، فأنا أول العابدين، لكنه تعالى عن ذلك.
ونحن نقول: إذا دلنا الدليل من كتاب الله - تعالى - أو سنه نبىه صلى الله عليه وآله على أن الله - تعالى - يجرى بعض أفعاله بواسطة الملائكة، فنحن نسمع ونطيع ونعتقد بذلك، وهو عين التوحيد، ونقول لمن يتهمنا: افهموا التوحيد قبل أن تتهموا الناس بالشرك.
كأن هؤلاء يضعون شرطاً على الله - تعالى - لتوحيده!! وهو أن تكون أفعاله - عز وجل - مباشرة بدون واسطة، أو تكون بواسطة الملائكة دون غيرهم من البشر والمخلوقات ..

أما نحن فنوحيده - تعالى - بدون شرط، ونقبل أفعاله بأي واسطة أجراها، ونعتقد بأن فعل أمثاله هو فعله على حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام ..

فأى التوحيدين أرقى .. وأعرق؟

- حقاً، إنها فكرة عميقة أسمعها لأول مرّة، نعم، إن التوحيد الصحيح هو التوحيد بلا شروط، وإلا لصار الشرط شركاً! ..
حسناً .. ماذا يعمل الإمام

١- ١ طه: ١٥.

٢- ٢ الزخرف: ٨١- ٨٢.

ص: ٢٣٤

المهدى فى المدينة، ومع من يعيش؟

- كما يعمل الخضر ويعيش .. أما قرأت قصّة موسى والخضر عليهما السلام فى القرآن؟

- بلى، وهل يعتقد كل العلماء بأن الخضر ما زال حيّاً يرزق؟

- نعم، فقد وردت الروايات الصحيحة عندنا بأنه ما زال حيّاً ويقوم بعمله، وثبت ذلك عند أكثر علماء السنّة، فقد ذكر فى مجموع النووى فى مسألة استحباب تعزية أهل الميت بمصائبهم، ذكر استدلال العلماء على ذلك بتعزية الخضر لأهل بيت النبى عند وفاته صلى الله عليه وآله.

اقرأ قصة الخضر فى القرآن؛ لتعرف أنه مأمور من الله - تعالى - بعملات خاصية إذا صحّ التعبير، وأن نبى الله موسى عليه السلام قد رافقه ليوم أو يومين فرأى منه ما لم يستطع عليه صبراً!

وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال:

رحم الله أخى موسى لقد عجل على العالم، أما إنّه لو صبر عليه لرأى منه العجائب!

ولابدّ من أن نبينا صلى الله عليه وآله قد رأى هذه العجائب!

- وما هى هذه العجائب؟

- يا صاحبى! إن إدارة الله - تعالى - وربوبيته لنا تشبه كرة الثلج فى الماء لا يظهر منها إلا عشرها، بينما تخفى علينا تسعة أعشارها!

وكلّ مرحلة باطنية من إدارته - عزوجل - أعجب من التى قبلها، وأصعب فهماً؛ لأنها كما يظهر تتم بقوانين ووسائل أعمق من التى قبلها!

وما أدرى أين هو موقع نبينا وآله صلى الله عليه وآله من هذه المراحل، ولكن أدرى أنهم نور الله فى الأرض، يجرى - عزوجل - على أيديهم ما يشاء من الأفعال.

- يعنى مثل الرزق والموت والحياة؟

- وما المانع من ذلك؟ هل تريد أن تمنع الله - تعالى - من أن يوكل أحداً بفعل من أفعاله! أو تمنع عطاءه

ص: ٢٣٥

لأنبيائه؟!

ما المانع من أن يأمرهم الله - تعالى - بشيء من ذلك، ويعطيهم القدرة عليه، فيفعلونه بأمره وإذنه، لا بأمرهم وقدرتهم؟ فإنما هم عباد مخلوقون ليس لهم من الأمر شيء، ولكنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (١).

- وهل يوجد الآن غير الخضر والإمام المهدي مأمورون بهذا النوع من العمليات الخاصة؟

- تقول بعض الروايات:

«قال موسى عليه السلام: بينا أنا والخضر على شاطئ البحر، إذ سقط بين أيدينا طائر، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر، ورمى بها نحو المشرق، وأخذ منه ثانية، ورمى بها نحو المغرب، ثم أخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، ثم أخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ خامسة وألقاها في البحر، فبهت أنا والخضر من ذلك وسألته عنه؟ فقال: لا أعلم.

بينما نحن كذلك فإذا صياد يصيد في البحر، نظر إلينا وقال: ما لي أراكما في فكرة من أمر هذا الطائر؟ فقلنا له:

هو ذاك. فقال: أنا رجل صياد وقد علمت إشارته، وأنتما نبيان لا تعلمان؟! فقلنا: ما نعلم إلا ما علمنا الله عز وجل».

من هذه الرواية وأمثالها نعرف أن لله - تعالى - أولياء معتمدين متعددين يجرى ما يريد من أفعال بواسطتهم، وقد قال عز وجل: ولله

جنود السماوات والأرض (٢).

وقال:

وما يعلم جنود ربك إلا هو (٣)!

ولكن يبقى للإمام المهدي عليه السلام موقعه المميز في جنود الله - تعالى - وأوليائه.

فإن الأحاديث الثابتة تقول: إن مسألة النبي وأهل بيته مسألة مميزة من الأساس، وأن الله - تعالى - قد خلق نور محمد وأهل بيته قبل أن

يخلق آدم وينفخ فيه من روحه!

كنت رأيت هذه النصوص في مصادرنا، ثم رأيتها في مصادر إخواننا

١- ١ الأنبياء: ٢٦-٢٧.

٢- ٢ الفتح: ٤، ٧.

٣- ٣ المدثر: ٣١.

ص: ٢٣٦

السنة، وفي مؤلفات بعض المؤلفين الذين يحاولون التقليل من أهمية أهل البيت ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً! وأخيراً قرأت ذلك عند المسعودي في مقدمته تأريخه «مروج الذهب»، حيث تحدّث - على عادة المؤرخين - عن بداية خلق العالم، وأورد حديث خلق النور المحمدي قبل خلق آدم، ممّا يدلّ على أن هذه النصوص كانت معروفة عند المؤرخين أيضاً! قال المسعودي (١) «فهذا ما روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليّ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: إن الله حين شاء تقدير الخليقة، وذراً البرية، وإبداع المبدعات، نصب الخلق في صور الهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح (فأساح) نوراً من نوره فلمع، و [نزع] قسماً من ضيائه فسطع، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فقال الله عزّ من قائل: أنت المختار المنتخب، وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأمرج الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار، وأنصب أهل بيتك للهداية، وأوتيتهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق ولا يعيهم خفي، وأجعلهم حجّتي على بريتي ... ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبداعها، وأرواح اخترعها، وقرن بتوحيده نبوة محمد صلى الله عليه وآله، فشهرت في السماء قبل بعثته في الأرض، فلما خلق آدم أبان فضله للملائكة، وأراهم ما خصّه به من سابق العلم من حيث عرفه عند استنبأه إياه أسماء الأشياء، فجعل الله آدم محرّاباً وكعبةً وباباً وقبله أسجد إليها الأبرار والروحانيين الأنوار، ثم نبه آدم على مستودعه، وكشف له [عن] خطر ما ائتمنه عليه» (٢).

١-١ في المجلد الأول من تاريخه: ص ٢٢.

٢-٢ مروج الذهب ١: ٢٢.

ص: ٢٣٧

(وشبيهه به في تذكرة الخواص لابن الجوزي الحنبلي!) (١) اسمع يا مرتضى! إنّ الله تعالى يقول:

أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً (٢).
ويقول عن الخضر: آتيناها رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علماً (٣).

- ولكن هل تعتقد أنّ الله - تعالى - أعطى الخضر وآل إبراهيم أكثر ممّا أعطى محمداً وآل محمد؟
كلّا، ولكنّه - تعالى - لم يصرّح بذلك في القرآن؛ لأنّ أمة النبيّ وأمم العالم لا يتحمّلون تفضيل محمد وعترته إلى هذا الحدّ إلى يوم
القيامة!..

وقد رأينا أنهم لم يتحمّلوا ما هو أقل من ذلك، وأنهم عاملوا أهل بيت النبيّ بأسوأ ما تعامل الحكومات الاسر المنافسة لها!
الخضر يا صاحبي مكلف بما يؤمر به من علم الباطن، وموسى مكلف بما يؤمر به من علم الظاهر، ونبينا وأئممتنا مكلفون بما يؤمرون به
من علم الظاهر والباطن!

- وهل يعقل أن يكون إنسان واحد مكلفاً بعلم الظاهر والباطن معاً! إنّ علم الظاهر والباطن لم يستطيعا أن يتعايشا معاً لمدّة قصيرة في
قصة موسى والخضر، حتى قال له الخضر:

هذا فراق بيني وبينك (٤)!

- أسألك يا أخ مرتضى: هل يمكن أن يكون في جيبيك مال وتحتاج إلى إنفاقه ولا تنفقه؟

- نعم يمكن، ولكن هل هذا مثل أن يعلم الإنسان علم الباطن ولكنه يعمل بعلم الظاهر؟

- نعم هذا شبيه به، ولكن أسألك سؤالاً آخر: هل يمكنك أن تكون على علم بأنّ صديقك فلاناً سوف يموت في هذه السنه ولا
ترتب على علمك بذلك أثراً أبداً؟

وهل يمكنك أن تصبر على

١- ١ تذكرة الخواص: ١٢٨ - ١٣٠.

٢- ٢ النساء: ٥٤.

٣- ٣ الكهف: ٦٥.

٤- ٤ الكهف: ٧٨.

ص: ٢٣٨

عداوة عدوك، وأنت تستطيع أن تدعو الله عليه فيستجيب دعاءك ويهلكه؟

قصدي من هذه الأسئلة أنك إذا ملكت وسائل وأسباباً غير عادية، أو قدرة على صنع المعجزة، هل تستطيع أن تعيش بالأسباب العادية والقوانين المادية الطبيعية؟

- لا أظن أنني أستطيع ذلك، ولذا أقول: إنه لا يمكن للإنسان أن يجمع بين علم الباطن والعمل بعلم الظاهر.

- أما نبينا وأهل بيته فيمكنهم ذلك بمعونة الله - تعالى - وعصمته، وهذا هو الفرق بينهم وبيننا!!

قم بنا يا صاحبي فقد طال بنا الجلوس

*** من ذلك اليوم لم يعفني صاحبي من أسئلته واستفهاماته عن مكانة الإمام المهدي عند الله تعالى، وعن معيشتة وعمله ... وكان ذلك صار شغله الشاغل!

وصار الجلوس في المسجد عند جدار البقيع لمدة طويلة محبباً إليه ..

كان يجلس طويلاً متفكراً، أو يقرأ القرآن .. أو يذكر الله تعالى ..

رأيته يوماً جالساً في المسجد ..

فجلست إليه وقلت له: حدثني يا مرتضى عن عالمك، بماذا تفكر؟

- بل أنت حدثني عن تنزل الملائكة في ليلة القدر، وما هو البرنامج الذي يأتون به إلى صاحب الأمر روي فداه؟

- وما علمي بذلك يا مرتضى ..

الذي أعرفه من ذلك قوله تعالى:

تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر وقد ورد في الرواية أن عمر بن الخطاب سأل النبي صلى الله عليه وآله لماذا يرق

قلبه عندما يقرأ هذه السورة أكثر مما يرق لغيرها؟ فأعاد النبي قراءتها حتى وصل إلى قوله تعالى:

من كل أمر ثم قال لعمر:

وهل بقي بعد هذا شيء، قال: كلا.

وهذا الحديث يدل على تنوع الأوامر والأمر النازل في ليلة القدر على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، أو على قلب حجة الله في

أرضه!

ص: ٢٣٩

وقد وردت روايات عن الأئمة الطاهرين تؤكد هذا المعنى، وتذكر بعض التفاصيل.

- إنها مسألة كبيرة، وقد وصلت إلى أن ترك التفكير فيها أولى، أليس كذلك؟

- التفكير يوصلنا إلى معرفة أشياء كثيرة، ولكن ما ينزل في ليلة القدر لا يمكن معرفته بالتفكير فيه، ولا نحن مكلفون بذلك .. إنما يجب علينا أن نؤمن بقوله تعالى: تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر على عمومه وإجماله.

- فكّرت في هؤلاء الثلاثين الذين يلتقى بهم صاحب الأمر- روحى فداه- فوصلت إلى أنه قد يعطى كل واحد منهم قسماً من برنامج السنة ويأمره بتنفيذه، أليس كذلك؟

- هذا محتمل، كما يحتمل أن تنزل طريقة تنفيذ البرنامج مع البرنامج نفسه، فلا يمكننا أيضاً أن نعرف بالتفكير طريقة عمل الإمام المهدي أرواحنا فداه.

- لقد فكّرت في قصة الخضر في القرآن فأريت أن محور أعماله هو مساعدة المؤمنين وخدمتهم في أمور معيشتهم، مثل أصحاب السفينة الذين خلّص سفينتهم من المصادرة، والغلامين اللذين حفظ لهما كنزهما، كما قام لدفع الضرر والضلال عن والدى الغلام الشّري.

كما فهمت من قصّة الخضر عليه السلام أنه شخص متجوّل وليس مقيماً في مكان واحد. فقد ركب في السفينة وقصد قرية واحدة أو عدّة قرى، وكان له في كلّ مكان هدف وعمل.

وعلى هذا يمكن أن نقول: إنّ أعمال صاحب الأمر وجماعته- روحى فداه وفداهم- تدور حول خدمة المؤمنين مادياً ومعنوياً، وأنهم متحرّكون لا يقيمون في مكان واحد.

- نعم هو كذلك، وقد ورد في كنز الغلامين أنه كان لوحاً من ذهب، وقد كتب عليه العلم والحكمة، فتكون خدمة الخضر لهما خدمة في أمر

ص: ٢٤٠

معيشتهما وفي هدايتهما معاً.

- إذن ما معنى الرواية التي تقول:

إنهم يقيمون في المدينة؟!

- المدينة مقر إقامةهم، ولا يمنع ذلك من تحرّكهم وتجوّلهم.

وتركت صاحبي جالساً في مسجد النبي صلى الله عليه وآله يتمم بذكر الله - تعالى، ويتأمل في مقام النبي وآله.

الهوامش:

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة (٦)

ص: ٢٤١

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة (٦)

عبدالرحمن خويلد

مقدمة:

بما أن للمدينة المنورة فضلاً كبيراً على المسلمين، لأنها مهاجر الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعاصمة الإسلام الأولى، ومنها انطلق الإسلام إلى الآفاق، وعمّ بنوره البشرية، وأنقذ من هداه الله سبحانه من الشك والضلالة إلى التوحيد والهداية؛ لذلك لا بد من معرفة معالمها المهمة، وآثارها الرائعة.

وقد رأيت أن أكثر الزائرين لطيبة الطيبة لا يعرف عنها سوى المسجد النبوي الشريف، والبقيع، والمزارات الأربعة المشهورة، وهي (مسجد قباء، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، وشهداء أحد)، علماً بأنّ قسماً منهم لا يعرف حتى هذه المزارات الأربعة إلّا بعد سماعه عنها من أصحابه أو من بعض سائقي السيارات عندما يرفعون أصواتهم بعبارة (زيارة يا حاج).

أمّا بقيّة المساجد والأماكن الأثرية الأخرى فأعتقد أن أغلب زوّار هذه المدينة العزيزة إن لم يكن كلّهم لا يعرف أو لم يسمع عن بعضها، بالرغم من زيارته

ص: ٢٤٢

للمدينة المنورة مزارات عديدة.

وكيف تُجهل هذه المساجد والأماكن التي كانت عامرة بنزول الوحي عليه السلام، أو كونها مصلى أو مقيلاً أو مبيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

فتجول زوارها في ربوعها يعيد إلى أذهانهم الذكريات العطرة، والصور الرائعة للسيره النبوية على هذه الأرض المباركة، مما يثلج صدورهم ويسعد نفوسهم، ويزيد إيمانهم؛ لذلك رأيت أن من الضروري إخراج هذا الكتاب لينتفع به الزوار. والمنهج الذي اتبعته في ذلك هو: تصوير هذه المساجد والأماكن لسهولة التعرف عليها أولاً، وللحفاظ على صورتها خشية اندثارها ثانياً، ثم إيضاح أماكنها، والتعليق عليها.

وقد رتبته من حيث القرب والبعد عن مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مراعيًا في ذلك موقعها في اتجاه واحد. ووضعت خريطة تبين أماكنها، وتسلسل أرقامها؛ ليستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر، وختمت الكتاب بوضع أربعة فهارس له. وحرصت على ذكر المساجد التي ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى فيها. راجياً من الله تعالى العون والسداد والتوفيق لما يحبه ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

٢٧- جبل بنى قريظة

مكان هذا الجبل مقابل مستشفى المدينة الوطني، ويسهل الوصول إليه للمتجه إلى مسجد قباء عبر طريق الحزام، باتخاذ الشارع الفرعي الأيسر بعد محطة ابن فارس للبنزين، ثم الدخول في أول شارع فرعي على اليمين قبل منازل الإسكان الحكومي، ويمكن أن يرى من شارع خط الحزام العام.

وبنو قريظة قوم من اليهود نزلت المدينة قديماً انتظاراً لمبعث نبي آخر الزمان،

ص: ٢٤٣

ولمّا بعث النبي صلى الله عليه وآله كفروا به (١)، كما جاء في قوله تعالى: وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنهُ الله على الكافرين (٢).

صورة

ولما غدر اليهود بالنبي صلى الله عليه وآله والمسلمين، وهم قوم غدر، حاصرهم صلى الله عليه وآله خمسة عشر يوماً، ثم حَكَمَ فيهم سعد بن معاذ زعيم الأوس، فقد روى أبو سعيد الخدرى:

«نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى سعد فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد، قال للأَنْصار: قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم، قال: قد نزلوا على حكمك، فقال: تُقتل مُقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، قال: قضيت بحكم الله (٣).»
وقد اتخذ الشيخ عبد العزيز بن صالح إمام المسجد النبوى السابق قصرًا على شرق هذا الجبل، ثم حفر جهاته الثلاث الأخرى، ممّا حال دون الصعود إليه فى الوقت الحاضر.

ولقد صعدتُ على سطح هذا الجبل عام ١٩٨٠ م، ووجدت خندقاً فى محيطه

١-١- جامع البيان ١ / ٤١، ومجمع البيان ١ / ٣٥٥، والجامع لأحكام القرآن ٢: ٢٧، وأسباب النزول: ١٦-١٧.

٢-٢- سورة البقرة ٢ / ٨٩.

٣-٣- فتح البارى بشرح صحيح البخارى- كتاب المغازى- باب مرجع النبي صلى الله عليه وآله من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة
٧ / ٤١١ حديث رقم ٤١٢١، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير- باب جواز قتال من نقض العهد، حديث رقم ١٧٦٨.

ص: ٢٤٤

يصل إلى حزام الرجل، وأرضه خصبة تصلح للزراعة، وقد خطر لى فى حينها
صورة

الواقع الحقيقى لليهود الذى بينه الخالق تعالى بقوله: لا- يقاتلوكم جميعاً إلفانى قري محصينة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد
تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (١).

٢٨- حصن كعب بن الأشرف

يقع هذا الحصن إلى الغرب من جبل قريظة، فى الطريق الموصل إلى سد بطحان مع أى طريق سواء قباء- قربان- العوالى (٢)، وهو بعد
حديقة السد، وفى نفس اتجاهها، ويبعد عنها بمسافة تقدر بثمانمائة متر، ويمكن للذهاب إليه أن يرى أطلال القصر واضحة من
الشارع.

وكعب بن الأشرف يُعتبر ملك اليهود بالمدينة، وهو الطائى نسباً، اليهودى

١-١- سورة الحشر ١٤/٥٩.

٢-٢- المغانم المطابة: ٤٥٧.

ص: ٢٤٥

دينياً وخؤولهُ، وهو معدود من بنى النضير.

صورة

وقد نقض العهد الذى بينه وبين النبى صلى الله عليه وآله حسداً وحقدًا، وصار يناصر قريشاً ضد المسلمين، ويتشيب بنساء المسلمين، فقال النبى صلى الله عليه وآله: مَنْ لكعب بن الأشرف؟ (١) جاء فى طبقات ابن سعد (٢): (وكان سبب قتله أنه كان رجلاً شاعراً يهجو النبى صلى الله عليه وآله وأصحابه، ويحرض عليهم ويؤذيهم، فلما كانت وقعة بدر كُبت وذلٌّ، وقال: بطن الأرض خير من ظهرها اليوم، فخرج حتى قدم مكة، فبكى قتلى قريش وحرّضهم بالشعر، ثم قَدِم المدينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم اكفنى ابن الأشرف بما شئت فى إعلانه الشر وقوله الأشعار، وقال أيضاً: مَنْ لى بابن الأشرف فقد آذانى). فاستعدَّ جماعة من الصحابة لقتله وهم: محمد بن مسلمة، وسلطان (أبو نائلة) أخو كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعباد بن بشر، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عيس بن جبر، وضربوه على أمّ رأسه، وشقّه محمد بن مسلمة بسيف قصير

١-١- الدر الثمين: ١٣٢.

٢-٢-٢: ٣٢.

ص: ٢٤٦

حتّى هلك في شعب العجوز بين بوابة حصنه والوادي (١).

٢٩- مسجد الصيحاني

مكان هذا المسجد بعد الإشارة الضوئية التي تقطع شارع الحزام وشارع

صورة

قربان الموصل إلى سد بطحان باتجاه القادم إلى مسجد قباء، في أول فتحة على اليسار بعد الإشارة المذكورة، وموقعه قبل مصنع مياه المدينة المنورة- طيبة، وفي نفس اتجاهه، ويبعد عنه بحوالي ثلاثمائة وخمسين متراً، وينزل إليه من بعد البيوتات المبنية بالطوب العادي بثلاثين متراً، بالاتجاه إلى الشرق، وهو خلف الحجار الأسود، ويعرفه بعض سكان تلك المحلة.

ولم يذكره مؤلفو كتب تاريخ المدينة المنورة- حسب إطلاعي- إلّا السهمودي، جاء في كتابه خلاصة وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (٢) ما نصه: (وأنواع تمر المدينة

١-١- تاريخ معالم المدينة: ٢٤٢، والدر الثمين: ١٣٣.

٢-٢- الباب الأول- الفصل الخامس: ٣٠، وينظر: وفاء الوفا، الباب الثاني- الفصل السادس ١/٧٣.

ص: ٢٤٧

كثيرة استقصيناها في الأصل الأول فبلغت مائة وبضعة وثلاثين نوعاً منها الصيحاني، وفي فضل أهل البيت لابن المؤيد عن جابر رضى الله عنه، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله يوماً في بعض حيطان المدينة ويد علي في يده، قال: فمررنا بنخل، فصاح النخل: هذا محمد سيد الأنبياء وهذا علي سيد الأوصياء أبو الأئمة الطاهرين، ثم مررنا بنخل، فصاح النخل: هذا، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا علي سيف الله، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى علي، فقال له: سمّه الصيحاني، فسُمي من ذلك اليوم الصيحاني، فكان سبب تسمية هذا النوع بذلك، أو المراد فضل ذلك الحائط، وبالمدينة موضع يُعرف بالصيحاني).

وقد ذكره ابن شاذان في كتابه فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (١)، بهذا النص: (الفضيلة الثالثة والسبعون: عن أبي بكر عبد الله بن عثمان، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله في بستان عامر بن سعد بعقيق السفلى، فبينما نحن نخرق البستان إذ صاحت نخلة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: أتدرون ما قالت النخلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: صاحت هذا محمد ووصيه علي بن أبي طالب، فسماها النبي صلى الله عليه وآله الصيحاني).

وكان بعض زوّار المدينة سابقاً يأتون إلى هذا المسجد للصلاة فيه، أما الآن فهو مهمل ومتروك.

٣٠- مسجد مصبح

يقع هذا المسجد جنوب مسجد قباء، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بكيلومتر واحد، وهو خلف خزانات مصلحة المياه والصرف الصحي، التي يغلب عليها اسم العين الزرقاء، ويمكن الوصول إليه بسهولة للقادم من مسجد قباء باتجاه الجنوب، ثم الدخول في الشارع الفرعي الأيمن قبل المصلحة المذكورة.

وكان اسمه قبل تجديده (مصبح)، ويعرفه أهل تلك المحلة بهذا الاسم، ولكن لما جُدد تحوّل الاسم إلى (الصبح).
وقيل: إنّ سبب تسميته بهذا الاسم أنّ النبي صلى الله عليه وآله خرج لاستقبال ابن عمّه

ص: ٢٤٨

صورة

صورة

ص: ٢٤٩

علّي بن أبي طالب عليه السلام ومَن معه، قادمين من مكة إلى المدينة بعدما فدى النبي صلى الله عليه وآله بنفسه، ونام في فراشه ليلة هجرته (١)، وأدى ودائع الناس التي (٢) كانت عند المصطفى صلى الله عليه وآله، وقد بات النبي صلى الله عليه وآله في ذلك المكان حتى الصباح، ثم صلى الصبح فيه، لذلك سُمي مصبّح.

وقد توهم السيد أحمد الخياري (٣) بقوله: (ولعل سبب هذه التسمية ترجع إلى أن قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله على قباء مهاجراً كان صباحاً، وقوبل في هذا المكان).

فقد ورد في سيرة ابن هشام (٤) عن قوم من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله أنهم قالوا:

(لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة، وتوكلنا (٥) قدومه، كنا نخرج إذا صلينا الصبح، إلى ظاهر حرّتنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظل فإذا لم نجد ظلّاً دخلنا وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذي قدّم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، جلسنا كما كنا نجلس حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله حين دخلنا البيوت فكان أول من رآه رجل من اليهود قد رأى ما كنا نصنع، وإنا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلَةَ (٦)، هذا جدّكم (٧) قد جاء. قال: فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو في ظل نخلة). وهذا يدل على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وصل قبيل الظهر أو بعده، فكيف كان وصوله صباحاً؟.

وبما أنّ مكان هذا المسجد باتجاه القبلة، وأنّ الرسول محمّداً صلى الله عليه وآله لم يذهب إلى آبار على لاستقبال القادم من مكة، أقترح هنا إنشاء طريق ثان من المدينة المنورة باتجاه مسجد قباء ماراً بمسجد مصبّح حتى يصل إلى مكة المكرمة، وقد قيل لي نقلًا عن أحد المهندسين: لو أنشئنا هذا الطريق لفرّق حوالي مائة وخمسين كيلومتراً عن الطريق الحالي، ويصبح طول الطريق المقترح أقل من ثلاثمائة كيلومتر، أما طريق الهجرة الحالي فطوله أربع مائة وعشرون كيلومتراً.

فحبذا لو أنشئنا هذا الطريق المقترح ليكون عوناً على تخفيف معاناة ضيوف الرحمن، والله وليّ التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

١- ١- جاء في سيرة ابن هشام ٧١ / ٢ تحت عنوان استخلافه لعلّي ما نصه: فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيشون عليه، فلما رأى رسول الله مكانهم، قال لعلّي بن أبي طالب: نم على فراشي، وتسبح ببردّي هذا الحضرمي الأخضر، فتم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ينام في برده ذلك إذا نام.

٢- ٢- قال ابن هشام في سيرته ٨١ / ٢ الآتي: وأقام علّي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها، لحق برسول الله صلى الله عليه وآله، فنزل معه على كلثوم بن هدم.

٣- ٣- تاريخ معالم المدينة: ١٢٥.

٤- ٤- ٢: ٧٩- ٨٠.

٥- ٥- توكلنا: توقعنا، ينظر: الصحاح، باب الفاء- فصل الواو ١٤٤١.

٦- ٦- قَيْلَةَ: أم الأوس والخزرج، ينظر: الصحاح، باب اللام- فصل القاف ١٨٠٨.

٧-٧- الجَدّ: البخت والحظ، ينظر: القاموس المحيط، باب الدال- فصل الجيم: ٣٤٦.

ص: ٢٥٠

نقشه

خريطة المساجد والأماكن الأثرية

ص: ٢٥١

الهوامش:

ص: ٢٥٢

الفهارس:

أ- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث النبوية.

ج- فهرس المساجد والأماكن الأثرية.

د- فهرس المراجع.

أ- فهرس الآيات القرآنية:

التسلسل الآية القرآنية السورة رقم الآية ١- وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ... الأنفال ٢٧٠- ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل
الله أمواتاً ... آل عمران ٣٥٤- يأيتها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس ... المجادلة ٤٦٢- فكيف إذا جئنا من كل أمة
بشاهد وجئنا بك ... النساء ٥٤١- وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ... البقرة ٦٨٩- لا يقاتلونكم جميعاً إلفى قرى محصنة
.... الحشر ١٤

ص: ٢٥٣

ب- فهرس الأحاديث النبوية:

- التسلسل الحديث ١- «هذا مستمطرنا ومصلانا لفطرنا وأضحانا...» ٢- «سألت ربّي ثلاثاً...» ٣- «إن جبريل أتاني، فقال: من صلّى عليك...» ٤- «جاءني جبريل عليه السلام بهذا الموضع، فقال: إن الله يقرئك السلام...» ٥- «لا نستعين بالمشركين على المشركين» ٦- «غضب الله على من دمي وجه نبيه» ٧- «الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه...» ٨- «رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنة...» ٩- «هي عين من عيون الجنة» ١٠- «إذا أنا مت فاعسلوني بسبع قرب من بئر غرس» ١١- «إذهب يا سلمان ففقر لهما...» ١٢- «سلمان منا أهل البيت» ١٣- «مخيريقي خير يهود» ١٤- «أصليت يا علي...» ١٥- «أدع الله ليرد عليك الشمس...» ١٦- «قوموا إلى سيدكم أو إلى خيركم...» ١٧- «من لكعب بن الأشرف؟» ١٨- «اللهم أكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشر وقوله الأشعار» ١٩- «من لي بابن الأشرف فقد آذاني» ٢٠- «سمه الصيحاني» ٢١- «أتدرون ما قالت النخلة؟..»

ص: ٢٥٤

ج- فهرس المساجد والأماكن الأثرية التي نشرت في الأعداد السابقة لمجلة ميقات الحج كالاتي:

- التسلسل الموضوع ميقات الحج ١- مسجد المصلّى (الغمامة) ٣: ٢٩٤٦- مسجد الإمام عليّ بن أبي طالب ٣: ٣٩٤٨- مسجد السقيا ٣: ٤٩٥٠- مسجد المنارتين ٣: ٥٩٥١- مسجد الإجابة ٣: ٦٩٥٢- مسجد السجدة أو البحير أو أبي ذر ٤: ٧١٢٢٣- مسجد السبق ٤: ٨١٢٢٤- كهف بنى حرام ٤: ٩١٢٢٦- مسجد الرابية ٤: ١٠١٢٢٧- مسجد الدرع ٤: ١١١٢٢٩- مسجد الشيخين أو البدائع أو المستراح ٤: ١٢١٢٣٠- جبل عينين (الرماء) ٤: ١٣١٢٣١- الزبية (الحفرة) ٥: ١٤٢٢٨- مسجد الفسح (المسجد المسور) ٥: ١٥٢٢٩- المهراس ٥: ١٦٢٣١- قبر النبي هارون عليه السلام ٥: ١٧٢٣٢- مسجد الكاتبية ٥: ١٨٢٣٣- مسجد المغيئلة ٥: ١٩٢٣٤- ثنية الوداع ٦: ٢٠٥٦٨- مسجد بنات النجار ٦: ٢١٥٦٩- مسجد الجمعة ٦: ٥٧١

ص: ٢٥٥

٢٢- مسجد ردّ الشمس ٦: ٢٣٥٧٣- بئر غرس ٧: ٢٤٨٧٢- مسجد الفقير ٧: ٢٥٨٧٥- مشربة أم إبراهيم ٧: ٢٦٨٧٧- مسجد الفضيخ ٧:
٢٧٨٧٩- جبل بنى قريظة ٨: ٢٨١١٤٦- حصن كعب بن الأشرف ٨: ٢٩١١٤٨- مسجد الصيحاني ٨: ٣٠١١٥٠- مسجد مصبح ٨: ١١٥١

د- فهرس المراجع

١- القرآن الكريم

٢- آثار المدينة المنورة، لعبد القدوس الأنصاري.

الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة- الطبعة الثانية ١٣٧٨ هـ.

٣- آداب الحرمين، للسيد جواد الحسيني، الدار العالمية للطباعة، الطبعة السابعة ١٩٨٨ م.

٤- أسباب النزول، لأبي الحسن علي الواحدي، دار الكتب العلمية- بيروت ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م.

٥- البدايه والنهائيه، لابن كثير، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨ م.

٦- تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان للطباعة- بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ هـ-
١٩٦٠ م.

٧- تاريخ المدينة المنورة، لابن شنه ت ٢٦٢ هـ، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، دار

ص: ٢٥٦

الاصفهانى للطباعة - جدّة ١٣٩٣ هـ.

٨- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً، لأحمد ياسين الخيارى، تحقيق: عبيد الله كردى، دار العلم - جدّة، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٩- تحقيق النصره بتخليص معالم دار الهجرة، لزين الدين المراغى، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعى، الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ.

١٠- جامع البيان عن تأويل آى القرآن، لأبى جعفر الطبرى، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

١١- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، طبعه دار إحياء التراث العربى - بيروت.

١٢- خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، للسهمودى، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٦٧ هـ.

١٣- الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين، لغالى محمد الأمين الشنقيطى، مطابع الدوحة الحديثه ١٩٨٨ م.

١٤- ردّ الشمس، لمحمد سعيد الطريحي - مؤسسه أهل البيت - بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

١٥- سنن الدارمى، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٦- سنن المصطفى، لابن ماجه - دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.

١٧- السيرة النبوية، لابن هشام ت ٢١٣ هـ، تحقيق: د. محمد فهمى السرجانى، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة ١٩٧٨ م.

١٨- الصحاح، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار، دار العلم للملايين - بيروت.

١٩- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: إدارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٢٠- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر - بيروت.

٢١- عمدة الأخبار فى مدينة المختار، لأحمد بن عبد الحميد العباسى، مطبعة المدنى -

ص: ٢٥٧

القاهرة، الطبعة الثالثة.

- ٢٢- عنوان النجابه فى معرفة من مات بالمدينة المنورة من مشاهير الصحابه، لمصطفى محمد الرافعى، الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ٢٣- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر، المطبعة السلفية- القاهرة ١٣٨٠ هـ.
- ٢٤- فضائل أمير المؤمنين علي بن أبى طالب عليه السلام، لابن شاذان- تحقيق: عبد الرحمن خويلد، مطبعة دار البلاغة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢٥- القاموس المحيط، للفيروز آبادى، مؤسسه الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢٦- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، للمتقى الهندى، تحقيق: فهمى محمد شلتوت، مطبعة البلاغة- حلب، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٢٧- مجمع البيان فى تفسير القرآن، للطبرسى، الناشر: دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م.
- ٢٨- مشكل الآثار، لأبى جعفر الطحاوى ت ٣٢١ هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند، الطبعة الأولى ١٣٣٣ هـ.
- ٢٩- المصباح المنير، للفيوى، المطبعة الأميرية بالقاهرة، الطبعة الخامسة ١٩٢٢ م.
- ٣٠- المعجم الصغير، للطبرانى، مطبعة المعرفة- القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٣١- المغانم المطابة فى معالم طابة، للفيروز آبادى، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات: دار اليمامة- الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- ٣٢- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، للسهمودى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

ص: ٢٥٨

معجم ما كتب في الحج والزيارة... (٥)

معجم ما كتب في الحج والزيارة والمعالم المشرفة في الحجاز (٥)

معجم ما كتب في الحج والزيارة والمعالم المشرفة في الحجاز (٥)

عبد الجبار الرفاعي

تعريف بمصادر دراسة الحج ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمعالم المشرفة في الحجاز، وما يرتبط بذلك. يشتمل على ما كُتِبَ من مؤلفات، ورسائل جامعية، وبحوث، ومقالات، باللغتين العربية والفارسية.

إشارات:

- ١- بلغ عدد العناوين ما يقارب (٣٠٠٠) عنوان.
- ٢- شملت التغطية الزمانية ما كُتِبَ منذ بداية التدوين عند المسلمين إلى اليوم.
- ٣- لا تمثل هذه القائمة استقراءً تاماً لجميع ما كُتِبَ في هذه الموضوعات، لذا يرجو المؤلف من السادة الكُتّاب إعلامه بأعمالهم التي لم تُرصد في القائمة على عنوان المجلة، كيما يجرى استدراكها حيثما ينشر هذا العمل في كتاب.
- ٤- اعتمدت المداخل على عناوين الكتب والبحوث والمقالات.
- ٥- رُتبت المداخل تبعاً للترتيب الهجائي التام، واعتبار الوحدة في الترتيب

ص: ٢٥٩

هي الكلمة، أي على أساس كلمة كلمة، ثم حرف حرف.
المختصرات:

ت: تاريخ الوفاء ج: الجزء ح: الحلقة
خ: نسخة مخطوطة د. ت: بدون تاريخ د. ن: بدون ذكر الناشر
س: السنة مط: المطبعة سم: سنتيمتر
ش: السنة الهجرية الشمسية ص: الصفحة ط: الطبعة
ظ: انظر ع: العدد ق ٧ ه: القرن السابع الهجري
م: السنة الميلادية مج: مجلد ه: السنة الهجرية القمرية
د. م: بدون ذكر مكان النشر في المطبوع
*** ٦٦٥- الحج في موكب التاريخ

أحمد الواسطي

ميقات الحج: ع ٤ (١٤١٦ ه) ص ١٤٠ - ١٥٠.

٦٦٦- الحج في نهج البلاغة

فارس تبريزيان

ميقات الحج: ع ٤ (١٤١٦ ه) ص ٥٩ - ٨٠.

٦٦٧- الحج في وحدة الفكر الإسلامي

على القاضي

منبر الإسلام (القاهرة) س ٤٩:

ع ١١ (١٩٩١ / ٥ م) ص ٤٧ - ٥١.

٦٦٨- الحج قبل مائة عام

(مذكورة وتقرير، اثر القيام برحلة سريه إلى مكة المكرمة ١٨٩٨ - ١٨٩٩ م)

عبدالعزیز دولتشین

تقديم: يقيم ريزمان

بيروت: دار التقريب، ١٩٩٣ م.

الاجتهاد (بيروت) س ٥: ع ٢١ (١٩٩٣ م) ص ١٨٩ - ٢١٠ (نقولا

ص: ٢٦٠

زيادة).

ميقات الحج: ع ٦ (١٤١٧ هـ) ص ٢١٧ - ٢٣٥.

٦٦٩- حج كنگره عبادى وسياسى

(مجموعه أحاديث وبيانات الإمام الخميني، بالفارسية)

طهران: مركز تحقيقات وانتشارات حج، ط ١، ١٤٠٥ هـ.

٦٧٠- حج كنگره عظيم اسلامى

(بالفارسية)

حيدر على قلمداران

طهران: ١٣٨١ هـ، ٥٢ ص، ٢١ سم.

٦٧١- حج گزارى در تاجيكستان

(بالفارسية)

ميقات حج: ع ١٥ (بهار ١٣٧٥ ش) ص ١٩٢ - ١٩٦.

٦٧٢- حج گزارى در كشورهاي اسلامى

(بالفارسية)

ميقات حج س ٣: ع ١٠ (١٣٧٣ ش) ص ١٤٨ - ١٥٣.

٦٧٣- حج گزارى در مالزى

(بالفارسية)

ميقات الحج س ٢: ع ٦ (زمستان ١٣٧٢ ش) ص ١٦٩ - ١٩٠.

٦٧٤- الحج ليس وثنية

إبراهيم النعمة

الموصل: مط: الجمهور، ١٩٧٩ م، ٦٤ ص.

٦٧٥- الحج مؤتمر عالمى

جعفر شرف الدين

المعارج (بيروت) مج ٢: ع ١٥ (٨- ١٢ / ١٤١٢ هـ / ٣- ٦ / ١٩٩٢ م) ص ١١ - ١٢.

٦٧٦- الحج مؤتمر عام

هاشم الحاج باقر الحداد

النجف: مط: الغرى الحديثه، د. ت، ٨ ص.

٦٧٧- الحج مؤتمر عبادى سياسى: مجموعه خطابات ونداءات الإمام الخمينى قدس سره.

ترجمة عبدالكريم حداد.

طهران: مركز الحج للدراسات والنشر، ط ١، ١٣٦٦ ش، ٣٠٤ ص،

ص: ٢٤١

٢١ سم.

طهران: مكتب مندوب القائد والمشرف على الحجاج الإيرانيين، ١٣٧٠ ش / ١٩٩١ م، ٢٠٣ ص.

٦٧٨- الحج المبرور في آثار الرسول

صباح العاني

بغداد: مطبعة عصام، ١٩٨٨، ٢٩ ص.

٦٧٩- الحج المبرور وجزاؤه

عبد الحميد الصيفي

الإسلام وطن (القاهرة) س ٢: ع ١٦ (٨ / ١٩٨٨ م)

ص ٤٤ - ٤٧.

٦٨٠- الحج المبرور والذنب المغفور

عبد الله الواعظ الفرهادي

بغداد: مط: المتبني، ١٩٥٧ م، ١٦ ص.

٦٨١- الحج المبرور والسعي المشكور: وصايا للحاج والمعتمر وزائر مسجد الرسول

القاهرة: دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥ م، ٦٢ ص.

٦٨٢- حج، مجموعة مقالات

(بالفارسية)

تأليف: مجموعة من المؤلفين

جمع وتنظيم: (إداره پژوهش ونگارش).

طهران: وزارة الارشاد الاسلامي، ١٣٦١ ش، ٢٩٤ ص.

٦٨٣- الحج المخطر: جواب السائلين عن الحج في سلطة الوهابيين.

هبة الدين الشهرستاني

بغداد: المط: العصرية، ١٩٢٤ م

٦٨٤- الحج مظهر للطاعة وموسم للمغفرة

محمد رجاء حنفي

الوعي الإسلامي (الكويت) س ٢٦:

ع ٣١١ (٦ / ١٩٩٠ م)

ص ٤٠ - ٤٥.

٦٨٥- الحج معروف منذ قديم الزمان وعند مختلف الأديان

محمد طنطاوي

العربي (الكويت) ع ١٥٤

ص: ٢٦٢

١٩٧١ / ٩ م) ص ١٣٦.

٦٨٦- حج مكتوب

(بالفارسية)

علي قادري

تاريخ وفرهنگ معاصر (قم) س ١:

ع ٣ و ٤ (بهار وتابستان ١٣٧١ ش)

ص ٤١٢ - ٤٢٩.

٦٨٧- كتاب الحج من خلاصة الحقائق في شرح شرايع الإسلام

محمد رضا المشتهر بالمحقق الطهراني

قم: ط ١، ١٣٦٤ ش، ٤٢٤ ص، ٢٤ سم.

٦٨٨- الحج من شرح كتاب القواعد

محمد حسن المظفر

تقديم وتصحيح: محمد رضا المظفر.

النجف: مط: النعمان (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م)، ج ٧، ٥٢٠ ص.

٦٨٩- الحج: مناسكه وأهدافه

بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٥ م، ٤٦ ص.

٦٩٠- الحج: مناسكه وواجباته وفقاً لآراء الإمام روح الله الموسوي الخميني

محمد علي آذرشب

طهران: وزارة الإرشاد الإسلامي، ١٤٠٤ هـ، ٣١ ص، ٢١ سم.

٦٩١- الحج منحة ربانية

جاد الحق علي جاد الحق

الأزهر (القاهرة) س ٦٢: ع ١١ (٦ / ١٩٩٠ م) ص ١٠٩٢ - ١٠٩٦.

المجاهد (القاهرة) ع ١١٦ (٧ / ١٩٩٠ م) ص ١٠ - ١١.

٦٩٢- الحج منذ عهد الخليل إبراهيم

بدرت نوال بدير

الهداية (المنامة) س ١١: ع ١٢٩ (٧ / ١٩٨٨ م) ص ١٦ - ١٩.

٦٩٣- الحج منطلق الوحدة الإسلامية

إعداد: مجلة الشهيد

طهران: ٦١ ص، ١٧ سم.

٦٩٤- الحج مهرجان إعلامي ودعوى لانظير له ولكننا لانستثمر معطيته، ونضيع

ص: ٢٦٣

إمكاناته

محيى الدين عبدالحليم

الفصل (الرياض) ع ٢٢٢ (١٢/١٤١٥ هـ - ٥/١٩٩٥ م) ص ٥٥.

٦٩٥- الحج موسم عبادى وملتقى سياسى

جعفر سبحانى

طهران: وزارة الإرشاد الإسلامى، ط ١، ١٣٦٤ ش، ٢٤ ص.

٦٩٦- حج نامه

(بالفارسيه)

أحمد مسكين

باهتمام: رسول جعفریان

مىقات حج: ع ١٣ (پاییز ١٣٧٤ ش) ص ١٦٢-١٦٦.

٦٩٧- حج نامه

(بالفارسيه)

صوفى الله يار بن الله قلى الله يار

ظ: ازبکستان طاشقند ١/٢٢٧،

فهرست واره منزوى ١/٧٥.

٦٩٨- حج نامه

(تقرير رحلة فى ١٩٧٢ م، بالفارسيه)

على نقى منزوى

مطبوع

ظ: فهرستواره منزوى ١/٧٥.

٦٩٩- حج نامه

(بالفارسيه)

منصور عليشاه عباسعلى بن اسماعيل كيوان قزوینی

طهران: ١٢٤٨ هـ، حجریه.

طهران: ١٣٠٨، ٦٢ ص، حجریه

٧٠٠- الحج هجرة إلى الله

جعفر شرف الدين

المعارج (بيروت) مج ٢: ع ١٥ (٨-١٢/١٤١٢ هـ / ٣-٦/١٩٩٢ م) ص ٣٨-٤٠.

٧٠١- الحج هجرة إلى الله

السيد رزق الطويل

منبر الإسلام (القاهرة) س ٤٦: ع ١٢ (٧/١٩٨٨ م)

ص ٢٨ - ٣١.

٧٠٢- حج ٧٥ از ديدگاه نماينده ولى فقيه و أمير الحاج

(بالفارسيه)

ميقات حج: ع ٥ (بهار ١٣٧٥ ش)

ص: ٢٦٤

ص ١٥٠-١٦٢.

٧٠٣- الحج وآثاره على الحياة الاجتماعية

محمد علي التسخيري ومحمود قانصوه

طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، معاونية العلاقات الدولية ١٣٦٩ ش / ١٩٩٠ م، ١٠٢ ص.

٧٠٤- حج و ابراهيم عليه السلام شامل آيات قرآن مجيد در باره حج و ابراهيم به ترتيب نزول

(بالفارسية)

طهران: شركت سهامی انتشار، ١٣٥٩ ش، ٧٢ ص، ٢١ سم.

٧٠٥- الحج و اثره التربوي في السلوك

فؤاد علي مغير

المجاهد (القاهرة) ع ١١٦ (٧ / ١١٩٠ م) ص ١٨-٢١.

٧٠٦- الحج وأحكامه: دراسة تحليلية

جمال الدين محمد عطوة

القاهرة: ١٩٨٦ م، ٢٩٩ ص.

٧٠٧- الحج وأحكامه

محمد حسن شمس

الهداية (البحرين) س ١٢: ع ١٤١ (١٠٦ / ١٩٨٩ م) ص ١٦-٢٠.

٧٠٨- الحج وأحكامه

وهبي غاوجي

بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦ م، ٢٢٣ ص.

٧٠٩- حج وادي امن

(بالفارسية)

حسين انصاريان

طهران: الإسلامية، ١٣٥٥ ش، ٢٠٠ ص.

٧١٠- الحج وإعادة ترتيب النفس

محمد المهدي

النفس المطمئنة (القاهرة) س ٦:

ع ٢٣ (٧ / ١٩٩٠ م) ص ٤-٦.

٧١١- حج و امر بمعروف

(بالفارسية)

محمد شيرازي

ترجمه: مصطفى زمانى

مشهد: ١٣٤٩ ش، ١٣٦ ص.

ص: ٢٦٥

٧١٢- الحج وانظمتة الثلاثة

محمد محمود الشرقاوى

منار الإسلام (أبو ظبى) س ١٦:

ع ١١ (٥/ ١٩٩١ م)، ص ١٨-٢٢.

٧١٣- حج وانقلاب

(بالفارسيه)

ابو بصير

طهران: اوج، ط ١، ١٣٦٠ ش.

٧١٤- حج وانقلاب اسلامى

(بالفارسيه)

طهران: وزارة الارشاد الإسلامى، ط ١، ١٣٦٢ ش.

٧١٥- الحج وأهميته الدينيه

المنهل (جدة) مج ٣: ج ٣ (٢/ ١٣٥٨ هـ / ٣/ ١٩٣٩ م) ص ٢.

٧١٦- الحج وبعده السياسى فى الإسلام

محمد أحمد حامد محمد خير

(د. م): (د. ن)، ١٩٨٨ م، ٤٠ ص، ٢٤ سم.

٧١٧- الحج وتكريم أهل الإيمان

محمود سليم الشريف

المجاهد (القاهرة) س ٩: ع ٩٢ (٨/ ١٩٨٨ م) ص ٣٣-٣٤.

٧١٨- الحج وتنمية الترابط بين المسلمين

جاد الحق على جاد الحق

المجاهد (القاهرة) س ٩: ع ٩٢ (٨/ ١٩٨٨ م) ص ٢.

٧١٩- حج و جهاد

(بالفارسيه)

مصطفى زمانى

مشهد: مكتبة جعفرى.

٧٢٠- الحج والجهاد ... المفاهيم المتكامله

عبد الكريم آل نجف

مىقات الحج: ع ٤ (١٤١٦ هـ) ص ٢١٠-٢١٧.

٧٢١- الحج وحده .. وانتصار

كاظم السباعى

(د. م): السيد المدرسى، ط ٤، ١٣٦٤ ش، ٨٤ ص، ١٧ سم.

٧٢٢- الحج والحركة السكانية:

دارسة في المجتمع الإسلامي

محمود عبد الحميد حسين

الفكر الإسلامي (بيروت) س ١٧:

ص: ٢٦٦

ع ٧ (١٩٨٨ / ٧) ص ٣٦ - ٥٥.

٧٢٣- حج وداع: رفت و آمد میهمانان خارجی و هیأت های اعزامی، تکمیل دین و انتقال عهد ولایت (بالفارسیه)

عبد الکریم بی آزار الشیرازی

(د. م): المؤلف، ١٣٦٦ ش، ١٦ ص، مصور.

٧٢٤- الحج ودوره الهام في تحقيق القيادة المسلمة الواحدة

عباس علی عمید الزنجانی

التوحيد (طهران) ع ٢٩ (١١- ١٢ / ١٤٠٧ هـ / ٧- ٨ / ١٩٨٧ م) ص ٣١ - ٣٩.

٧٢٥- الحج ودوره الهام في حياة الإنسان

طهران: منظمة الإعلام الإسلامي؛ قسم العلاقات الدولي، ١٤٠٣ هـ / ١٣٦١ ش، ٣٢ ص.

٧٢٦- حج و راه و روش آن

(بالفارسیه)

محمد علی أنصاری

طهران: طهوری، ١٣٤٧ ش، ٦٧٩ ص.

٧٢٧- حج و زیارت

(بالفارسیه)

محسن بن محمد الحسینی

خ: مكتبة ملی ملك بطهران ضمن مجموع برقم ٢٦١٩.

٧٢٨- حج و زیارت

(بالفارسیه)

محمد صادق نجمی

قم: دفتر انتشارات اسلامی، ط ٣، ١٣٦١ ش.

٧٢٩- حج و زیارت

انتقال تشکیلات مدیریتی، خط مشی ها و وظایف

(بالفارسیه)

مسعود عالیخانی

میقات حج: ع ٢٠ (تابستان ١٣٧٦ ش) ص ١٦٨ - ١٧٨.

٧٣٠- الحج والسلام

محمد مهدی الآصفی

رسالة القرآن: ع ١٢ (١٠- ١٢ / ١٤١٣ هـ) ص ١٣١ - ١٤٤.

ص: ٢٦٧

٧٣١- الحج والسلام العالمي

عبد الكريم آل نجف

ميقات الحج: ع ٣ (١٤١٦ هـ) ص ٩٧-١١٢.

٧٣٢- حج وشاعران قرن ششم

(بالفارسية)

خليل الله يزداني

ميقات حج: ع ١٨ (زمستان ١٣٧٥ ش) ص ١٤٠-١٥٧.

٧٣٣- الحج وطواف الفكر

نزیه الحسن

الثقافة الإسلامية (دمشق) ع ٣٢ (٧ / ١٩٩٠ م) ص ١٠٥-١٢٠.

التوحيد (طهران) ع ٤٧ (١١-١٢ / ١٤١٠ هـ / ٦-٧ / ١٩٩٢ م) ص ١٠٨-١٢٣.

٧٣٤- الحج الوظائف المغيبة والتلبية المبتورة

رسالة الجهاد (مالطا) س ١٠:

ع ١٠٠ (٦ / ١٩٩١ م) ص ٥-٧.

٧٣٥- الحج والعمرة

أبو بكر الجزائري

الرابطة (مكة المكرمة) س ٢٦:

ع ٢٨٠ (٦ / ١٩٨٨ م) ص ٣٦-٣٥.

٧٣٦- الحج والعمرة

أسعد الصاغري

جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية

٧٣٧- الحج والعمرة

جمعة مكي

القاهرة: دار الهدى، ١٩٩٣ م، ٤٧٣ ص.

٧٣٨- الحج والعمرة

الشهيد الثاني

خ: ملى، ملك، ضمن مجموع برقم ٢٣٩٥.

٧٣٩- الحج والعمرة

على الشريجي

دمشق: دار البشائر، ١٩٩٤ م، ١٩٢ ص.

٧٤٠- الحج والعمرة

محمد حسين

الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٤ م، ٤٣ ص.
٧٤١- الحج والعمرة، أحكامهما وأثرهما في بناء المجتمع

ص: ٢٦٨

الإسلامي

رفعت فوزى عبد المطلب

القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١، ١٩٩٠ م، ٥٨٧ ص.

(٤) ص لوحات، خرائط.

٧٤٢- الحج والعمرة، دعوة الله المتجددة للإنسانية

محمود محمد رسلان

الأزهر (القاهرة) س ٦٠: ع ١٢ (٧/ ١٩٨٨ م)، ص ١٥٧٨-١٥٨٤.

٧٤٣- الحج والعمرة- فقهه- اسراره- حجة النبي صلى الله عليه وآله

محيى الدين مستو

دمشق: دار القلم، ط ١، ١٩٧٧ م، ٣٠٣ ص، ١٦* ١٢ سم.

٧٤٤- الحج والعمرة في الفقه الإسلامي

نور الدين عتر

بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٤ هـ، ٣١٤ ص، ٢٤ سم.

٧٤٥- الحج والعمرة والأدعية المأثورة

أحمد عرموش

بيروت: دار النفائس، ١٩٩٢ م، ١٠٣ ص.

٧٤٦- الحج وفلسفة التوحيد

محمد جمال الدين محفوظ

الحرس الوطني (الرياض) س ١٠:

ع ٨٢ (٧/ ١٩٨٩ م) ص ١٦-١٨.

٧٤٧- الحج وقدرة المسلمين

محمد الجمل

المجاهد (القاهرة) ع ١١٦ (٧/ ١٩٩٠ م) ص ١٢-١٣.

٧٤٨- الحج ومقارعة المسلمين للاستكبار الشرقي والغربي

حسين الموسوى

التوحيد (طهران) ع ٢٣ (١١- ١٢/ ١٤٠٦ هـ / ٨- ٩/ ١٩٨٦ م) ص ٧١-٧٥.

٧٤٩- الحج ومكانته في الإسلام

صلاح أحمد الطنوبى

منبر الإسلام (القاهرة) س ٤٦:

ع ١١ (٦/ ١٩٨٨ م) ص ٢٩-٣١.

٧٥٠- الحج .. والميثاق الإسلامى لحقوق الإنسان

جمال الدين محمود

ص: ٢٦٩

منبر الإسلام (القاهرة) س ٤٨:

ع ١٢ (٧/ ١٩٩٠ م)

ص ١٨ - ١٩.

٧٥١- حج و ولايت

(بالفارسية)

محمد تقى رهبر

ميقات حج: ع ٢٠ (تابستان ١٣٧٦ ش) ص ٢٥ - ٤٠.

٧٥٢- حج يا كنگره جهانى مسلمين

(بالفارسية)

محمد حسين النائيني

ترجمة: محمد باقر فالى

قم: مكتبة الإمام المهدي (عج)، ١٣٦٣ ش، ٢٤٠ ص.

٧٥٣- الحج بينى الفرد والأمة

التوحيد (طهران) ع ٥ (١١- ١٢/ ١٤٠٣ هـ / ٨- ٩/ ١٩٨٣ م) ص ٥ - ٩.

٧٥٤- حج

(بالفارسية)

يوسف رضايى

قم: دار التبليغ الإسلامى، ط ١، ١٣٩٨ هـ.

٧٥٥- حجاج شيعى در دوره صفوى

(بالفارسية)

رسول جعفرىان

ميقات حج س ٢: ع ٤ (تابستان ١٣٧٢ ش) ص ١١٧ - ١٢٧.

٧٥٦- الحجاز: أرضه وسكانه

عمر الفاروق السيد رجب

جدة: دار الشروق، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ٣٨٤ ص.

٧٥٧- الحجاز بين الماضى والحاضر

محمود أبار

المنهل (جدة) مج ٩: ج ١١- ١٢ (١١- ١٢/ ١٣٦٨ هـ / ٩- ١٠/ ١٩٤٩ م) ص ٤٦١ - ٤٦٧.

٧٥٨- الحجاز فى القرن السابع الهجرى على ما فى رحلة ابن رشيد الأندلسى

محمد بن عمر بن رشيد

العرب مج ٣: ج ٥ (١١/ ١٣٨٨ هـ) ص ٤٤٢ - ٤٥٨، ج ٦،

ص: ٢٧٠

(١٢/ ١٣٨٨ هـ) ص ٥٠٧ - ٥٧١، ج ٧ (١/ ١٣٨٩ هـ)، ص ٦٤٣ - ٦٦٠، ج ٨ (٣/ ١٣٨٩ هـ)، ص ٧٤٩ - ٧٥٤، ج ١٠ (٤/ ١٣٨٩ هـ)، ص ٩٤٤ - ٩٥٧، ج ١١ (٥/ ١٣٨٩ هـ)، ص ١٠٣٧ - ١٠٤٨، ج ١٢ (٦/ ١٣٨٩ هـ) ص ١١١١ - ١١١٨، مج ٤: ج ١ (رجب ١٣٨٩ هـ) ص ٥٦ - ٦٣، ج ٢ (٨/ ١٣٨٩ هـ)، ص ١٦٠ - ١٦٨.

٧٥٩- الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب

عبدالله الوهيبى

مجلة كلية الآداب (الرياض) مج ١ (١٩٧٠ م) ص ٥٣ - ٧٠.

٧٦٠- الحجاز ميناء المدينة القديم البريكة حالياً

عبد الكريم الخطيب

الدارة س ٩: ع ٤ (٤/ ١٩٨٤ م) ص ٦٥ - ٧٢.

٧٦١- الحجاز والحرمان الشريفان في القرن الثالث عشر

جعفر شهيدى

في: الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض): ٥/ ١٣٩٧ هـ / ٤/ ١٩٧٧ م).

وفي: ندوة الحج الدولية (لندن ٤- ١٧ اغسطس ١٩٨٢ م)

مقات الحج ع ١ (١٤١٥ هـ) ص ١٣٥ - ١٤٢.

٧٦٢- الحجاز والدولة الإسلامية:

دراسة في اشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجرى

ابراهيم بيضون

بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٣، ٤١٦ ص.

الفكر العربى س ٥: ع ٣٥، ٣٦ (٩- ١٢/ ١٩٨٣ م) ص ٢٦٨ - ٢٧٥ (فايز ترحينى)

٧٦٣- الحجازيات

(مجموعه من الفوائد المتفرقة دونها المؤلف في رحلته للحج من طريق الهند)

ص: ٢٧١

محمد علي هبة الدين الشهرستاني

الذريعة ظ ٦/ ٢٥٤.

٧٦٤- الحجازيات

(شعر)

الشريف الرضي

ميقات الحج: ع ٤ (١٤١٦ هـ) ص ٢٠٥ - ٢٠٩.

٧٦٥- حجازيه

(رحلة الى الحجاز في بداية حكم الملك اويس الجلايري سنة ٧٥٧ هـ، بالفارسيه)

محمد بن حسين يزدي

ظ:

فهرس مشترك ١٠/ ٢١٥،

فهرس نسخهها ٦/ ٣٩٩٩،

فهرس آستان قدس ٧/ ١٧٩، فهرستواره منزوي ١/ ٧٥.

٧٦٦- حجازيه

(بالفارسيه)

أبو الأشرف محمد يزدي ت ٧٦٢ هـ

تحقيق: محمد جعفر ياحقي

مشهد: بنياد پژوهشهای إسلامی (مع: مجموعه رسائل خطی فارسی).

٧٦٧- الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة

جلال الدين السيوطي

تحقيق: عبدالله محمد الدرويش

دمشق - بيروت: دار اليمامة، ١٩٨٥ م، ٨٥ ص.

٧٦٨- حجر اسماعيل

(بالفارسيه)

محمد امين پور اميني

ميقات حج س ٢: ع ٨ (تابستان ١٣٧٣ ش)، ص ١٠٢ - ١١٧، س ٣: ع ٩ (پايز ١٣٧٣ ش) ص ١٠٧ - ١٣٠.

٧٦٩- حجر اسماعيل في مسيرته التاريخيه والفقهيه

محسن الاسدي

ميقات الحج. س ٣: ع ٥ (١٤١٧ هـ) ص ١٠٤ - ١٤٨.

٧٧٠- الحجر الأسود

محسن الاسدي

ميقات الحج: ع ٤ (١٤١٦ هـ) ص ١٥١ - ١٧٩.

٧٧١- الحجر الأسود: إشارات

ص: ٢٧٢

ودلالات.

منبر الإسلام س ٤٧: ع ١ (٨ / ١٩٨٨ م) ص ٥٤ - ٥٦.

٧٧٢- الحجر الأسود بين الإمام العابد والسلطان الزائف

عبد المطلب محمد

مبقات الحج. س ٣: ع ٥ (١٤١٧ هـ) ص ٩٤ - ١٠٣.

٧٧٣- الحجر الأسود وحقيقة عنصره

خطاب بك محمد

لواء الإسلام (القاهرة) ع ٥ (١٩٥٠ م) ص ٢٩١ - ٢٩٥.

٧٧٤- الحجر ليس مدائن صالح:

مناقشات وتعليقات

حمد الجاسر

الفيصل (الرياض) س ٣: ع ٣١ (١ / ١٤٠٠ هـ / ١٢ / ١٩٧٩ م) ص ١٠٠ - ١٥٦.

٧٧٥- حجة الإسلام

ابن حجر العسقلاني

جمع وتحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي

القاهرة: دار الحديث، ١٩٨٨ م، ١٢٥ ص.

٧٧٦- حجة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

قافلة الزيت مج ١٩: ع ١٢ (١ - ٢ / ١٩٧٢ م) ص ٤ - ٥.

٧٧٧- حجة رسول الله صلى الله عليه وآله كأنك تراها

المجاهد (أفغانستان) س ٣: ع ٣٢ (٧ / ١٩٩١ م) ص ٢٨ - ٣٤.

٧٧٨- حجة لا ينساها التاريخ

حبيب الرحمن الأعظمي

المنهل (جدة) مج ١٧: ج ٩ (١١ / ١٣٧٦ هـ / ٦ / ١٩٥٦ م) ص ٦٠٥ - ٦٠٨.

٧٧٩- حجة المصطفى

أحمد بن عبد الله الطبري ت ٦٩٤ هـ

القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.

٧٨٠- حجة المصطفى بينها نور الوهاج في ايضاح مناسك الحج هاشم بن عبد السلام الظاهر

الموصل: مط الهدف، ١٩٥٥ م، ٣٢ ص.

ص: ٢٧٣

٧٨١- حجة النبي صلى الله عليه وآله

عمر يوسف حمزة

في: الندوة العالمية الأولى للحج وأحكامه (حيدرآباد، الهند:

١٩٨٨ م).

٧٨٢- حجة النبي صلى الله عليه وآله

محمد حيان السمان

الفيصل س ٥: ع ٥٤ (١٠/ ١٩٨١ م) ص ٧٢-٧٧.

٧٨٣- حجة النبي صلى الله عليه وآله

محمد ناصر الدين الألباني

دمشق: ط ١، ١٣٧٣ هـ، ١٤٨ ص.

دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٤ هـ، ١٤٩ ص و ١٩٦٧ م، ١٦١ ص.

دمشق: المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٧١ م، ١٥٢ ص، ١٧ سم.

القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٩٧٦ م.

بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٥، ١٤٩ ص.

٧٨٤- حجة النبي وعمرته

احمد عبد الغفور عطار

ت ١٤١١ هـ

(د. م): ط ١، ١٣٧٧ هـ، ١٨٢ ص.

٧٨٥- حجة الوداع

عباس الهمداني

النور (لندن) ع ٣٦ (١١/ ١٤١٤ هـ / ٥/ ١٩٩٤ م) ص ٥٠-٥١.

٧٨٦- حجة الوداع

عبدالله بن الغني خياط

التضامن الإسلامي (مكة المكرمة) س ٤٠: ج ٥ (ذو القعدة ١٤٠٦ هـ) ص ٣٩-٤٧.

٧٨٧- حجة الوداع

علي بن أحمد بن حزم ت ٤٥٦ هـ

تحقيق: ممدوح حقي

بيروت: ١٩٥٦ م، ١٦٤ ص.

بيروت: دار اليقظة، ط ٢، ١٩٦٦ م، ٢٨٧ ص.

٧٨٨- حجة الوداع

محمد علي التنكابني

الفكر الإسلامي (طهران) س ١: ع ٣ (١٢/ ١٣٩٢ هـ) ص ٣٥-٣٧.

٧٨٩- حجة الوداع: منظر الحج

م. نسيم عثمان

ص: ٢٧٤

في: ندوة الحج الدولية (لندن):

المعهد الإسلامي، ٤-٧ أغسطس ١٩٨٢ م).

٧٩٠- حجة الوداع وعمرات النبي صلى الله عليه وآله

محمد زكريا الكاندهلوى

الهند: مطبعة ندوة العلماء بلكنهو، ط ١، ٢٠٨ ص، ٥/١٨ * ٥/٢٤ سم.

الهند: مطبعة ندوة العلماء بلكنهو، ط ٢، ١٣٩٠ هـ، ٣٠٧ ص (تقديم:

أبي الحسن على الحسنى الندوى).

٧٩١- حجوا كما حج النبي المصطفى

محمد عبده يمانى

القافلة (ظهران) مج ٤٤: ع ١٢ (ذو الحجة ١٤١٦ هـ) ص ٢-٧.

٧٩٢- الحُجُون

حمد الجاسر

العرب (الرياض) س ٢: ص ٨٦٥

س ٢٠: ع ١١-١٢ (٥)، ١٤٠٦/٦ هـ، ١/٢، ١٩٨٦ م) ص ٨٣٤-٨٣٧.

٧٩٣- حدائق الجنان فى الزيارات

(بالفارسية)

محمد صالح بن عبد الواسع الحسينى

(صهر العلامة المجلسى)

ظ: مرآة الكتب ٢/ ١٩٠، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٤٣٦.

٧٩٤- حدود الحرم المكى الشريف وعلاماته

عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

ظ:

موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ٣٧٦.

٧٩٥- حدود حمى المشاعر

حمد الجاسر

العرب س ٢٢: ص ٤٦٧.

٧٩٦- حدود عرفات

حمد الجاسر

العرب س ٢٢: ص ٣١٣.

٧٩٧- حدود عرفات، مزدلفة، منى

حسن الجواهرى

ميقات الحج ع ١ (١٤١٥ هـ) ص ١٤٣-١٦٨.

ص: ٢٧٥

٧٩٨- حدود منى ومزدلفة

العرب س ٢٢: ص ١٦٥

٧٩٩- الحديبية بعضها حلّ وبعضها حرم

العرب س ٢٣: ص ٥٣٨

٨٠٠- حديث الأضحى

محمد محمد الشرقاوى

منار الإسلام (أبو ظبي) س ٢٠:

ع ١٢ (١٢/١٤١٥ هـ / ٥/١٩٩٥ م) ص ١٣-١٥.

٨٠١- حديث عن الأدب في المدينة المنورة

عبد الرؤوف عبد الباقي

المنهل (جدة) مج ٥: ج ١ (٤/١٣٥٦ هـ / ٥/١٩٣٧ م) ص ١٦-١٩.

٨٠٢- حديث عن الحج وكلمة حق لحجاج بيت الله الحرام

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ١٤٥ (١٤٠١ هـ) ص ١-٥.

٨٠٣- حديث عن حجة الوداع

محمد شطا

المنهل (جدة) مج ٣: ج ٣ (٢/١٣٥٦ هـ / ٤/١٩٣٧ م) ص ٦-١١.

ج ٤ (٣/١٣٥٦ هـ / ٥/١٩٣٧ م) ص ١٧-٢٠.

٨٠٤- حديث عن مكاتب المدينة المنورة وما فيها من النفائس

عبد المجيد الحريرى

المنهل (جدة) مج ١١: ج ٩-١٠ (١١-١٢/١٣٧٠ هـ / ٨-٩/١٩٥١ م) ص ٣٧٠-٣٧٩.

٨٠٥- حديث القرآن عن فريضة الحج

محمد سيد طنطاوى

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ٢١ (١٣٨٩ هـ) ص ٢٠-٢٥.

٨٠٦- حديث الكتب ووصف المدينة المنورة في ١٣٠٣-١٨٨٥ م

على موسى الأفندى

العرب مج ٧: ج ٢ (شعبان ١٣٩٢ هـ) ص ١٣٤-١٣٧.

٨٠٧- حرا، مطلع وحى

(بالفارسية)

ص: ٢٧٦

ترجمة: مهدي پيشوايي

مىقات حج: ع ١٤ (زمستان ١٣٧٤ ش) ص ١٠٥-١١٥.

٨٠٨- حرز الحجاز فى زيارة بيت الله الحرام وزيارة مرقد خير الأنام

أفضل الدين ابراهيم بن على العجمى الملقب بحسان العجم المعروف بالخاقانى ت ٥٨٢

ظ:

أعيان الشيعة ١٩٧/٦.

٨٠٩- الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله

عبد العزيز بن ابراهيم بن سلمان العمرى

الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، ١٤٠٥ هـ، (رسالة ماجستير) الرياض: ١٤٠٦ هـ، ٣٨٤ ص.

٨١٠- حرك سواكن الغرام الى حج بيت الله الحرام

الكرمى بن يوسف ت ١٦٢٤ م.

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- ١٤١٠ / ٤ / ١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٤

٨١١- الحركة العلمية فى عصر الرسول صلى الله عليه و آله والخلفاء الراشدين

محمد السيد الوكيل

(جدة): دار المجتمع، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ١٨٧ ص، ٢٤ سم.

٨١٢- حرم جناب ابراهيم فرزند رسول خدا

(بالفارسية)

محمد صادق نجمى

مىقات حج س ٢: ع ٨ (تابستان ١٣٧٣ ش)، ص ١٢٤-١٤٢.

٨١٣- حرم المدينة المنورة وتجديده

على حافظ

المنهل (جدة) مج ٢٤: ج ٦ (١٣٨٣ / ٦ / ٩ - ١٠ / ١٩٦٣ م) ص ٣٣٠.

٨١٤- الحرم المكى الشريف والأعلام المحيطة به

ص: ٢٧٧

عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

العرب س ٣٠: ج ٩، ١٠ (٣-١٤١٦/٤ هـ) ص ٥٨٤-٥٩٣، ج ١١، ١٢ (٥-١٤١٦/٦ هـ) ص ٧٢٨-٧٤٣.

س ٣١: ج ١، ٢ (٧-١٤١٦/٨ هـ) ص ٢٣-٣٣، ج ٣، ٤ (٩-١٤١٦/١٠ هـ، ٢، ٣/١٩٩٦ م) ص ١٦٥.

ج ٥، ٦ (١١-١٤١٦/١٢ هـ، ٤، ٥/١٩٩٦ م) ص ٢٩٥-٣٠٧.

ج ٧، ٨ (١، ٢/١٤١٧ هـ، ٦، ٧/١٩٩٦ م) ص ٤٤١-٤٥٢.

ج ٩، ١٠ (٣، ٤/١٤١٧ هـ، ٨، ٩/١٩٩٦ م) ص ٥٨٣-٥٩٧.

ج ١١، ١٢ (٥، ٦/١٤١٧ هـ، ٩، ١٠/١٩٩٦ م) ص ٧٢٦-٧٤٢.

س ٣٢: ج ١، ٢ (٧-١٤١٧/٨ هـ، ١١، ١٢/١٩٩٦ م) ص ٧-٢٢.

ج ٣، ٤ (٩-١٤١٧/١٠ هـ، ١، ٢/١٩٩٧ م) ص ١٤٩-١٦٣.

ج ٥، ٦ (١١، ١٢/١٤١٧ هـ، ٣، ٤/١٩٩٧ م) ص ٣٠٩-٣٢١.

ج ٧، ٨ (١، ٢/١٤١٨ هـ، ٦، ٧/١٩٩٧ م) ص ٤٤٥-٤٥٩.

ج ٩، ١٠ (٣، ٤/١٤١٨ هـ، ٨، ٩/١٩٩٧ م) ص ٥٩٧-٦١١.

٨١٥- الحرم المكي في مرآة الفقه

عبد الكريم آل نجف

ميقات الحج. س ٤: ع ٧ (١٤١٨ هـ) ص ١١٧-١٤١.

٨١٦- الحرم المكي وحدوده

عبد الله بن عبد الرحمن البسام وآخرون

العرب س ٢٢: ص ٥.

٨١٧- حرم منطقه آزاد وقلب جهان اسلام

(بالفارسية)

عباس على عميد الزنجاني

ميقات حج س ١: ع ٢ (زمستان ١٣٧١ ش)، ص ٩١-١٠٣.

٨١٨- حرم همسران ودختران رسول خدا

(بالفارسية)

محمد صادق نجمي

ميقات حج. س ٤: ع ١١ (بهار)

ص: ٢٧٨

١٣٧٤ ش) ص ١٦٤ - ١٧٩.

٨١٩- الحرمان الشريفان قمة العمارة الإسلامية (كتاب توثيق عن الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة)

منصور حسين عطار

تقديم: عبدالله عمر نصيف، ورضا محمد سعيد عبيد

جدة: دار الخشرمي، [١٩٩٤ م].

٨٢٠- الحرمان الشريفان وحجاجهما وتاريخ الإرهاب

على خازم

ميقات الحج: ع ٤ (١٤١٦ هـ) ص ٢١٨ - ٢٢٥.

٨٢١- حرمة الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى

أحمد عبد الرحيم السايح

الرابطة (مكة المكرمة) س ٢٦:

ع ٢٨١ (٧/ ١٩٨٨ م) ص ١٧ - ٢١.

الفكر الإسلامي (بيروت) س ١٧:

ع ٨ (٨/ ١٩٨٨ م).

المنهل (جدة) مج ٥١: ع ٤٧٥ (٣- ٤/ ١٤١٠ هـ) ص ١٤ - ٢١.

٨٢٢- حرمين شريفين

(بالفارسية)

ابراهيم غفاري

طهران: انتشارات اسوه وابسته به سازمان اوقاف وامور خيريه.

٨٢٣- الحرمين الشريفين

عظمت شيخ

ايطاليا: المؤلف، ١٩٨٣ م.

٨٢٤- حرمين شريفين (تاريخ مكة والمدينة)

(بالفارسية)

حسين قره چانلو

طهران: امير كبير، ط ١، ١٣٦١ ش، ١٨٩ ص، ٢٤ سم.

٨٢٥- حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل

(جمع فيه ٩٤ أدباً من آداب الزائر)

جمال الدين عبدالله بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الشافعي ت ٩٧٢ هـ.

مصر: ١٣١٨ هـ (بهاشم الاتحاف للشبراوي).

مكة المكرمة: المطبعة الميريئة

ص: ٢٧٩

١٣١٦ هـ، (بهامش خلاصة الوفا في أخبار المصطفى) (وبهامش الاتحاف بحب الأشراف للشبراوي).
ظ:

ريحانة الأدب ٢٨٨ / ٤، معجم المطبوعات لسركيس ١٤٣٢.

٨٢٦- حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي اماره الحج

أحمد الرشيدى

(وهو من علماء المغرب ت ١٠٩٦ هـ)

خ:

خزانة الحرم المكى ٢

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣- ١٤١٠ / ٤ / ١٠ - ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٤.

٨٢٧- حُسن القرى فى ذكر أودية أم القرى

جار الله بن فهد المكى (٨٩١- ٩٥٤ هـ).

العرب س ١٣: ع ٥- ٦ (١٠- ١١ / ١٩٧٨ م) ص ٤٦٤- ٤٦٨.

س ١٦: ج ٥، ٦ (١١- ١٢ / ١٩٨١ م) ص ٤٦٤- ٤٦٨.

س ١٨: ج ١، ٢ (٤- ٥ / ١٩٨٣ م) ص ١- ٥٣.

س ١٨: ج ٣، ٤ (٧- ٨ / ١٩٨٣ م) ص ١٨٧- ٢١٣.

س ١٨: ج ٥، ٦ (٩- ١٠ / ١٩٨٣ م)، ص ٣٥٧- ٣٨٢.

٨٢٨- حسن النبا فى فضل مسجد قبا

محمد بن على بن علان الصديقى

(ت ١٠٥٧ هـ)

(اختصره من جواهر الأنبا لإبراهيم الوصابى اليمنى)

خ: رامبور بالهند برقم ٣٦٢٠ معهد المخطوطات بالقاهرة مصورة برقم ٣٠٣٣.

ظ:

خلاصة الأثر ١٨٧ / ٤، العرب.

س ٣١: ج ٥، ٦ (١١، ١٢ / ١٤١٦ هـ / ٤، ٥ / ١٩٩٦ م) ص ٣٤٥.

٨٢٩- حفر بئر زمزم

ص: ٢٨٠

اسحق بن بشر الاخبارى ت ٢٠٦ هـ

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤ / ١٤١٠ هـ / ١٠ / ١١ / ١٩٨٩ م) ص ٢٠٤.

٨٣٠- حقيقت احرام در مذاهب اسلامى

(بالفارسية)

على حسيني

مىقات حج: ع ١٦ (تابستان ١٣٧٥ هـ) ص ٤٥-٦٨.

٨٣١- حقيقت الميزان الى الحجاز

خليل بن ابيك الصفدى

ت ٧٦٤ هـ.

خ: شيخ الإسلام عارف حكمت.

٨٣٢- الحقيقت والميزان فى رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز

عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى ت ١١٤٣ هـ.

خ: اسعد افندى فى تركية برقم ٢٣٧٦.

الحرم المكى برقم ٤١.

٨٣٣- حكم العمرة فى الحج

أحمد بن عبد الله البتيوشى

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ٥١ (١٣٩٢ هـ) ص ٩١.

٨٣٤- حكم فتح راه حجاز به انشاي عطا ملك جوينى در سال ٦٦٧ هـ)

(بالفارسية)

باهتمام: رسول جعفریان

مىقات حج: ع ١٥ (بهار ١٣٧٥ ش) ص ٦٥-٦٩.

٨٣٥- حكم قناديل المدينة

مجد الدين الفيروز آبادى

ت ٨١٧ هـ

خ: المكتبة الوطنية فى الجزائر ضمن مجموع برقم ١٣٦٠، ٨١٦ هـ ١٢٢-١٣٩ ورقة.

مكتبة حمد الجاسر مصورة عن النسخة اعلاه فى آخر كتابه (المغانم المطابة) الذى حقق القسم الجغرافى منه ونشره.

ظ: العرب. س ٣١: ج ٥، ٦ (١١، ١٢ / ١٤١٦ هـ / ٤، ٥ / ١٩٩٦ م)

ص: ٢٨١

ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

٨٣٦- حِكْمٌ من الحج

محمد بن سعد الشويعر

الفصل (الرياض) ع ٢٣٤ (١٢/١٤١٦ هـ / ٤/١٩٩٦ م) ص ٧٩.

٨٣٧- الحكمة في مناسك الحج

محمد كمال الشريف

منار الإسلام (أبو ظبي) س ٢٠:

ع ١٢ (١٢/١٤١٥ هـ / ٥/١٩٩٥ م) ص ٦٨ - ٧٣.

٨٣٨- الحكمة من تقبيل الحجر الأسود

محمد محروس المدرّس

الرسالة الإسلامية (بغداد) ع ٤٥ (١٣٩١ هـ) ص ٥٣ - ٥٩.

٨٣٩- الحكومة الإسلامية الأولى في المدينة

سليم التكريتي

الوعي الإسلامي س ٤: ع ٤٧ (١٣٨٨ هـ) ص ٤٢ - ٤٧.

٨٤٠- حكومة الرسول صلى الله عليه و آله في المدينة المنورة

جمال الدين عياد

القاهرة، مط دار الفكر الحديث، ١٩٥٠ م، ج ١، ص ١٠٠.

٨٤١- حكومة الرسول في المدينة ودورها في توحيد الجزيرة العربية

بدر عبد الرحمن محمد

القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦، ١٣٦ ص، بليوجرافية ص ١٢٣ - ١٣٢.

٨٤٢- حكومة مكة الائتلافية قبل الإسلام

أحمد رائف

الهلال الدولي (لندن) س ١: ع ٩ (٢٧ جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ / ١٥ فبراير ١٩٨٨ م)، ص ٧.

٨٤٣- حكومة مكة وصيغ الأحلاف السياسية العربية قبل الإسلام

عبد الحسين مهدي الرحيم

آفاق جامعية (جامعة السليمانية):

العراق) س ٢: ع ٩ (تموز ١٩٧٨ م) ص ٣١ - ٣٣.

ص: ٢٨٢

٨٤٤- حلف الفضول

(بالفارسية)

رسول محلاتي

ماهنامه پاسدار إسلام: ع ٤٦ (مهر ١٣٦٤ ش)، ص ٣٢-٣٤.

٨٤٥- حلف الفضول وقصة الغزال

هشام بن محمد بن السائب الكلبي النسابة

ظ:

الذريعة ٧/ ٦٢.

٨٤٦- حلق وتقصير

(بالفارسية)

أحمد زمانى

مقات حج. س ٣: ع ٩ (پاييز ١٣٧٣ ش) ص ٢٧-٣٧.

٨٤٧- الحلقة المفقودة في تاريخ الحجاز على من تقع مسؤوليتها

أحمد السباعى

المنهل (جدة) مج ١: ج ١١-١٢ (١٠-١١ / ١٣٥٦ هـ / ١٢ / ١٩٣٧ م - ١ / ١٩٣٨ م) ص ١٢-١٦.

٨٤٨- حلية الاهتداء في الصلوة على أهل بيت الاصطفاء

خ: مجلس الشورى في طهران

ظ: فهرس المجلس ٩/ ٤٥، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ٩/ ٤٤١.

٨٤٩- حلية الزائرين

محمد على بن محمد بن هداية الله الحسنى الرازى الشاه عبد العظيمى النجفى (١٢٥٨-١٣٣٤ هـ)

النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية، ١٣٤٣ هـ، ٤٩ ص، ٢٤ سم، حجرية.

٨٥٠- حلية المتقين

(في الزيارات)

عبدالله بن محمد رضا الحسينى الشيرى، ت ١٢٤٢ هـ

ظ: الذريعة ٧/ ٨٣، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام ٩/ ٤٤٢.

٨٥١- حمى المدينة وجبالها وأوديتها

أبو الحسن على بن محمد بن

ص: ٢٨٣

عبد الله بن أبي سيف المدائني ت ٢٢٥ هـ

ظ: فهرست النديم ١١٦، العرب.

س ٣١: ج ٥، ٦ (١١، ١٢/١٢، ١٤/٥، ١٩٩٦/٥ م) ص ٣٤٦.

٨٥٢- حمامة البشرية إلى أهل مكة وحلماء أم القرى

أحمد المتنبى القادياني ت ١٩٠٨ م

ظ:

المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤/١٤١٠ هـ/١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٤.

٨٥٣- الحنين إلى الحجاز

فؤاد الخطيب

المنهل (جدة) مج ١٤: ج ١ (١/١٣٧٣ هـ/٩/١٩٥٣ م) ص ٥١-٥٣.

٨٥٤- الحنين إلى مكة

أحمد إبراهيم الغزوي

المنهل (جدة) مج ٢٣: ج ٣ (٣/١٣٨٢ هـ/٨/١٩٦٢ م) ص ١٧١-١٧٢.

٨٥٥- حوادث تاريخي مكة- حوادثي كه در طی قرنهای گذشته در مكة اتفاق افتاده است

(بالفارسيه)

هادي اميني

ترجمة: محسن آخوندي

ميقات حج س ١: ع ١ (پاڻيز ١٣٧١ ش) ص ٧٢-٦٥.

٨٥٦- حوادث تتعلق بالحجرة النبوية

يُحتمل للسهمودي

(د. م): نشرها حمد الجاسر، ١٣٩٢ هـ (بضمن رسائل تتعلق بتاريخ المدينة، وسمى المجموع «رسائل في تاريخ المدينة».

٨٥٧- حوار مع ممثل الولي الفقيه في شؤون الحج والزيارة

ميقات حج: ع ٢ (١٤١٥ هـ) ص ٣٣٤-٣٤٩.

٨٥٨- حوار مع ممثل الولي الفقيه في شؤون الحج والزيارة حول موسم الحج لعام ١٤١٦ هـ

ميقات الحج. س ٣: ع ٥ (١٤١٧ هـ) ص ١٨٢-١٩٨.

ص: ٢٨٤

٨٥٩- حوارات حول شؤون الحج

خادم على سالاريان، جواد رجايي

طهران: مشعر، ط ٢، ١٣٧٥ ش، ٩٦ ص.

٨٦٠- حول بيت الله الحرام

عبدالله الشيبى

المنهل (جدة) مج ٩: ج ١ (١/١٣٦٨ هـ / ١١/١٩٤٨ م) ص ١١-١٢.

٨٦١- حول تاريخ المدينة للمرجلنى

محمد الشاذلى النيفر

المنهل (جدة) مج ٣١:

ج ١ (١/١٣٩٠ هـ / ٣/١٩٧٠ م) ص ٨٨-٩٠.

٨٦٢- حول طريق المدينة

حمد الجاسر

العرب. س ١: ص ١١٥٧، س ١٧:

ع ٣-٤ (٩، ١٠/١٤٠٢ هـ) ص ٢١٦-٢٢٤.

٨٦٣- حول القبة المبنية على قبر الرسول صلى الله عليه و آله

مقبل بن هادى الوادعى

مطبوع.

ظ:

أخبار التراث الإسلامى ع ١٦ (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ص ١٥.

٨٦٤- حول مساجد مكة المكرمة:

فضائل أم القرى حقائق ثابتة

حمد الجاسر

العرب س ٢٠: ع ٩-١٠ (٣، ٤/١٤٠٦ هـ / ١١، ١٢/١٩٨٥) ص ٦٤١-٦٤٦.

٨٦٥- حول المسجد الحرام:

خصائص بيت الله الحرام بمكة

الحسينى مصطفى الرئيس

الهداية (المنامة) س ١١: ع ١٣٠ (٨/١٩٨٨ م) ص ٤-١٩.

٨٦٦- حول مكاتب المدينة المنورة

محسن أحمد باروم

المنهل (جدة) مج ١٢: ج ٢ (٢/١٣٧١ هـ / ١١/١٩٥١ م) ص ١١١-١١٢.

٨٦٧- حول الملتقى الذى إليه

ص: ٢٨٥

تهفو القلوب وتشتاق الأرواح

حمدى لطفى

المجاهد (القاهرة) س ٩: ع ٩٢ (٨ / ١٩٨٨ م) ص ٢٢ - ٢٦.

٨٦٨- حول وادى العقيق

حمد الجاسر

العرب (الرياض) س ٦: ع ١١ (٥ / ١٣٩٢ هـ / ٧ / ١٩٧٢ م) ص ٨٤١ - ٨٤٤.

٨٦٩- الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام

محمد ضيف الله بطاينة

المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٨ م، ٢٨٩ ص.

٨٧٠- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام

نورة بنت عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ

جدة: تهامة، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م، ١٨٩ ص (رسائل جامعية، ١٣) (رسالة ماجستير مقدمة في كلية التربية للبنات، ١٤٠٢ هـ).

٨٧١- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي ٤٠- ١٣٢ هـ / ٦٦٠- ٧٥٠ م

عبدالله محمد ناصر السيف

القاهرة: جامعة القاهرة، ١٩٧٨ م (رسالة دكتوراه).

٨٧٢- الحياة الزراعية في عصر دولة الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين (١- ٤٠ هـ)

الحبيب الجنحاني

في: ندوة النظم الإسلامية (أبو ظبي: ١٨- ٢٠ / ٢ / ١٤٠٥ هـ / ١١- ١٣ / ١١ / ١٩٨٤ م).

٨٧٣- الحياة الزراعية في عصر دولة الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين (١- ٤٠ هـ)

عبد العزيز الدوري

بحث مقدم في: ندوة النظم الإسلامية المنعقدة في (أبو ظبي):

(١١ / ١٩٨٤ م).

٨٧٤- الحياة السياسية في مكة والمدينة المنورة في العصر

ص: ٢٨٦

العباسي الأول

فاطمه حمدان حمود اليماني

جدة: كلية التربية، الرئاسة العامة لتعليم البنات، ١٤٠٧ هـ (رسالة ماجستير)

٨٧٥- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المدينة المنورة في العصر الأموي من سنة ٤١ الى ١٣٢ هـ

نورة عبدالملك بن ابراهيم آل الشيخ

جدة: كلية التربية، الرئاسة العامة لتعليم البنات، ١٤٠٧ هـ (رسالة دكتوراه)

٨٧٦- خارطة المسجد النبوي ومرقدته صلى الله عليه و آله وتعيين زيادات المسجد

ابراهيم بن أحمد حمدي المدني (١٢٨٨ هـ)

ظ: الذريعة ١٣٣ / ٧.

ذيل كشف الظنون للطهراني ٤٣

٨٧٧- خاطرات حج

(بالفارسية)

محمد عظيمي

طهران: دهخدا، ط ١، ١٣٦٣ ش، ١٢٠ ص.

٨٧٨- خاطرات زیارت خانه خدا و عتبات عالیات در خدمت راهنما

(بالفارسية)

محمد رضا خاني

باهتمام: حبيب الله، باگ گوهر وسيد محمود السعيدى

ط ١: ١٣٦٧ ش، ٥٢٦ ص، ٢٤ سم.

٨٧٩- خاطرات سفر حج

(بالفارسية)

سلطان حسين بن صالح عليشاه گنابادي

(١٣٣٢ هـ...)

ظ: مشار ١ / ١٨٤١،

مشار مؤلفين ٣ / ٣٤٥،

فهرستواره منزوی ١ / ٧٦.

٨٨٠- خاطرات سفر مکه

(بالفارسية)

احمد هدايتي

طهران: ١٣٤٣ ش، ٢٣٩ ص، ٢٤ سم.

٨٨١- خاندان ابو سعيد وراميني

ص: ۲۸۷

وتلاش برای: آبادانی حرمین شریفین

(بالفارسیة)

رسول جعفریان

میقات حج س ۱: ع ۱ (بائیز ۱۳۷۱ ش) ص ۱۷۰-۱۶۵.

۸۸۲- خانه کعبه وراز معنوی آن

(بالفارسیة)

هانری کربن

ترجمۀ بزرگ نادر زاده

معارف اسلامی ع ۲۳ (دی ۱۳۵۴ ش) ص ۲۱-۲۷، ع ۲۴-۲۵ (۱۳۵۵ ش) ص ۹۱-۹۵.

۸۸۳- خانه مردم بایاد داشتی از سفر حج

(بالفارسیة)

مهدی بازرگان

طهران: شرکت انتشار، ۱۳۴۵ ش، ۸۳+۷۹+۶۹ ص.

۸۸۴- الخدمات الصحیة بمدینة مکة المکرمة: دراسة فی الجغرافیا الاجتماعیة

عبدالله الصنیع

مكة المکرمة: جامعة ام القرى، ۱۹۸۳، ۱۱۲ ص.

۸۸۵- خریطۀ مکة والمشاعر

محمد زکی فارس

جدة: ۱۴۰۲ هـ.

ظ: المنهل (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳-۴ / ۱۴۱۰ هـ / ۱۰-۱۱ / ۱۹۸۹ م) ص ۲۰۵.

۸۸۶- خسی در میقات

(بالفارسیة)

طهران: انتشارات رواق، ص ۳، ۱۳۶۴ ش، ۱۸۴ ص، ۲۱ سم.

۸۸۷- خصائص العاملین الباکستانیین المتکفلین بالانفاق علی حجاج باکستان

احمد باشا و آخرون

جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ۳۲ ص.

۸۸۸- خصوصیت فقهی محدودہ کعبہ

(بالفارسیة)

عبد الله جوادى آملی

میقات حج س ۲: ع ۵ (بائیز

ص: ٢٨٨

١٣٧٢ ش) ص ١٧-٣٣.

٨٨٩- الخطب في المسجد الحرام في الدين والاجتماع

عبدالله عبد الغنى

دمشق: مكتبة الغزالي، ط ١، ١٣٩٩ هـ، ٢٥٥ ص، ٢٤ سم.

٨٩٠- خطط المدينة المنورة

صالح احمد العلى

العرب مج ١: ج ١٢ (١٣٨٧/٦ هـ) ص ١٠٥٧-١٠٦٢.

٨٩١- الخطط المكيّة

محمد بن سعيد الحضراوى ت ١٣٢٦ هـ

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤/١٤١٠ هـ / ١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٥

٨٩٢- خلاصة الأخبار في تاريخ المدينة

محمد عاشق الحنفى

خ: أيا صوفيا برقم ٢٣٨٩

ظ: العرب. س ٣١: ج ٥، ٦ (١١، ١٢/١٤١٦ هـ / ٤، ٥/١٩٩٦ م) ص ٣٤٧.

٨٩٣- خلاصة الاعتبار في الحج والاعتمار

الشهيد الأول محمد بن مكى، سنة ٧٨٦ هـ

ظ: الذريعة ٧/٢١٤، ٢٢/٢٧٦.

٨٩٤- خلاصة تاريخ مكة المعظمة

(بالأردو)

فخر الدين حسين الدهلوى

(كان حياً سنة ١٢٦٨ هـ)

ظ: الثقافة الاسلاميه في الهند ٧٦.

٨٩٥- خلاصة الرسائل في فضائل مكة

محمد بن بار الهندى البرهانبورى

(١٠٤١-١١١٠ هـ)

ظ: المنهل (جدة) س ٥٦: ع ٤٧٥ (٣-٤/١٤١٠ هـ / ١٠-١١/١٩٨٩ م) ص ٢٠٤.

٨٩٦- خلاصة الروضة الشريفة

عبدالله محمد الحبشى

العرب س ١٠: ج ٣، ٤ (١٠-١١/١٩٧٥ م) ص ٢٦٨-٢٧٢.

٨٩٧- الخلاصة في تاريخ

ص: ٢٨٩

المدينة

(رسالة فارسية)

عمر الحافظ الرومي

ظ: كشف الظنون ١ / ٧١٩،

العرب. س ٣١: ج ٥، ٦ (١١)، ١٢ / ١٤١٦ هـ / ٤، ٥ / ١٩٩٦ م) ص ٣٤٧.

٨٩٨- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام

أحمد زيني دحلان ت ١٣٠٤ هـ

القاهرة: المطبعة الخيرية الجمالية، ١٣٠٥ هـ (طبع بهامشه: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، للنهر والي) بيروت: د. ت.

٨٩٩- خلاصة مناسك الحج:

مطابقة لفتاوى سماحة الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني

(بالفارسية)

قم: پاسدار اسلام، ظ ١، ١٣٦٥ ش، ١٤٨ ص، ١٩ سم.

ط ٣، ١٣٦٦ ش، ١٣٦ ص، ١٩ سم.

٩٠٠- خلاصة مناسك الحج

الإمام الخميني قدس سره

تعريب: فهري

بيروت: الدار الاسلامية، ٢٢٢ ص، ٢١ سم.

٩٠١- خلاصة مناسك حج

(بالفارسية)

موسوي خوئيني

طهران: مركز تحقيقات وانتشارات حج، ١٤٠٧ هـ، ١٣٢ ص.

٩٠٢- خلاصة الوفا في أخبار المصطفى

(مختصر كتاب المؤلف وفاء الوفا)

على بن عبد الله بن أحمد السهمودي

٨٠٤- ٩١١ هـ

خ: الرباط، الخزانة الملكية، عدة نسخ، ٤٧١٦، ١٥٥٨ و ٨٨٨٤ و ٥٠٩٨ و ٢١٤٣.

روان كشك ١٥٧٣

طبع في: بولاق: ١٢٨٥ هـ، ٢٤٤ ص (وبهامشه: حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل للفاكهة)

ص: ٢٩٠

مكة المكرمة: المطبعة المنيرية، ١٣١٦ هـ، ٢٨٦ ص.

القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٦٧ هـ، ٤، ٤٢٠ ص.

المدينة المنورة: المكتبة العلمية، ١٩٧٢ م، ٦٥٩ ص.

ظ: كشف الظنون ٢٠١٦،

معجم المطبوعات لسركيس ١٠٥٣، معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ٩٥.

٩٠٣- خواطر بين الكعبة والمصطفى

عبدالحى طه علوان

الرسالة الاسلاميه (بغداد)

ع ١١١ (١٣٩٨ هـ) ص ٨١-٨٢.

٩٠٤- خواطر حاج

عبدالغنى الملاح

الموصل: مط الاتحاد الجديدة، ١٩٥٣ م، ٦٨ ص.

٩٠٥- خواطر الحج

توفيق محمد شاهين

الوعى الإسلامى (الكويت) س ٢٥:

ع ٣٠٠ (٧/ ١٩٨٩ م) ص ٢٠-٢٣.

٩٠٦- خواطر عن الحج

فؤاد رضا

المنهل (جدة) مج ٢٠: ج ١ (١/ ١٣٧٩ هـ / ٧/ ١٩٥٩ م) ص ٤٥-٤٦.

٩٠٧- خواطر من الحج عند بيت المولى

على الكوراني

ميقات الحج ع ١ (١٤١٥ هـ) ص ٣١-٣١٨.

٩٠٨- خورشيد معرفت در گناه و طاعت: در پيرامون حج و عمره مأخوذ از قرآن مجيد واحاديث نبى اكرم وآل عصمت

(بالفارسيه)

محمد جواد الموسوى الغروى

طهران: جاويد، ١٣٥٣ ش، ٣٨٨ ص.

٩٠٩- خير القرى فى زيارة أم القرى

أحمد بن عبد الله الطبرى ت ٦٩٦ هـ

ظ: كشف الظنون ٧٢٧،

معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٥٤

ص: ٢٩١

الفهرس العام لمجلة ميقات الحج ٨-٥

الفهرس العام لمجلة ميقات الحج ٨-٥

الفهرس العام لمجلة ميقات الحج ٨-٥

فهرس المواضع:

العددالصفحة

- ١- الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره ١٠٥
- ٢- الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره ٣٠٥٦
- ٣- الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره ٦٠٩٧
- ٤- الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره ٩٠٩٨
- ٥- الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مدّ ظلّه العالی - ١٣٥
- ٦- الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مدّ ظلّه العالی - ٣٠٧٦
- ٧- الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مدّ ظلّه العالی - ٦١١٧
- ٨- الحج في أحاديث الإمام الخامنئي - مدّ ظلّه العالی - ٩١١٨

ص: ٢٩٢

١- فقه الحج:

المقالة المؤلف المحقق العدد الصفحة

- ١- مناسك الحج والعمرة الشهيد الثاني رحمه الله ٣٧٥ ت: ابوالحسن المطلي ورضا المختارى
- ٢- حجر إسماعيل فى مسيرته محسن الأسدى ١٠٤٥ الفقيه و ...
- ٣- الإستدارة وصلاة الجماعة محمدعلى المقدادى ١٤٩٥ فى المسجد الحرام
- ٤- المنسك الصغير الشهيد الأول رحمه الله ٣٦٨٦ ت: محمد الإسلامى اليزدى
- ٥- الطواف ومسائله محمد إبراهيم الجناتى ٤٠٥٦
- ٦- مناسك الحج الشيخ على القطيفى رحمه الله ٦٥٣٧ ت: ضياء بدر آل سنبل القطيفى
- ٧- مقام إبراهيم محسن الأسدى ٦٨٣٧
- ٨- الحرم المكى فى مرآة الفقه (١) عبدالكريم آل نجف ٧٢١٧
- ٩- الحج البذلى محمدعلى المقدادى ٧٧٧٧
- ١٠- أقل الواجبات فى حج التمتع إبراهيم بن الشيخ حسن قفطان ٩١٤٨
- ١١- حكم الأضحى فى عصرنا ناصر مكارم الشيرازى ٩٣٥٨
- ١٢- الحرم المكى فى مرآة الفقه (٢) عبدالكريم آل نجف ١٠٦١٨

ص: ٢٩٣

٢- مفاهيم الحج:

المقالة المؤلف المحقق العدد الصفحة

١- أسرار الحج وأعماله الباطنة ابن ميثم البحراني رحمه الله ١٦٥ إعداد: فارس تبريزيان

٢- أضواء حول الحج عبدالله جوادى آملى ٣١٠٦

٣- تأملات جمالية عرفان الفهدى ٣٣٢٦

٤- فلسفة الحج وأسرار مناسكه عباس على عميد الزنجاني ٦١٥٧

٥- البيت الحرام محمد مهدي الأصفى ٩٥٤٨

٦- لمحة عن الحج ومناسكه محمد جواد حجتي كرمانى ٩٨٣٨

٧- أمن الحرم محسن الأسدى ١٠٨٠٨

٨- بحثاً عن النور على الكوراني ١١٣٢٨

٣- الحج والتاريخ:

المقالة المؤلف المحقق العدد الصفحة

١- الحجر الأسود بين الإمام العابد عبدالمطلب محمد ٩٤٥ والسلطان الزائف

٢- حجر إسماعيل فى مسيرته محسن الأسدى ١٠٤٥ التأريخية و...

٣- هل طاف النبي صلى الله عليه و آله حول محمد هادى اليوسفى ١٧١٥ الأصنام...؟

٤- أبو الوليد الأزرقى وكتابه محمد على مهدوى راد ٢٣٧٥ «أخبار مكة»

٥- نشأة الحياة العلمية فى الحجاز عبدالجبار الرفاعى ٤٢٣٦

ص: ٢٩٤

المقالة المؤلف المءق العدد الصفءة

٤- الحج قبل مائة سنة عبدالعزيز دولتشين ت: عبدالله المؤمن ٥١٧٤

٧- بيعه العقبة محمد هادي اليوسفي ٤٧٣٧

٨- تعمير الكعبة ومراسمه أيوب صبري باشا ٧٤٤٧ إءداد: السيد علي قاضي عسكر

٩- القرامطة وفتنتهم في مكة يعقوب الجعفرى ٨٠٥٧

١٠- واقعه الحرة شهاب الدين الحسينى ٨٤٧٧

١١- مهمات مشبوهة في حسن السعيد ١٠٠٨٨ الديار المقدسة

٤- رجال من الحرمين الشريفين:

المقالة المؤلف المءق العدد الصفءة

١- حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه عباس المهاجر ١٩٩٥

٢- عبدالله بن عباس محسن الأسدى ٥٣٤٤

٣- جعفر الطيار حسن محمد ١١٠٨٨

٥- الحج في الأدب العربى:

المؤلف المءق العدد الصفءة

١- ترنيمه عرفانية محمد علي الحسينى ٤٩٠٤

٢- مختارات شعرية إدارة المجلة ٧٩٤٧

٣- مختارات شعرية إدارة المجلة ١٠٣٤٨

ص: ٢٩٥

- ٦- جغرافية الحج ومعالمه المقدسة:
المقالة المؤلف المحقق العدد الصفحة
- ١- قرن المنازل عبدالهادى الفضلى ٨٤٥
- ٢- مختصر معجم معالم مكة عاتق بن غيث البلادى ٢١٨٥ التأريخية (٣)
- ٣- المساجد والأماكن الأثرية ... (٣) عبدالرحمن خويلد ٢٢٨٥
- ٤- الجحفة عبدالهادى الفضلى ٣٨٢٦
- ٥- أرض عرفات على قاضى عسكر ٤٦٨٦
- ٦- المساجد والأماكن الأثرية... (٤) عبدالرحمن خويلد ٥٦٧٦
- ٧- مختصر معجم معالم مكة عاتق بن غيث البلادى ٨٢٨٧ التأريخية (٤)
- ٨- المساجد والأماكن الأثرية ... (٥) عبدالرحمن خويلد ٨٧١٧
- ٩- المساجد والأماكن الأثرية ... (٦) عبدالرحمن خويلد ١١٤٥٨
- ٧- الرسائل واللقاءات:
العددالصفحة
- ١- حوار مع ممثل الولى الفقيه... ١٨٢٥
- ٢- رسالة الأستاذ واعظ زاده إلى بن باز ٢٦٥٥
- ٣- لقاء مع المؤرخ الحجازى، عاتق بن غيث البلادى ٤٩٥٦
- ٤- رسالة رئيس منظمة الحج والزيارة إلى وزير حج المملكة العربية السعودية ١٠٤٥٨

ص: ٢٩٦

٨- المعاجم:

المقالة المؤلف المحقق العدد الصفحة

- ١- معجم ما كتب فى الحج والزيارة... (٢) عبدالجبار الرفاعى ٢٧٩٥
- ٢- من ألف فى الحج من أهل هجر أحمد الكنانى ٥٧٦٦
- ٣- معجم ما كتب فى الحج والزيارة... (٣) عبدالجبار الرفاعى ٥٩٣٦
- ٤- معجم ما كتب فى الحج والزيارة... (٤) عبدالجبار الرفاعى ٨٨٥٧
- ٥- معجم ما كتب فى الحج والزيارة... (٥) عبدالجبار الرفاعى ١١٦٢٨

فهرس الكتاب والمحققين:

العددالصفحة

- الحج فى أحاديث الإمام الخمينى قدس سره ١٠٥
- الحج فى أحاديث الإمام الخمينى قدس سره ٣٠٥٦
- الحج فى أحاديث الإمام الخمينى قدس سره ٦٠٩٧
- الحج فى أحاديث الإمام الخمينى قدس سره ٩٠٩٨
- الحج فى أحاديث الإمام الخامنئى - مدظله العالى - ١٣٥
- الحج فى أحاديث الإمام الخامنئى - مدظله العالى - ٣٠٧٦
- الحج فى أحاديث الإمام الخامنئى - مدظله العالى - ٦١١٧
- الحج فى أحاديث الإمام الخامنئى - مدظله العالى - ٩١١٨

ص: ٢٩٧

المؤلف المحقق المقالة العدد الصفحة

الأصفي محمد مهدي البيت الحرام ٩٥٤٨

إبراهيم بن الشيخ حسن قفطان أقل الواجبات في حج التمتع ٩١٤٨ تحقيق: محمد الإسلامي اليزدي

الأسدي محسن حجر إسماعيل في مسيرته التاريخية والفقهية ١٠٤٥

الأسدي محسن عبدالله بن عباس ٥٣٦٦

الأسدي محسن مقام إبراهيم ٦٨٣٧

الأسدي محسن أمن الحرم ١٠٨٠٨

البحراني ابن ميثم أسرار الحج وأعماله الباطنة ... ١٦٥

البلادي عاتق بن غيث مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٣) ٢١٨٥

البلادي عاتق بن غيث مختصر معجم معالم مكة التاريخية (٤) ٨٢٨٧

الجعفري يعقوب القرامطة وفتنتهم في مكة ٨٠٥٧

الجناتي محمد إبراهيم الطواف ومسائله ٤٠٥٦

الحسيني محمد علي ترنيمه عرفانية ٤٩٠٦

الحسيني شهاب الدين واقعة الحرة ٨٤٧٧

الرفاعي عبد الجبار معجم ما كتب في الحج والزيارة (٢) ٢٧٩٥

الرفاعي عبد الجبار نشأة الحياة العلمية في الحجاز ٤٢٣٦

الرفاعي عبد الجبار معجم ما كتب في الحج والزيارة ... (٣) ٥٩٣٦

الرفاعي عبد الجبار معجم ما كتب في الحج والزيارة ... (٤) ٨٨٥٧

الرفاعي عبد الجبار معجم ما كتب في الحج والزيارة ... (٥) ١١٦٢٨

السعيد حسن مهمات مشبوهة في الديار المقدسة (١) ١٠٠٨٨

ص: ٢٩٨

- المؤلف المحقق المقالة العدد الصفحة
 الشهيد الأول المنسك الصغير ٣٦٨٦ تحقيق: محمد الإسلامى اليزدى
 الشهيد الثانى مناسك الحج والعمرة ٣٧٥ رضا المختارى / أبوالحسن المطلبى
 الفضلى عبدالهادى قرن المنازل ٨٤٥
 الفضلى عبدالهادى الجحفة ٣٨٢٦
 الفهدى عرفان تأملات جمالية ٣٣٢٦
 القطيفى العلامة الشيخ على مناسك الحج ٦٥٣٧
 الكنانى أحمد من ألف فى الحج من أهل هجر ٥٧٦٦
 الكورانى على بحثاً عن النور ١١٣٢٨
 المحمدي الرى شهرى محمد حوار ١٨٢٥
 المقدادى محمد على الاستدارة و صلاة الجماعة فى المسجد الحرام ١٤٩٥
 المقدادى محمد على الحج البذلى ٧٧٧٧
 المهاجر عباس حمزة بن عبدالمطلب ١٩٩٥
 المؤمن عبدالله الحج قبل مائة سنة ٥١٧٦
 آل نجف عبدالكريم الحرم المكى فى مرآة الفقه ... (١) ٧٢١٧
 آل نجف عبدالكريم الحرم المكى فى مرآة الفقه ... (٢) ١٠٦١٨
 اليوسفى محمد هادى هل طاف النبى حول الأصنام ...؟ ١٧١٥
 اليوسفى الغروى محمد هادى بيعة العقبة ٦٧٣٧
 حجتى كرمانى محمد جواد لمححة عن الحج ومناسكه ٩٨٣٨
 جوادى آملى عبدالله أضواء حول الحج ٣١٠٦

ص: ٢٩٩

المؤلف المحقق المقالة العدد الصفحة

خويلد عبدالرحمن المساجد والأماكن الأثرية... (٣) ٢٢٨٥

خويلد عبدالرحمن المساجد والأماكن الأثرية... (٤) ٥٦٧٦

خويلد عبدالرحمن المساجد والأماكن الأثرية... (٥) ٨٧١٧

خويلد عبدالرحمن المساجد والأماكن الأثرية المجهولة (٦) ١١٤٥٨

رضائي محمد حسين رسالة رئيس منظمة الحج والزيارة ... ١٠٤٥٨

صبري باشا أيوب تعمیر الكعبة ومراسمه ٧٤٦٧ إعداد: السيدعلي قاضي عسكر

عميدالزنجاني عباس على فلسفة الحج وأسرار مناسكه ٦١٥٧

قاضي عسكر سيدعلي أرض عرفات ٤٦٨٦

محمد عبدالمطلب الحجر الأسود بين الإمام العابد و... ٩٤٥

محمد حسن جعفر الطيار ١١٠٨٨

مكارم الشيرازي ناصر حكم الأضحى في عصرنا ٩٣٥٨

مهدوي راد محمدعلي أبو الوليد الأزرقى و كتابه «أخبار مكة» ١٣٧٥

واعظ زاده الخراساني رسالة الأستاذ... ٢٦٥٥

هيئة التحرير لقاء مع المؤرخ الحجازي عاتق بن غيث ٤٩٥٦ البلادى

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و... - منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" ومفترق "وفائي" / بناية "القائمة"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقية الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

